من التبعية إلى الأصالة في الفكر الإسلامي المعاصر

أنور الجندي

دار الهداية
للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى
١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل إلى البحث

فى قلب الأعاصير التى تَلُفُّ أرض الإسلام وتتكشف عن تحديات ومؤامرات ، ما يزال الإسلام وسيظل قادراً على تقديم نفسه هدى وبشرى للإنسانية فى كل عصر وجيل وموقع ، وكلما ادلهمت الخطوب وأظلم الطريق وتعددت صيحات الظالمين الذين يظنون أنهم قد سيطروا، وأن سموم التبعية قد فرضت على العقل المسلم، وأن التقدم المادى قد أعطاهم قوة يستطيعون بها إطفاء نور الله تبارك وتعالى .

غير أنه من قلب هذه الظلمات ومن صميم هذه الأحداث يكشف الإسلام عن جوهره، ويُظهر الله تبارك وتعالى نور رسالته الخاتمة التى جاءت لتهدى البشرية إلى الحق وتخرجها من الظلمات إلى النور ليظهر دينه على الدين كله .

لقد آن الآوان أن يشعر المسلمون بعد تجربتهم الطويلة مع الحضارة الغربية أن منهج الله تبارك وتعالى هو الحق الذى لا مرية فيه والنور الذى لا ريب فيه .

لقد زالت تلك الغشاوة عن العقل المسلم، وعن النفس المسلمة، وتكشف للمسلمين أنهم خدعوا طويلاً .

ويمكن القول بأن الحقيقة ظهرت لهم منذ اليوم الأول لسيطرة النفوذ الغربى وحجبه للشريعة الإسلامية، ومحاولته تقديم الإسلام على أنه دين عبادى لاهوتى قائم على الصلاة والعبادة، ولا دخل له فى شئون المجتمعات والاقتصاد والسياسة، وظل المسلمون خاضعين لسيطرة أسماء لمعت فى مجال التغريب، تحاول أن تقنعهم بأن علوم الغرب وفكر الغرب فى مذهبيه الرأسمالى والماركسى هى المنطلق الوحيد لقيام المجتمع الأمثل .

ولكن اليقظة الإسلامية التى قادها جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ورشيد رضا وحسن البنا فتحت الأبواب لفهم الإسلام فهماً صحيحاً بوصفه منهجاً جامعاً يقوم على تكامل مفهوم القيم : روح ومادة ودنيا وآخرة ، من خلال الإيمان بمنهج المعرفة الجامع للمعقول والمنقول، والوحى جزء أصيل من المعرفة، وكذلك الغيب ،ومنذ ذلك

الوقت مضى التحول من التبعية إلى الأصالة ؛ حتى دخل الفكر الإسلامى مرحلة الصحوة الإسلامية فى أوائل القرن الخامس عشر الهجرى؛ حيث مضت الصحوة تقتحم الحصون وتصل إلى علامات فارقة، وبالرغم من زيادة عملية الحصار على الإسلام والفكر الإسلامى فى محاولة خطيرة لإحياء الفكر العلمانى المرتبط بالفكر الماركسى، فى محاولة هى أشد خطورة من محاولة الماركسية التى استمرت من١٩٦٠ - ١٩٧٠، وخلفت آثاراً عميقة فى حجب الفكر الإسلامى عن النماء، وكانت هذه المرحلة أشد خطراً من المرحلة التى سبقتها، فقد تحصنت العلمانية والفلسفة المادية بالقوى المسيطرة من الصحافة والجامعة والمسرح والمسلسلات على نحو خطير يرمى إلى حجب الشباب المسلم عن الفكر الإسلامى وتقديم مفاهيم العلمانية والحداثة ومذاهب المادية والإلحاد والإباحة؛ حتى تحول بينه وبين الفكرة الإسلامية .

وجاء التعليم ليحجب التاريخ الإسلامى ، وهو تاريخ يقوم على المقاومة لكل محاولات الغزو والسيطرة والزحف على مقدرات الأمة الإسلامية، فى محاولة يخشى أن تصل إلى حد الاستسلام إزاء النفوذ الصهيونى والغربى الزاحف بشدة لاحتواء الفكر الإسلامى واختراقه .

كل هذا استدعى ضرورة العمل على إعادة الثقة إلى النفس المسلمة وحمايتها من الانهيار فى مواجهة الأخطار والتحديات وتدمير الحصانة الأخلاقية التى هى جزء من الإسلام نفسه .

و لم يتوقف الإسلام عن اقتحام أرض جديدة وغزو قلوب جديدة؛ فاتسعت دائرة انتشاره فى الغرب فى أوربا وأمريكا؛ حيث اقتنع عدد من كبار المفكرين الغربيين بأنه هو المنقذ وأنه الحل الوحيد لمشكلة البشرية وهى تغرق اليوم فى أتون المادة .

ولقد أُكدتْ هذه الحقائق ؛ لتزيدنا إيماناً بأننا خرجنا فعلاً من دائرة التبعية، وأننا نبنى الآن قواعد الأصالة من خلال أسلمة المناهج وإقامة البدائل الإسلامية، مما يؤكد أن الإسلام سوف يقيم حضارته ومنهجه الاجتماعى مهما حالت الظروف أو قامت العقبات لتحول دون تمام المسيرة .

وجاءت آيات القرآن الكريم لتؤكد الحقيقة التى أوردها كتاب الله ثلاث مرات: ﴿**ليظهره على الدين كله**﴾ ، وتؤكد أن منهج الحياة والعصر هو التوحيد الخالص.

إن الآية الظاهرة اليوم لتأكيد تحول الفكر الإسلامى من التبعية إلى الأصالة تظهر آثارها فى مجتمع الغرب، وتحول مفاهيمه وإحساسه بمدى الاضطراب الذى يواجه الفكر الغربى بعد سقوط نظريات فرويد ودارون وماركس على التوالى من ناحية، وعجز مؤامرات تغريب الإسلام وأهله عن طريق التبشير أو الاستشراق، أو تقديم مذاهب جديدة مستمدة من الفلسفة المادية، أو من تراث الوثنيات القديمة كالحداثة والتفكيكية .

وقد جاء رجال أمثال جارودى وبوكاى ومراد هوفمان ليؤكدوا فساد المنهج الغربى من الأساس، وحاجة المسلمين إلى بناء منهج فكر مستمد من القرآن والسنة.

وكيف أن الإسلام هو أكمل الصيغ السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى نزلت على الإنسان وستظل أصلح المناهج لحياة الإنسان والمجتمع الإنسانى على حد قول لامرتين : « فى الإسلام قوة كامنة أصيلة، نابعة من أن هذا الدين هو وحده الذى استطاع أن يفى بمطالب البدن، ومبادئ الروح معاً، دون أن يعرض المسلم أن يعيش فى عذاب الضمير الذى يعيش فيه غير المسلمين ، إن الإسلام فيه شىء يختلف عن الأديان؛ لأنه لا يُعَبّدُ الأشخاصَ للأشخاص ، وإنما المسلمون يعملون بالقرآن وحده ، والتنزيه والتوحيد هو موضع القوة فى إسلام المؤمن » .

إن النظريات العالمية التى قيل : إنها بنت حضارة العصر قد سقطت ، فسقطت نظريات دارون وماركس وفرويد ودوركايم، وأن الدعوة المثارة اليوم إلى تبنى آثار الغرب هى دعوة مضللة لن يقبلها المسلمون بعد تجربتهم التى مضت .

إن الإسلام فى منهجه الأصيل يقدم لنا (منظومة) كاملة ، بعد أن خلص البشرية من عوامل العنصرية والوثنية والبداوة والعصبية، وما يزال الجسم الإسلامى يرفض العنصر الغريب .

يقول الدكتور بوكاى : لقد قمت بدراسة القرآن الكريم دون أى فكر مسبق، بموضوعية تامة باحثًا عن درجة اتفاق نص القرآن ومعطيات العلم الحديث، وكنت أعرف قبل هذه الدراسة وعن طريق الترجمات أن القرآن يذكر أنواعاً كثيرة من الظاهرات الطبيعية، ولكن معرفتى كانت وجيزة، وبفضل الدراسة الواعية للنص العربى استطعت أن أحقق مقولة قائلة: إن القرآن الكريم لا يحتوى على أى معركة

قابلة للنقد من وجهة نظر العلم فى العصر الحديث .

إن حجة القرآن التى لا تقبل الجدل تعطى النص مكانة خاصة بين كتب التنزيل ولا يشترك مع نص القرآن فى هذه الصحة لا العهد القديم ولا العهد الجديد ، وهو من دون كل هذه النصوص وحده الذى لا يحتوى على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم فى العصر الحديث» .

وهذا هو الباب الذى انفتح على مصراعيه من عطاء التفسير العلمى للقرآن الكريم فى خلال مؤتمرات متصلة وحقائق مذهلة .

ولقد كان الفهم العلمى للقرآن مضافاً إلى أسلمة المناهج والعلوم هو منطلق الخروج من التبعية نحو الأصالة .

وتمضى الدراسة على هذا النحو، لتكشف خطة التحرر من التبعية والدخول فى منطقة الأصالة ، بما يدفع المجتمع الإسلامى إلى « الصحوة» ، فلنمض مع البحث إلى غايته.

✿✿✿

(٢)

من التغريب إلى الأصالة :

الخروج من دائرة التغريب المظلمة

فى سبيل تحقيق هذا الهدف نحن مطالبون بأن نقف فى وجه الفكر الغربى بشقيه، وما يحمل من مفاهيم تختلف اختلافاً أساسيًّا عن الفكر الإسلامى، وخاصة الفكر المسيحى والماركسى العلمانى .

كذلك فنحن مطالبون بأن نقف فى وجه الفكر الباطنى والشعوبى والفلسفى من خلال دراسة الإمامين الغزالى وابن تيمية .

كما علينا أن نلحظ ترابط الماسونية والقاديانية والبهائية ، وذلك من أجل تحقيق الفكر الإسلامى من محاولة الاحتواء الغربية .

ولابد من تقويم للتيار المتدفق الجديد الذى نما فى الغرب، والذى يرفض زيف النظرية البشرية .

وقد أُلقِى على المؤامرة الغربية كثيرا من الأضواء فى العقود الأخيرة : أهمها وثائق التبشير ومخططاته التى جمعها السيد محب الدين الخطيب فى كتابه (الغارة على الإسلام) و(بروتوكلات صهيون) و(أحجار على رقعة الشطرنج) ، و(لعبة الأمم) فقد كشفت هذه الأبحاث أبعاد المؤامرة التى تريد أن تحاصر الإسلام والفكر الإسلامى.

وعلينا أن نكشف النظريات التى سقطت : دارون ودوركايم وفرويد، وأن نقدم البديل الإسلامى لها بعد أن تبين عجزها عن العطاء وفسادها وتمزقها .

ولقد كانت المؤامرة تتمثل فى الهجوم على معاقل الإسلام ، فقد عملت القوى العالمية الكبرى : الغربية والماركسية والصهيونية وما تفرع منها من جمعيات فى خطوط ثلاثة متوازية :

١ ـ حاولوا تحطيم القوى السياسية الإسلامية عن طريق السيطرة بقوة السلاح على العالم الإسلامى .

٢ ـ أو عن طريق اصطناع بعض أبنائنا، فقد صنعوا قادة يحملون فكرهم ويروجون له، ثم قسموا الأمة إلى دويلات صغيرة يصعب اللقاء بينها ، وسيطروا على الصحافة والثقافة والتعليم عن طريق جيوش المبشرين، التى جاست ولا تزال تجوس خلال ديار المسلمين ، وقام المستشرقون بتقديم السموم عن طريق إثارة الشبهات حول تاريخ الإسلام واللغة العربية والأدب العربى وعقائدنا وشرائعنا وتراثنا .

ولم يقف الأمر عند هذا الغزو الداخلى لأمتنا؛ بل تبعه غزو آخر أشد خطراً من خلال الابتعاث ، يقول سارتر : «كنا نحضر رؤساء القبائل وأولاد الأشراف والأثرياء والسادة من أفريقيا وآسيا، ونطوف بهم بضعة أيام فى أمستردام ولندن والنرويج وبلجيكا وباريس، فتتغير ملابسهم ويلتقطون بعض أنماط العلاقات الاجتماعية الجديدة، ويتعلمون منا طريقة جديدة فى الرواح والغدو، ويتعلمون لغاتنا وأساليب رقصنا وركوب عرباتنا، وكنا نبرر لبعضهم أحياناً زيجات أوربية ثم نرحلهم إلى بلادهم وأى بلاد ، بلاد كانت أبوابها مغلقة دائماً فى وجوهنا ، ولم نكن نجد منفذاً إليها ، كنا بالنسبة إليها رجساً نجساً؛ ولكن منذ أن أرسلنا المفكرين الذين صنعناهم إلى بلادهم كنا نصيح من أمستردام أو برلين أو باريس (الإخاء البشرى) فيرتد رجع أصواتنا من أقاصى أفريقيا أو الشرق الأوسط أو شمالى أفريقيا .

كنا نقول : ليحل المذهب الإنسانى أو (دين الإنسانية) محل الأديان المختلفة، وكانوا يرددون أصواتنا هذه من أفواههم، وحين نصمت يصمتون، إلا أننا كنا واثقين من أن هؤلاء المفكرين لا يملكون كلمة واحدة يقولونها غير ما وضعناه فى أفواههم»، وهكذا كان منطلق التغريب الذى يريد أن يغير كل شىء .

فقد انطلقت منظمة التغريب من خلال عملية التبشير أو التنصير التى تمارسها فى أفريقيا وجنوب شرق آسيا، تعمل على إثارة النعرات القبلية والقضاء على عوامل التميز الخاصة بالمسلمين فى مناطق كثيرة ، ولاننسى أن الإغاثة التى توجه إلى المناطق المنكوبة لم تكن عادلة فهى توجه إلى طوائف كثيرة ويحرم منها المسلمون عمداً.

ومن خلال الصحافة والثقافة والتعليم نجد أن هناك ظلماً شديداً للمنهج الإسلامى؛ إذ يجرى تدريس نظريات المنهجين : الماركسى والليبرالى بتوسع ، ولا تفتح للمنهج الإسلامى الأبواب وهو صاحب البيت والخليق بأن يدرس أساساً، واليوم وقد تحطمت النظريات الماركسية والغربية فى معاقلها، يطالب أهل الغرب بالبحث عن

أيديولوجيات جديدة؛ فإن الإسلام في الواقع هو أقدر المناهج على تلبية مطالب النفس ومطامح الروح ، فضلاً عن تقديم الحلول الإيجابية لمشاكل المجتمعات السياسية والاقتصادية .

۞۞۞

وما تزال قوى التغريب والغزو الثقافى تصب سمومها فى أفق الفكر الإسلامى، وتعرض قضايا ساذجة وأطروحات ملغزة ومسائل فرعية؛ لتملأ الساحة باللغو حتى لا ينفسح الطريق للكلمات الأصيلة، فهناك من يتحدث عن خلو الساحة من الفلسفة، وهل يمكن أن يكون للعرب فلسفة عصرية كالأمم الأخرى، وهناك من يريد أن يصور أنَّ تعرُّض المسلمين لأزمة التخلف قد نتج عن الإسلام نفسه، وهناك من يطرح تصورات الفكر المادى الغربى فى محاولة للإيهام بأن هذا هو المنطلق الحقيقى للمسلمين والعرب، وهناك من يدعو إلى ما يسمى (بالحداثة) عن طريق إحياء الشعر الحر أو القصة المكشوفة، وهناك من يدعو إلى التفسير المادى للتاريخ، ويتخفى وراء كلمات الوطنية والاعتزاز بالإقليم، وهناك من يحاول إحياء مفاهيم القومية بعد أن انكشف فساد هذه الدعوى وبطلان مفهومها الوافد .

۞۞۞

وتجد من يصف الإسلام بالظلامية، مما يمكن أن توصف به الماركسية التى حصدت عوامل الخير والنماء من البلاد التى اعتنقتها وأصابها الخراب، وهل يمكن أن يوصف الإسلام بالظلامية وهو الذى قدم الضياء والنور والخير للبشرية كلها؛ فأخرجها من الظلمات، وكشف عنها الضلال، وفتح لها أبواب الهدى .

الإسلام الذى حرر البشرية من الوثنية والباطنية والإباحية والإلحاد والتعدد هل يمكن أن يوصف بأنه ظلامية؟ .

أى ظلامية حملتها هذه المذاهب التى وصفت الإنسان بأنه حيوان، وأنكرت كرامته، وقال مفكروها: إنه رقيق مستعبد للسادة الذين يجلسون فى القمة، وأنه وقود الحروب ولا ثمن له .

أهى ظلامية الإسلام الذى جاء بالحق المبين وقدم للناس رسالة السماء، وجاء كتابه القرآن ليكشف كل يوم معجزة من معجزاته ، بينما عجزت الأيديولوجيات عن أن

تحقق شيئاً ، وتوالت هزائمها واحدة بعد الأخرى، وحطمت آمال البشر فى مجتمع كريم ؛ فإذا بالناس يهرعون إلى الإسلام فيجدون فيه الأمن والأمان ؛ حيث هو وحده الذى أعطى الإنسان أشواقه ومطامحه ، بعد أن عجزت الأيدلوجيات عن العطاء، وانحرفت بها السبل بينما لايزال الإسلام قائماً وراسخاً منذ أربعة عشر قرناً بأطره الواسعة، وحقائقه الربانية التى تهدى إلى الخير والبر والمرحمة .

أهى ظلامية الإسلام أم أحقاد أهل الظلام وأهل الشمال والعلمانيين والماركسيين والشعوبيين الذين تغلى قلوبهم حقداً وكمداً لما انفرطت من بين أيديهم العقود التى عقدوها وتحطمت الآمال التى بنوها .

لقد جاء الإسلام وأوربا غارقة فى ظلمات القرون الوسطى ألف سنة كاملة فأخرجها إلى نور التوحيد والعلم ، أيمكن أن يوصف الإسلام بالظلامية، أم أنها أسماء الأضداد؛ وحيث يطرح أهل الظلامية أوصافهم وسوءاتهم على أهل النور والخير .

❁❁❁

لقد تبين للمسلمين اليوم حقيقة الخطر الذى لاقوه، والأزمة التى احتوتهم وتكشفت لهم الحقائق؛ وآية ذلك كله أنه لما انحرف المسلمون عن منهجهم الربانى أصابتهم السنة التى لا تتخلف، فقد نزع الله تبارك وتعالى المهابة لهم من القلوب، ونزع منهم التمكن والاستخلاف .

وتبيَّن لهم أن كل ما يثيره التغريب من خلال طرحه مفاهيم العلمانية، والتفسير المادى للتاريخ، وهذه المذاهب الفلسفية المادية من علوم إنسانية وأخلاق وعلم نفس واجتماع لا تصمد أمام حقيقة الإسلام الجوهرية بمفهومه الجامع وتكامله بين الروح والمادة وقدرته الفائقة ومرونته الباهرة فى الاستجابة والالتقاء مع المجتمعات فى مختلف ضروبها، والعصور فى عديد مراحلها .

فكل (تقدم) فى مفهوم الإسلام يجب أن يقوم على أساس التحرر من عبودية غير الله تبارك وتعالى، ومن كل سلطان غير سلطان الله، وأن تجرى حركة التقدم فى إطار أخلاقى، وبتكاملها الروحى والمادى وليس أحدهما .

فالحضارات والمجتمعات إذا انحرفت عن سنن الله تبارك وتعالى سقطت وانهارت ودمرت، وهذا هو منهج القرآن الكريم فى سرد تاريخ البشرية .

وقد تأكد أن ثوابت الإسلام هى الأساس القائم وسط متغيرات الحضارات والمجتمعات .

ومن هنا نجد أننا مطالبون أن نخرج من تبعية الغير، وأن نكون قادرين على امتلاك الإرادة والانتماء إلى قيم الإسلام، وإقامة المشروع الحضارى الإسلامى بعد أن فشل المشروع الحضارى الغربى الوافد ، وإن كل الأحداث التى قد مرت وتمر بنا فى السنوات الأخيرة (حرب إيران والعراق ، الحرب الأهلية فى لبنان ، حرب الخليج) كلها تدفعنا دفعاً إلى التعرف على منهجنا الأصيل، فهو وحده القادر على إخراجنا من الأزمة والمأزق ، ولابد من تكامل العروبة والإسلام ، والانطلاق من حدود الوطن العربى إلى ساحة الأمة الإسلامة، فهى المدخل الحقيقى لبناء الحضارة الإسلامية الجديدة المستمدة من القرآن الكريم وشريعة القرآن ومنهج رسالة محمد صلى الله عليه وسلم خاتم رسالات السماء، والدعوة العالمية الخالدة، ولن يكون ذلك إلا ببناء القوة العسكرية القادرة على الردع ودفع العدو، وإعداد الشباب المسلم إلى مهمة الرباط فى سبيل الله.

وأعتقد أننا نحن المسلمين والعرب قد وصلنا إلى مرحلة الرشد الفكرى التى تقتضينا أن نتحرر تماماً من التبعية لأى نظام غربى، أو رافد من الأنظمة التى فرضت علينا منذ أيام الاستعمار والتى مازلنا عاجزين عن التحرر منها .

ونحن فى الحقيقة لسنا أبناء حضارتين، كما يقول نجيب محفوظ، ولا أتباع ثقافتين، كما يقول زكى نجيب محمود، ولكنا أبناء حضارة واحدة وثقافة واحدة هى الإسلام، الذى جاء ديناً عالميًّا جامعاً ،والذى تحقق به الانقطاع الحضارى عن كل ما سبقه من حضارات ومدنيات حين أرسى مفهوم الإنسان المتحرر من الوثنية والرق :(كلكلم لآدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى) .

أما هؤلاء الدعاة الذين يريدون لنا نهضة داخل دائرة الفكر الغربى؛ حيث لايرون غيره مسيطراً على العالم اليوم فإنهم واهمون، فقد استمسك المسلمون وثبتوا فى موقف الدفاع عن عقيدتهم فى أشد أوقات الأزمة الاستعمارية تفاقماً، و لم يقبلوا دون عقيدتهم بديلاً؛ حتى يأذن الله تبارك وتعالى بالنصر؛ فيزيح الغمة ويكشف الضر عن الأمة .



(٣)

فى مواجهة
محاولة تزييف التاريخ الإسلامى

ما تزال خطة تزييف تاريخ الإسلام والعرب لحساب القوى المتسلطة (الصهيونية والشيوعية والغربية) من الأعمال الضخمة التى قام بها الاستشراق الغربى المسيحى واليهودى .

فاليهودى (جولدزيهر) هو الذى قدم فرية الاقتباس من الفقه الرومانى. وهو اتهام باطل . الإسلام برىء منه، وكان يقصد به الغض من شأن الشريعة الإسلامية .

أما اليهودى مرجليوث فهو الذى كتب (أصول) الإسلام وأصول الحكم الذى قدم باسم الشيخ على عبد الرازق؛ وذلك لهدم الخلافة الإسلامية (وكان قد أعده لإقناع مسلمى الهند بقبول سقوط الخلافة العثمانية) ثم أهداه للشيخ ليصدره باسمه .

❋❋❋

ولقد كانت الخدعة الكبرى هى فرض (مفاهيم) التوراة على التاريخ البشرى ، وفى مقدمة ذلك فكرة (السامية) التى وضعها باحث يهودى بديلاً عن (الحنيفية) الإبراهيمية التى استمدت مفهومها من الدين المنزل ، ثم دعاوى أخرى تحاول أن تخضع تراث إبراهيم عليه السلام كله لأبناء إسحاق دون أبناء إسماعيل، وقد تبين أن علماء أوربا دونوا تاريخ الشرق القديم فى ضوء (التوراة) قبل انتشار البعثات التبشرية وتحليل نتائجها العلمية، وكانوا غالباً يستفيدون من نصوص التوراة؛ بالرغم مما فى هذه النصوص من تناقضات واضحة، وقد أكدت هذه التناقضات بعد ظهور الكشوف الأثرية فى مناطق كثيرة، أن هناك هوة واسعة بين الحقيقة التاريخية وبين ما تخيله الذين عملوا فى نقل التوراة وتحوير نصوصها لغايات أساسية؛ كان القصد الرئيسى منها هو الحط من مكانة الشعوب المعادية لإسرائيل، وتزوير الأحداث لصالح اليهود والغض من شأن العرب.

وبالرغم من الأبحاث الضافية التى كشفت عن مصادر (التوراة) الموجودة الآن وأنها

من كتابات اليهود إبان المنفى البابلى فإن هناك من لا يزال يدافع عنها .

يقول الدكتور أحمد سوسة فى موسوعته الضخمة عن تاريخ العرب قبل الإسلام:«إن من أهم الأكاذيب العلمية التى أوضحتها الاكتشافات؛ توصل الخبراء إلى أن الكثير مما أوردته التوراة من قصص وأساطير وشرائع يرجع إلى أصل قديم، وجد مثاله أو ما يشابهه فى المدونات الأثرية، وأن شرائع التوراة نفسها هى الشرائع التى كان يمارسها الكنعانيون والبابليون من قبل، وقد اقتبسها اليهود منهم ومارسوها ثم أدخلوها فى كتبهم المقدسة » .

وقال : «إن التوراة الحالية كتبها اليهود فى القرن السادس قبل الميلاد ، أى بعد عهد موسى بثمانية قرون » .

❁❁❁

وهناك مؤامرة ما يسمى حركة الكشوف الجغرافية، والواقع أنها حركة تنصيرية تخفى أهدافها وراء ما أعلن من موانى أو مواقع؛ بدعوى الكشف عنها فى العصر الحديث، مع أنها واردة فى كتب المؤرخين المسلمين الذين زاروا هذه المناطق قبل ذلك بأكثر من خمسة قرون .

وكان الإسلام قد وصل إلى شرق آسيا عن طريق التجار المسلمين الذين وصلوا فى القرن الثالث الهجرى - التاسع الميلادى - حيث أسهموا بأخلاقهم ومعاملاتهم وسلوكهم فى إقناع تلك الشعوب الوثنية بالإسلام؛ حتى أصبح المسلمون فى جنوب شرق آسيا يدينون لهؤلاء التجار المسلمين بفضل التعرف على هذا الدين، الذى ناسب فطرتهم وفطرة جميع البشر .

وقد اتسع ذلك حتى تم تأسيس ممالك وسلطنات وإمارات إسلامية ، فى القرن العاشر الميلادى؛ حينما وصلت أولى الحملات الصليبية الأسبانية إليها، وهى التى عرفت باسم الكشوف الجغرافية، وأول هذه الحملات بقيادة (ماجلان) الذى خرج من أسبانيا ووصل إلى الفلبين عام ٩٢٧هـ، وقد استطاع فى البداية أن يتفق مع أحد حكام هذه الجزر على أن يدخل النصرانية مقابل أن يكون حاكماً على كل جزر الفلبين تحت التاج الأسبانى، وبدأ ماجلان يزحف على بقية الجزر حتى وصل إلى جزر ماكنان التى يحكمها أحد السلاطين المسلمين، الذى رفض الاستسلام لماجلان فحدثت بينهما

معركة استطاع فيها هذا الحاكم المسلم أن يقبض على ماجلان ويقتله بيده، ولا يزال قبره موجوداً فى الفلبين، وتوالت بعد ذلك الحملات النصرانية الأسبانية؛ حتى استطاعت بعد سنوات أن تسيطر على المناطق الشمالية من هذه الجزيرة، وأن تنشر بينهم النصرانية، وبقى معظم المسلمين فى الجنوب .

وهكذا حاول ماجلان تنصير المسلمين فقتله السلطان المسلم، وهذه الحقيقة تخفيها كتب التاريخ التى تصور ماجلان مكتشفاً جغرافيًا لم يدخل هذه الأرض أحد قبله .

❁❁❁

وفى جانب آخر تصور الحملة الفرنسية على أنها جاءت إلى الشرق لتمدين المسلمين، وإخراجهم من ظلمات الجهل والتخلف. وهذه أكذوبة كبرى ثبت فسادها، فقد جاءت الحملة الفرنسية عندما أحست أوربا بخطة تجديد الإسلام التى قام بها (البغدادى - الجبرتى الكبير - محمد بن عبد الوهاب - المرتضى الزبيدى - الشوكانى) .

عندئذ - كما يقول الأستاذ محمود محمد شاكر - تجمعت أوربا للعمل على إجهاضها ، لقد نقلوا ذلك إلى ملوك المسيحية الشمالية، وبصروهم بعواقب هذه اليقظة الوليدة ، وبينوا الخطر الداهم الذى جاء يهددهم، فكان العمل السريع المحكم لحصار هذه اليقظة الوليدة وملاحقتها فى مهدها، وتلك عين الاستشراق التى لا تغفل عن أمور المسلمين .

❁❁❁

وهناك اختلاف الوجهة والغاية فى المقارنة بين الدولة الإسلامية والدولة الرومانية، فقد قامت الإمبراطورية الرومانية على استغلال الشعوب المغلوبة لمصلحة روما، والترفيه عن الأباطرة؛ حيث لم يُرَ الرومان فى بطشهم بالناس سواء، ولم يكن العدل الرومانى الذى يتغنون به إلا إنصاف الرومان وحدهم ، أما فى حالة الإمبراطورية الإسلامية -كما يقول (محمد أسد - ليوبولد فايس) - فقد كان الهدف ضمان حرية الاختيار فى ظل المبدأ الإسلامى : ﴿ **لا إكراه فى الدين**﴾ ولم يكن استغلال شعب من أجل الترفيه عن شعب آخر؛ وإنما كان الشعار السائد (لكم مالنا وعليكم ما علينا)، والتاريخ الصادق شاهد على أمثلة عديدة لتأديب أمير المؤمنين للولاة الذين تحوم حولهم شبهة الكسب غير المشروع، أو إيذاء المسلمين، وكان المسلمون يتذكرون جيداً قول

نبيهم عليه الصلاة والسلام : (من آذى ذميًّا فأنا خصيمه يوم القيامة) .

ومن ناحية أخرى فقد سلخت الإمبراطورية الرومانية ألف عام من الزمان حتى تمت واتسعت وبلغت نضجها السياسى؛ فى حين أن الإمبراطورية الإسلامية تكونت فى ثمانين عام ، كذلك فقد تم سقوط الإمبراطورية الرومانية وانهيارها بصورة شاملة على يد الهون والقوط خلال قرن واحد، ولم يبق منها سوى بضعة معالم من الأدب والبناء .

أما الإمبراطورية الإسلامية فقد استشرى فيها الانحلال البطىء الذى استغرق أكثر من ألف عام، ولم يتم الانهيار السياسى نهائيًّا؛ الذى يتمثل فى إلغاء الخلافة العثمانية والتفكك الذى نشهده اليوم فى البناء الاجتماعى الإسلامى ، فإنه لم يقع إلا بعد سلسلة طويلة من المؤمرات الدولية .

إن التماسك الاجتماعى فى العالم الإسلامى أرقى من أى شىء عرفه الناس عن طريق التنظيم الاجتماعى، ويرجع ذلك دون ريب إلى تعاليم القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وإلى سنة النبى الكريم عليه الصلاة والسلام .

❁❁❁

وهناك مقولة أن مصر كانت أول دولة نادت بالتوحيد ، وهى مقولة غير تامة، بل لم يؤمن المصريون بالتوحيد إلا عند دخول المسيحية فى القرن الأول الميلادى، ثم الإسلام فى القرن السابع، وكان أجدادنا القدماء من الفراعنة يؤمنون بتعدد الآلهة . وإنما يرجع فضل المصريين فى أنهم أول من اعتقد بأن الإنسان ليس جسداً فقط، وأن هناك روحاً تترك الجسد عند الموت ، وأن هذه الروح ستعود إلى صاحبها إذا أمكن الحفاظ على الجسد فى حياة أبدية، فقد آمن المصريون بالحياة الآخرة، وبالحساب بعد الموت، ولكنهم كانوا فى نفس الوقت يؤمنون بتعدد الآلهة وبحلول الروح المقدس فى بعض التماثيل والحيوانات أيضاً، وكانت الشمس هى أهم معبود فى مصر القديمة، وحسبما جاء فى الكتب المقدسة؛ فإن إبراهيم عليه السلام هو أول من رفض عبادة الأصنام والنجوم وآمن بإله واحد ، ثم جاء موسى بعد ذلك بالتوراة، والاعتقاد السائد أنه من سلالة إسرائيل ، ودعا قومه ـ وكذلك فرعون مصر وشعبها ـ إلى التوحيد .

وبعد موت موسى ترك أتباعه عبادة التوحيد ، وعبد بنو إسرائيل (ياعال) إله

الفينيقيين وآلهة أخرى ولم يعودوا إلى دين موسى إلا فى القرن السادس قبل الميلاد . وتؤكد المصادر أن إخناتون هو أول من دعا إلى عبادة خالق واحد ليس له صورة ولا تمثال، ورفض الكهنة دعوة إخناتون، وأجبروه على التنازل عن العرش، وعادوا إلى عبادة آمون وآلهة أخرى (أحمد عثمان) .

❁❁❁

ويقول الشيخ محمد الغزالى: «إننا يجب أن ندرس التاريخ الإسلامى على أساس أننا ما هزمنا من أعدائنا، وإنما هو تاريخ أمة فرطت فى أمر الله فعوقبت، وقد بذل أعداء الإسلام جهودهم لينسى المسلمون تاريخهم ، وأنه لكى يكون التاريخ صحيحاً يجب استيعاب الحقائق» ، فليس التاريخ سجلا لوفيات أو حيوات لبعض الناس.

أمر ثالث خطير: هو محاكمة وقائع التاريخ للتوجيهات الإلهية، وأن لا يدرس تاريخ الإسلام غير المسلمين .

❁❁❁



(٤)

الخطاب القرآنى

عرض الإسلام عقيدته فى صورة متميزة ، فقد خاطب فطرة الإنسان بما فى وجوده هو، وبما فى الوجود كله من دلائل وإيحاءات، سواء عن طريق العاطفة أو العقل أو عبرة التاريخ ، وقد فتح منافذ الفطرة الإنسانية لتلقى الموجات المؤثرة ولتستجيب لها ، فهو لم يعرض عقيدته فى صورة (نظرية فلسفية) ولا فى صورة (لاهوت) و لم يعرضها فى صورة جدل كلامى (علم الكلام) .

بل كان يلامس نفوساً آدمية حاضرة وواقعة، ومن ثم لم يكن له شكل النظرية؛ وإنما شكل المواجهة الحية للسدود والحواجز والمعوقات النفسية والواقعية فى الأنفس الحاضرة الحية، وتمثلت العقيدة فى صورة تجمع عضوى حيوى، وتكوين متكامل مباشر للحياة ممثل فى الجماعة الإسلامية ذاتها .

وكأنما أراد القرآن بناء جماعة وحركة وعقيدة فى وقت واحد ، وكان بناء النفوس والجماعات ممتداً على مدى سنوات طويلة تنصهر فيها العواطف والأحاسيس فى أعماق الإيمان بالفداء والتضحية وبذل النفس والمال ؛ حتى يتم إعدادها لمهمتها فى حمل أمانة الدعوة .

❁❁❁

وقد جاء القرآن عربى الخطاب من حيث ألفاظه وتراكيبه، ومن حيث أساليبه البيانية وطرائقه فى التعبير عن المعانى ، يسلك مسلك العرب؛ ولذلك كان الاعتماد فى فهمه على لغة العرب وعلى طريقتهم فى أداء المعانى فى كتاباتهم ومجازاتهم وإثاراتهم وقصصهم وأمثالهم، والاعتماد فى تفسيره إنما يكون على الفهم العربى، فقد نزل - كما يقول الدكتور محمد المبارك - على معهود العرب فى ألفاظها الخاصة وأساليب معانيها.



خاطب القرآن العقل والوجدان والعاطفة

ـ خاطب العقل؛ لأن من الناس من لا يؤمن إلا بالدليل العقلى ﴿**لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدتا** ﴾ .

ـ خاطب الوجدان؛ لأن من الناس من لا يحفزه إلى الانقياد إلا ما يحرك وجدانه ويثير فيه جانب الرغبة والرهبة .

﴿ **وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم**﴾ .

ـ وخاطب العاطفة؛ لأن من الناس من لا يستجيب لدعوة الخير إلا إذا خوطب بما يهز العاطفة، ويوقظ فى نفسه كوامن الحب والشفقة والرحمة .

﴿**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً** ﴾ .

﴿ **وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم**﴾ .

❁❁❁

الخطاب العربى متجه إلى العرب بخاصة، فقد اقتضت حكمة ا لله تبارك وتعالى أنه يأتى كل رسول بلسان قومه ، فالإسلام كان البديل لواقع عربى أصابه الاختلال فى العقيدة والسلوك قبل الإسلام، وكانت النتيجة خير أمة أخرجت للناس .

كما أن القرآن خطاب للعرب وحدهم يدعوهم إلى الرسالة الخاتمة التى هى امتداد للحنيفية السمحاء ، ملة أبيهم إبراهيم ، كما حملهم مسئولية تبليغ الدعوة فى المشارق والمغارب .

الرسالة للعرب والبلاغ عالمى :

عندما تلقى النبى الكريم القرآن من لدن حكيم خبير وبلغه لقومه، عرفهم مسئوليتهم فى البلاغ عندما وجه رسائله إلى كسرى فارس وقيصر الروم والمقوقس بمصر والنجاشى بالحبشة وغيرهم .

وقد أكد الله تعالى عروبة اللسان القرآني ، فمصلحة العرب وحكم بيئاتهم ، كل ذلك اقتضي نزول القرآن بلسان عربي مبين ، قال تعالى : ﴿ **ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى** ﴾ ،

﴿ إنا جعلناه قرآنًا عربيًّا لعلكم تعقلون ﴾ .

إن العرب أمة الرسالة ، والبشرية كلها أمة الدعوة والبلاغ .

لقد حمل العرب مسئولية البلاغ ، فحملوا ألوية الدعوة إلى المشارق والمغارب، وهدوا القلوب والعقول وعربوا الألسنة؛ حتى رأينا من غير العرب من مهروا فى لسان القرآن ؛ حتى بلغوا شأو أهله أو قاربهم .

❁❁❁

وليس من شك فى أن أولى الحقائق الأساسية التى تُشكّل وجود المسلمين كله هى الإيمان بأن القرآن هو دليل حياتنا، ومنطلق حركتنا وغاية وجهتنا ؛ فلذلك يجب ألاَّ نغفل عنه لحظة ولا نتجاوزه .

نقول هذا ونؤمن به إيماناً لا يتسرب إليه الشك؛ لأن أعداءنا قد عقدوا العزم على تحطيم هذه العلاقة بيننا وبين القرآن، ومحاولة إيجاد فجوة واسعة تحول بيننا وبين التماسه والاهتداء به، فقد تأكد لهم من واقع التاريخ الإسلامى، ومن حركة المجتمعات الإسلامية أن هذه العلاقة هى المقياس الوحيد للنهضة أو النكسة ، وأنه طالما استلهم المسلمون قرآن ربهم فى حركة الحياة فإنهم لن يضلوا ولن يذلوا؛ فهو المنار الهادى فى محيط زاخر تحيط به الظلمات من كل جانب ؛ ليخرج الناس إلى النور بإذن ربهم .

ومن هنا كانت تلك الحرب المعلنة عليه منذ اليوم الأول لنزوله، ومنذ سيطرت آياته وكلماته على القلوب والعقول فأسلمت وجهها لربها، فلم يلبث الإسلام أن امتلك مشارق الأرض ومغاربها، من حدود الصين إلى نهر اللوار فى أقل من ثمانين عاماً، على ذلك النحو الذى أزعج الغرب ودفعه إلى إعلان الحروب الصليبية، التى امتدت قرنين كاملين، قال على أثرها لويس التاسع بعد هزيمته فى المنصورة : «إننا يجب أن نعدل خطتنا، فالمسلمون لا يهزمون بحرب السلاح ، وعلينا أن نبدأ (حرب الكلمة) التى ترمى إلى تزييف قيم الإسلام ومفاهيمه، وإدخال التأويل والتمويه ومفاهيم الفكر الباطنى والوثنى والإباحى» ، وكان القرآن الكريم هو الهدف الأول ؛ وذلك حين وقف (بالمرستون) فى مجلس العموم البريطانى وقال كلمته المشهورة وهو يحمل المصحف فى يديه: «إنه لن يقر لنا قرار ما دام هذا الكتاب باقياً فى الأرض»، لقد كشف القرآن زيف الأديان التى انحرفت، والفلسفات والعقائد والنحل التى عرفتها

البشرية كلها، وفضح الذين حذفوا وأضافوا، وتقولوا على رسالة الله تبارك وتعالى فى محاولة مضللة لتزييف سنن الله تبارك وتعالى فى قيام الأمم والمجتمعات وسقوطها .

وما تزال الحرب مستمرة، وما زال الأبرار من أهل الحق يكشفون الزيف ويصححون المفاهيم، ويحررون القيم من مغالطات وأضاليل وأكاذيب أعداء الإسلام، الذين أزعجتهم الصحوة الإسلامية، التى أخذت تعيد كلمة (التوحيد الخالص) إلى مكانها الذى انحرفت عنه، وتؤكد منهج الشريعة الإسلامية الذى حجبته القوى الغادرة المسيطرة على الأمة الإسلامية منذ قرن ونصف من الزمان .

وليس لنا سند فى هذه المعركة إلا خطاب القرآن بمفهومه الجامع المتكامل بالسنة المطهرة وفق مفهوم أهل السنة والجماعة .

❁❁❁

ذلك أن القرآن قد وضع الفكر الوثنى والإباحى والمادى كله (اليونانى والفارسى والباطنى) جميعاً موضع الشك، وكشف زيفه وفساد مقولاته؛ فتحطمت مقوماته مهما عمل البعض على إحيائه ، وحاول خلطه بالفكر الإسلامى ، فقد ظل هذا الفكر قاصراً وعاجزاً؛ ثم جاءت الفلسفة المادية الحديثة ؛ ليتساقط الإنسان فى مقولاتها الاجتماعية والاقتصادية جميعاً .

وقد أحس الناس بعد حصارها الشديد الذى امتد طويلاً بعجزها عن العطاء، فذهبوا يبحثون عن الأمن والسكينة فلم يجدوا غير القرآن الكريم .

❁❁❁

لقد قدم الخطاب القرآنى للإنسانية وللمؤمنين به حقائق هامة :

أولاً : نبه القرآن العقول إلى استخدام أنواع النظر العقلى المختلفة . كما دعا إلى استنباط النتائج التى ثبتت صحتها فى معرض الاستدلال على العقائد النظرية، فهو يدعونا إلى استخدام المشاهدة الحسية، واستقراء الجزئيات فى عالم الطبيعة؛ ليصل بنا إلى معرفة القوانين العامة التى تسير هذه الطبيعة بمقتضاها .

ثانياً : قدم القرآن لنا قاعدة الاعتبار: ﴿**فاعتبروا يا أولى الأبصار**﴾ والاعتبار هو القياس بنوعيه العقلى والفقهى .

ومن الآيات التى تنبه إلى استخدام الاستقراء والنظرة الفاحصة للأشياء وكيف تتركب قوله تعالى : ﴿ **أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت** ﴾ .

ثالثاً : قدم قوانين لا تتبدل للنظام الكونى:

﴿**لاالشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار**﴾ .

وكذلك الإجماع البشرى له قوانين لها نفس الأجزاء والبنيات:

﴿**إن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾ ، ﴿**سنة الله التى قد خلت من قبل** ﴾ ، ﴿**فطرة الله التى فطر الناس عليها** ﴾ .

كذلك دعاهم إلى الاستفادة من تجارب الأمم الأخرى فى مجال العلوم ، وقد رأى المسلمون عاقبة أمرهم ، عندما أهملوا العلوم الكونية وكيف اضمحلت أحوالهم السياسية والاقتصادية والعمرانية بوجه عام، وتفوق عليهم الأوربيون بما اكتشفوه من أسرار الطبيعة وما استحدثوه من معطيات علمية .

❁❁❁

ولقد كان من أعظم عطاء القرآن الكريم الكشف عن عظمة الله تبارك وتعالى وضآلة الإنسان المنتفخ المغرور .

ولذلك كانت ضرورة عناية الباحثين بالجوانب العلمية فى القرآن الكريم؛ لأنها تحد من غرور الكثيرين ممن راحوا يدعون أن هذه الفتوح التى تحققت ترجع إلى أسباب طبيعية، ناسين أو متناسين فضل الله تبارك وتعالى فيها .

ومن هنا، فإن الحقائق القرآنية يجب أن تكون مدخلاً لتحقيق مطلب عظيم هو أسلمة العلوم؛ حيث تصور العلوم الغربية الأكوان كأنها سائرة بنفسها، وكأن معطياتها أمور طبيعية .

إن كشف معجزات الخالق تبارك وتعالى فى أمر الإنسان وتركيبه البيولوجى، وهذه الملايين من القنوات الدقيقة، وملايين الخلايا فى المخ، ومعجزات الخلق فى الآفاق والكون، واكتشاف ملايين المجرات، كل هذا يزيف فكرة (الطبيعة) التى نراها مبثوثة فى كتب العلوم، والتى تعلم لأبنائنا؛ حيث توضع كلمة الطبيعة بديلاً عن كلمة الله

تبارك وتعـالى، مع أن الطبيعة من خلق الله تبارك وتعالى وتصريفـه ، فالطبيعة هى سنن الله تبارك وتعالى فى الكون ، ولاتكون بديلاً عن الله الخالق المبدع .

وقد حصر بوكاى فـى بحثه عن الكتب المقدسـة أكثر من مائتى آيـة قرآنية تتحدث فى المجالات العلمية المختلفة ، وكيف أنها توافق نظريات العلم العصرى .كما أشار إلى تناقض الكتـاب المقدس مع حقـائق العلم، ومـا يحملـه من ألفـاظ وقصص غـير مهذبة، يستحى اللسان البشرى من ترديدها .

❁❁❁

ومن أخطر مادعـا إليـه القرآن تحرير الفكر من قيود الوثنيـات والأسـاطير، فقد دعا إلى طرح التقليد ؛ لتحرير الفكر من قيوده، ومن المعطيـات الباطلة الموروثة التى سبقت نزوله:

﴿وإذا قيل لهم اتبعـوا ما أنزل الله قالوا بل نتبـع ما ألفينا عليـه آباءنا أو لو كان أباؤهم لايعقلون شيئاً ولا يهتدون ﴾ .

فقـد نعـى القرآن علـى أولئـك الذين محـوا شـــخصياتهم وخضعـوا خضوعــاً تامًّـا لأحبارهم ورهبـانهم: **﴿اتخذوا أحبـارهم ورهبـانهم أرباباً مـن دون ا لله﴾**، كما نعى الذين عطلوا حواسـهم وعقولهـم، وركنوا إلى التقليد الأعمى؛ بـأنهم كالأنعام أو أضل سبيلاً: **﴿ لهم قلوب لايفقهون بها ﴾** الآية .

كمـا تحدى المقلدين للعقـائد الباطلـة الموروثـة: **﴿قل هـاتوا برهـانكم﴾**، وإذا كان القرآن ليس كتاباً فى المنطق أو مناهج البحث؛ فإنه يحتوى على الأصول العامة للدلائل العقلية (أما تفصيلاً فليس من وظيفة القرآن أن يتعرض لها) .

ويمكن القول بأن القرآن قدم المناهج العلمية التالية :

١ ـ المنهج التجريبـى ـ فى مواجهة منهج القياس اليونانى . (وهو الذى أنشأ قاعدة بناء الحضارة العالمية الحديثة) .

٢ ـ منهج الغيب (الميتافيزيقـا) ؛ حيث قدم مفهومـاً كاملاً لعـالم الغيب، يقضـى به على جميع الأسـاطير والخرافات والتصـورات التى قدمها الفلاسـفة، ويفتح الطريق أمام الإنسان للقيام بالبحث عن عمله الأساسى فى هذه الحياة وهو العمران .

٣ - منهج تحرير الإنسان من عبودية الإنسان ؛ ليكشف عن فساد منهج الحضارات الرومانية واليونانية والفارسية والفرعونية، التى كانت تقوم على مبدأ الرق واستعباد الناس وقيام السادة على القمة (كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى)

٤ - منهج بناء الأمم والحضارات وسنن الله تبارك وتعالى فيها، وهو يكشف عن أن الأمم والحضارات والمجتمعات التى تخرج عن سنن الله وقوانينه لابد أن تدمر، وأن الأمم التى تنحرف إلى الفساد والإباحة والترف لابد أن تزول .

٥ - منهج التوحيد الخالص .حيث قدم الإسلام منهج التوحيد الخالص المتحرر من كل عبودية أو تبعية لغير الله، وبديلاً عن مفاهيم الإلحاد والتعدد والتثليث والشرك .

٦ - منهج المعرفة ذى الجناحين فى مواجهة الانشطارية . فقدم القرآن منهج التكامل الجامع بين الروح والمادة والعقل والقلب والدنيا والآخرة.

✿✿✿



(٥)

للثقافة الإسلامية ذاتيتها الخاصة

إن الدعوى الباطلة التى تقول بعالمية الثقافة، هى خنجر مسموم يراد به تحطيم ذاتيتنا الإسلامية الخاصة، التى تختلف فى جوهرها ومظهرها عن الثقافات العالمية؛ لقيامها على أساس مختلف هو القرآن الكريم من خلال دعوته إلى التوحيد الخالص، وأخلاقية التعامل الاجتماعى، وهما جماع الروح والمادة والعقل والقلب؛ ولذلك فإن تداخل الثقافات الغربية والوافدة مع ثقافتنا الإسلامية الأصيلة من شأنه أن يحقق للنفوذ الغربى سيطرة واحتواء يؤدى إلى تدمير القيم الأساسية التى يَقُوم عليها التصور الإسلامى .

ومن هنا كانت أهمية المحافظة على ذاتية ثقافة الأمة لاختلاف مصادرها ومواريثها وجذورها الإسلامية القرآنية - عن الأمم الغربية التى تستمد مصادرها من الفكر اليونانى والقانون الرومانى والفلسفة المسيحية (غير المنزلة).

فالمحافظة على الكيان الثقافى الإسلامى هو أساس بناء الأمة واستمرار هويتها الحقيقية (وهذا يتطلب إعادة النظر فيما تحويه الكتب المُدَرَّسَةُ والمترجمة من المعلومات الخاطئة عن الإسلام) .

وهناك دعوة مثارة اليوم (وهى دعوة ظالمة) إلى تخفيف الضوابط الثقافية، والسماح بإدخال عناصر غربية وافدة، وإقامة التبادل الثقافى .

ونحن نعلم أن أمتنا ليست فى مستوى القدرة على فتح باب التبادل الثقافى اليوم ، ونحن فى حالة الضعف التى يعانى منها الشباب المسلم الذى لم يتمكن بعد من استيعاب قوانين النقل والاقتباس على النحو الذى يحفظ له أصالته .

ونذكر فى هذا المجال ما أوصى به أساقفة تولوز -جنوب فرنسا- الشباب الأوربى المتوجه إلى جامعات المسلمين فى الأندلس بالحرص على التحفظ نحو المعتقدات الإسلامية، والاكتفاء بنقل العلوم وحدها؛ حيث يعترف هذا الوفد بتقدم هائل للمسلمين وتفوق مذهل فى مختلف النواحى العقلية، وكذلك تفوق عقيدتهم الدينية

على المسيحيين؛ الأمر الذى اضطرهم إلى الهرب ليلاً من قرطبة خوفاً على عقيدتهم الدينية من أن تتأثر بعقيدة التوحيد .

فهذه الدعوة ترمى إلى أن يترك المسلمون جذور ثقافتهم بدعوى أنها موروثات تعيق التحديث، وهم فى هذا المجال يغمزون منهج التعليم الإسلامى فى الحفظ والتلقين الذى هو جزء من عمل جامع متكامل يضم فى الناحية الأخرى الخاصة بالاقتباس والانفتاح على الثقافات الأخرى .

فالمسلمون منذ وقت بعيد يؤمنون بتقبل كل جديد شريطة ألاّ يتعارض مع قيمهم الأساسية والثوابت، أما فيما عدا ذلك فهم يأخذون من الحضارة الحديثة أفضل ما عندها من العلم والتكنولوجيا وحسن الإدارة والتنظيمات، مع تجنب ما أصابها من الوهن والانحلال فى نواحى الإيمان والأخلاق الإنسانية .

فالعقيدة الإسلامية ترفض نمط الاستهلاك والاستمتاع المسرف المترف، وتقرر أن فى الحياة غايات أخرى أكبر من مجرد المتعة والجرى وراء المنافع المادية .

وحين يأخذ المسلمون من الغرب ما يرونه لا يتعارض مع قيمهم فإنهم يجعلونه بمثابة مواد خام يصهرونها فى إطار ثقافتهم .

❁❁❁

أما الدعوة إلى تقبل المزج والتوفيق بين ثقافة الإسلام وثقافة الغرب فإن لها محاذير خطيرة؛ لأن الغرب حين أخذ علوم المسلمين فى الأندلس لم يأخذها على نحو متكامل؛ بل أخذ الجانب التجريبى وأهمل وأضاع جانب الحكمة أو الغاية التى كان علماؤنا ينشرونها مع العلم التجريبى، فأخذوا الوسائل وتخلَّوا عن الغايات، فلا غرابة على حد قول الدكتور إسماعيل الفاروقى :

«إذا تحولت هذه الثقافة إلى وسائل تستنفد طاقات الإنسان وجهده في طلب العلو فى الأرض، والاستعلاء على خلق الله فإن هذا يولد الغرور ومن هنا فإن هذه الخصائص للثقافة الغربية تجعلها غير صالحة لقيادة الإنسانية؛ ولذلك فإن العالم يتطلع إلى البديل عن تلك الثقافة الخطيرة الآفلة » .

❁❁❁

أما الثقافة الإسلامية فهى ثقافة متوازنة بين الفرد والجماعة وبين العقل التجريبى والعقل المعرفى ، تؤمن بأن الموت غاية كل حى ، فلا تكون الحياة فى نظر الإنسان شيئاً لا معنى له كما أوحت بذلك الثقافة الغربية، أو شيئاً ينبغى أن يتخلص منه الإنسان ولو بالجنس أو الانحراف والسعى وراء العدم .

إن الخطر الحقيقى هو اختلاط الثقافتين الإسلامية والغربية فى العصر الحديث على النحو الذى جعلها ثقافة مزدوجة، وقد حمل هذا الازدواج كثيراً من المتناقضات والمواقف المضطربة التى تجعل الإنسان يكتشف بسهولة أن الثقافة الغربية اليوم هى ثقافة الإنسان الغالب القوى المسيطر على العالم الحديث، وقد جعلت هذه الثقافة الإنسان (الفرد) مركز الدائرة فى كل شىء ، وجعلت منه ومن لذاته ورغباته جوهر كل موضوع ومقياس كل شىء .

هذه الثقافة مستمدة من فلسفة أفلاطون التى تفصل المادة عن الروح وتعتبر الجسد سجناً للروح ، وعليها أن تعمل جاهدة على الانفكاك عنه والتخلص من ضغوطه، كما جعلت من المنطق الأرسطى مصدرًا للعلم والمعرفة فصاغت هذه الثقافة هذا المزيج من الفلسفات صياغة خاصة جعلهم لايحلمون إلا بالسيطرة على كل الوسائل والغايات الإنسانية التى تخدمها، ولم يعد لحملة هذه الثقافة من هدف ظاهر أو باطن فى الحياة إلا النمو الاقتصادى والتفوق السياسى والعسكرى الذى أصبح خطراً يهدد العالم بالفناء .

❁❁❁

ولقد أصبح واضحًا الآن بعد جهاد حركة اليقظة أن هناك تمايزاً بين الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية، وأن للمسلمين ذاتية خاصة تكونوا فى إطارها، ولن يمكن إخراجهم منها مهما بلغت حدة المحاولات التى ترمى إلى تحطيم طابعهم الخاص ووجودهم المستقل، وقد كان القرآن قادراً على تمكينهم من استعادة قدرتهم على المقاومة .

وما نخشاه هو أن تكون هناك محاولة ليقدم مفهوم للإسلام مفرغ من مضمونه الصحيح للالتقاء فى منتصف الطريق مع التغريب، ويزداد كل يوم الاعتقاد بصحة هذا الهدف؛ حيث أخذ جماعة من الماركسيين يتصدرون مجال الحديث عن الفكر الإسلامى

والتراث ؛ مما يزكى ما قاله بعض قادة الإسلام من أن هناك محاولة لفرض تفسير غربى) على الإسلام وتقديمه للمنطقة .

❁❁❁

وقد كان النفوذ الأجنبى قد عمد أول ما عمد إلى هدم ثلاث دعائم فى كيان الأمة الإسلامية :

أولاً : حجب الشريعة الإسلامية فى نظام الحكم .

ثانياً : تغيير نظام الاقتصاد بفرض الربا .

ثالثاً : تغيير مناهج التربية والتعليم، وإخراج القرآن والإسلام من هذا البناء الثقافى وتفريغه من روح الإيمان بالله تبارك وتعالى، ومنهج التكامل والترابط بين القيم وأخلاقية أسلوب الحياة .

❁❁❁

كذلك فقد طرح النفوذ الأجنبى فى أفق الفكر الإسلامى حصاداً مختلطاً من الفكر اليونانى والرومانى والمسيحى والغربى؛ لإثارة الشبهات وزلزلة النفوس وإثارة الشكوك فى القلوب، ولكن علماء المسلمين واجهوا هذا الفكر وكشفوا زيغه وأبانوا عن عواره وفساده وعجزه عن العطاء فى مواجهة شمول الإسلام وسماحته وسعة أفقه .

ولا ريب أن الدعوة المثارة فى دوائر التغريب اليوم إلى العالمية والإنسانية هى دعوة مضللة ؛ لأنها تحاول أن تجتذبنا إلى الوقوع تحت سيطرة الثقافة الغربية التى تفرض نفسها بالنفوذ السياسى والعسكرى على العالم .

وهى محاولة قديمة بدأتها الماسونية وحملت لواء ها البروتوكولات، وتدعو لها اليوم منظمة اليونسكو؛ بهدف تدمير ذاتية الأمة الإسلامية وثقافتها الخاصة، واحتوائها فى الفكر الأعمى الذى يقضى على أبراز مميزاتها؛ وهو الارتباط القائم بين الروح والمادة والعقل والقلب؛ والذى لايقر نظرية العلمانية أو يلغى الغيب .

وقد عاشت الثقافة الإسلامية على مدى أربعة عشر قرناً وهى قادرة على ألاَّ تستسلم إزاء الغزو الفكرى، أو محاولات الاحتواء التى منيت بها الأمة الإسلامية منذ ترجمة الفلسفات اليونانية والفارسية والهندية (وهى مخلفات الفكر الوثنى المجوسى القديم) فكر طفولة البشرية الذى جاءت الأديان السماوية للقضاء عليه والكشف عن زيفه .

وقد أعـان الإسـلام أهله على حمايـة أنفسـهم من هذا الخطر، والقـدرة على مقاومة الاحتواء والسعى إلى كسـر طوق الحصار ، والعمل على إعلان طابعه الخاص ، الربانى المصدر ، الإنسانى الوجهة ، العالمى الغاية .

وقد أعطى الإسلام معتنقيه أمرين :

أولهما : القدرة على الخروج من الحصار .

ثانيهما : القدرة على إعادة تصحيح المسيرة

وقد أكد القـرآن الكريم والسنة المطهرة على العوامل القادرة على إخراج هذه الأمة من الاحتواء والحصار

والقاعدة هى : أنه كلما الْتَمَسَتِ الأمة الإسلامية منهج الله تبارك وتعالى مكن الله لهـا فى الأرض، وأنهـا كلما تجـاوزت المنهج أصابهـا الزلزال والاضطراب ؛ حتى تعود إلى الله .

❁❁❁

وتقوم الثقافة الإسلامية على أسس رصينة خالدة :

أولاً : التكامل الجامع (ولا أقول : الشمولية) بين القيم

ثانيًا : اعتماد قاعدتىّ: الربانية والأخلاقية أساساً لحركتها منذ المنطلق إلى العودة .

ثالثاً : إقرار بُعْدِ المسئولية الفردية والإيمان بالبعث والجزاء

رابعـاً : القدرة على الانتقـال من الفرديـة إلى الجماعية، والتكـامل بين حقوق الفرد وحقوق المجتمع .

خامساً : قيام المجتمع الربانى الخالص المتحرر من الربا والفسوق والإباحة .

سادسـاً : تكريـم المرأة وإعطائهـا حقهـا، وإقـرار مسـئوليتها الكاملـة إزاء البيت والأسرة والزوج والأبناء .

سابعاً : حماية الأجيال الجديدة وتربيتها على أساس الإيمان بالله تبارك وتعالى .

ثامناً : الإيمان بأننا نحن المسلمين لنا مفاهيم أساسية لكل القيم، وخاصة (قيم التقدم والحرية والشورى والعدل الاجتماعى) تختلف عن مفاهيم المذاهب الغربية، وتمتاز بأنها

تكامل من الوجهين المادى والمعنوى، وأنها خالصة لوجه الله تعالى .

تاسعاً : المحافظة على الذاتية الإسلامية وحمايتها والحيلولة دون احتوائها أو سقوطها.

عاشراً : كفالة المجتمع الإسلامى لمختلف عناصره، بالزكاة والصدقة والعمل الصالح.

❁❁❁

أما بالنسبة لدعوى عالمية الثقافة فنحن نؤمن بوحدة البشرية فى التكوين العام، ولكن الأمم تختلف باختلاف العقائد والمفاهيم التى جاءت بها الأديان، وهى أساس الثقافة الحقيقى؛ ومن هنا فإن الدعوة إلى وحدة الأديان ووحدة الثقافة ووحدة الفكر أو الحضارة هى أمور يجب أن تدرس بحذر وتؤخذ من الغرب بتحفظات ؛ ذلك لأن الثقافة الإسلامية ليست فى مرحلة القدرة على الإبانة عن نفسها أو الدفاع عن وجودها .

فى حين أن أدوات الإعلام والدعوة الغربية أكثر قدرة على السيطرة والاحتواء بالباطل؛ ولذلك فإن مرحلة البحث عن عالمية الثقافة لاتجىء إلا بعد أن يتمكن الإسلام من مثابرة أدواته فى بلاده ومن قدرته على إبراز مفاهيمه الأساسية التى تختلف اختلافاً عميقًا عن مفاهيم الغرب، وخاصة بالنسبة لمفاهيم التوحيد والعدل الاجتماعى والشورى والإخاء الإنسانى .

✿✿✿

(٦)

منهج الوسطية والتكامل الجامع

رأى العالم قبل الإسلام وبعده نظامين منفصلين : نظام روحى خالص فى الهند وآسيا بمفاهيم الهندوكية والبوذية وغيرهما، ونظام مادى فى الغرب فى العصر الحديث بديلاً لنظام الرهبانية الذى عرفته أوربا فى العصور الوسطى .

ولكن الإسلام وحده هو الذى أقام نظاماً جامعاً بين الروح والمادة، وقدم مفهوماً عدلاً سمحاً فى الربط بين الرغائب المادية والأشواق الروحية، وهو الذى يمثل الفطرة الإنسانية فى بساطتها .

وقد كان «الوسط» فى مفهوم الإسلام هو الحق بين باطلين، والعدل بين ظلمين خلافاً لمفهوم الوسطية الأرسطية الذى يقول بالوسط بين رذيلتين .

الوسط فى الإسلام هو الاعتدال الذى يرفض الغلو، ويقوم بعيداً عن الإفراط والتفريط؛ حيث يرفض مفهوم الغرب القديم فى الرهبانية المسيحية، وواقع الغرب اليوم فى التحلل والإباحة .

ويجمع الإسلام بين الروح والجسد ، وبين الدنيا والآخرة، وبين المقاصد والوسائل، وبين الثابت والمتغير ، وبين القديم والجديد، وبين العقل والنقل ، وبين الحق والقوة وبين الدين والعلم، وأبراز مفاهيم الوسطية الإسلامية يتركز فى الربط بين الفكر والتطبيق ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون**﴾ .

والإسلام هو الذى أقر قاعدة الثوابت والمتغيرات،وجعل المتغيرات تتحرك فى دائرة الثوابت .

وقد جعل الإسلام قاعدة **(الأخلاقية)** هى نبراس منهجه كله، سواء فى مجال الاقتصاد أو التربية أو بناء المجتمع أو الفرد .

وأقر ثبات الأخلاق، فجعل - مثلاً - الغنى قائماً على القناعة المستمرة ، وليس على شعور اللحظة المتغيرة .

كما جعل الفن يخضع لقاعدة فقهية أصيلة هى أن (حسنه حسن ، وقبيحه قبيح) .

ولا توجد حرية مطلقة للكُتّابْ أو رجال الفن ، بل هناك حرية منضبطة ، لها حدود دينية وأخلاقية واجتماعية؛ وحيث تقف هذه القيم متصارعة : العلم والدين ، والعقل والقلب ، والروح والجسد ، والدنيا والآخرة ، فهى فى الإسلام تتكامل وتلتقى.

وكذلك فإنه ليس فى الإسلام صراع بين العقل والنقل، فهما متكاملان، فالنقل هو الوحى (قرآن وسنة)، والعقل فى الإسلام مصباح زيَّنه الوحى ، فلا تعارض .

ويتميز الإسلام بهذه الميزة الفريدة التى لاتوجد فى أى من المذاهب أو الأديان أو الفلسفات؛ وهى جمعه بين العناصر التى تبدو مختلفة أو متعارضة ؛ لأنه بتكامله المتميز يجمع بين طرفى الأمر : (قبضة الطين ونفخة الروح) .

وعلى هذا ، ففي الإسلام التكامل الذى ينقص الفكر الغربى الذى يقوم على المادة وحدها، والفكر الهندوكى والبوذى الذى يقوم على الروح وحدها .

ومن هنا كانت تلك الدعوة المسمومة التى يوجهها الاستشراق والتغريب إلى المسلمين، بالنظر إلى الماضى نظرة الاستهانة؛ بل يدعو المسلمين إلى تجاهله جملة .

والماضى هنا هو الدين والميراث الربانى كله بوصفه قديماً ، ظنًّا منهم أنه شبيه بميراث الغرب فى تراثه الوثنى، وما يحمله من أساطير وخرافات وأضاليل .

هم يريدون من المسلم أن ينسى ماضيه جملة ، وهل يمكن أن يتغلب الحاضر على الماضى فينتزع المسلم من تاريخه وتراثه وعقيدته وقيمه؛ جرياً وراء مظاهر البريق الخاطف فى الحاضر ، وهل يمكن أن يكون للحاضر قيمة إلا إذا كان منطلقاً من الماضى مقيساً عليه، وهل يستطيع الإنسان ـ أى إنسان ـ أن يشعر بالأمن والأمان وسكينة النفس وهو منفصل عن مواريثه، إن المسلم إذا فعل ـ كما يفعل الغربيون ـ فإن شعوراً بالغربة والقلق والتمزق سوف يتملكه على النحو الذى عرفه العبثيون والملاحدة .



إن هنـاك فوارق عميقـة بين العقيدة الربانيـة ممثلـة فى الإسـلام والفكر البشـرى فى ماديته ووثنيته ، أهمها :

١ ـ ثبات الأصول وتغير الفروع والوسائل في الإسلام .

٢ ـ أن الإسلام ليس ديناً فحسب ، ولكنه نظام اجتماعى كامل .

٣ ـ أن نظريـة المعرفـة فـى الفكر الغربى تقوم علـى أبعـاد ثلاثـة :المعرفـة الحسـية والمعرفة العقلية . والمعرفة الإشراقية .

أما فى مفهوم الإسـلام فيتحتم أن يضـاف بعد رابع : هو المعرفـة عن طريق الوحى الإلهى .

❁❁❁

كذلك فقد حاول دعـاة التغريب التشكيك فى قدرة الإسـلام على العطاء بعد هذه الفترة القليلـة من التوقف الاضطرارى الذى كان النفوذ الغربى هـو الحاجب لها، وهى فترة لم تزد على مائـة عام استيقظ بعدها المسـلمون وطالبوا بتصحيح الأوضاع وخطوا فى سـبيل ذلك خطوات واسعة وإن كـانت محدودة؛ لأن قوى كثيرة تحول دون تحقيق غايتهم .

أمـــا الذين ادعـوا أن منهج الإســـلام توقف عنـد خلافـة عمر فقـد كـانوا مضلين كـاذبين، فقد شـهد علمـاء بعثـة الحملـة الفرنسـية أن حدود الإسـلام كـانت تقام قبل وصولها، وقد سجل الجبرتى أكثر من حادث فى هذا الصدد .

❁❁❁

لقد كان إضعاف الأمـة الإسلامية وتقسـيمها على أسس عرقيـة ودينية وطائفية هو المخطـط القديم الذى لم يتوقف النفـوذ الغربى عن تحريكـه، والهدف هـو ألاّ تتاح لهذه الأمـة القـدرة على امتلاك إرادتهـا، أو اسـتخدام مواردهـا ، أو بنـاء قوتها الذاتيـة التى تحمى أرضها وتذود عن حوضها، وتسترد الأجزاء المحتلة وفى مقدمتها بيت المقدس .

إنـه مخطـط قديم تحتضنـه الصهيونيـة العالميـة والشـيوعية والغـرب جميعاً؛ يهدف إلى تمزيق الأمـة الإسـلامية إلى كيانـات طائفيـة تكون عـاجزة عن المقاومـة أو الدفـا ع عن نفسها؛ وبذلك تتمزق وحدتها الجامعة .



ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل امتد إلى كتابة أبحاث قائمة على الطعن على الإسلام تحت اسم حرية البحث العلمي، والتشكيك في قيمة الفقه الإسلامي، واللغة العربية وعجزها عن مسايرة التطور العلمي، ولقد عمدوا إلى أكثر من وسيلة لتزييف مفاهيم الإسلام، وكان التبشير والسيطرة على التعليم هو الخط الثاني لتمزيق وحدة الأمة الإسلامية، أما الأولى فكانت الدعوة إلى إقامة الكيانات الطائفية الضيقة .

هذا بالإضافة إلى دعوة الحوار، ودعوة توحيد الأديان، وتحديد نسل المسلمين، وإذاعة الفلسفات المادية والإباحية ممثلة في دارون وفرويد وماركس ودوركايم وسارتر .

ولقد ظن البعض أنه إذا كانت بعض المناهج الوافدة قد استطاعت أن تمتد عقدًا أو عقدين أو جيلاً أو جيلين فقد أصبحت مقبولة، وأن دخائلها قد فرضت نفسها فحولت مفهوم الإسلام عن أصالته وذاتيته الخاصة، وأنها صبغته بصبغة أخرى ؛ لتجعله شبيهاً بأديان اللاهوت أو الأديان البشرية فإن ذلك كله لم يكن ليستمر أو يمتد إلا قليلاً حتى كشفه ضوء القرآن القائم على أمر المسلمين بالحق، والذى هو المنار الذى يهدى إلى الخير وطريق الله العزيز الحكيم .

والواقع أن منهج الإسلام هو منهج متميز مستقل له ذاتيته الخاصة منذ بزغ فجره ، وأنه كان شديد الحرص على ألا ينصهر فى أى منهج آخر مهما بدا له بريق شديد يخطف الأبصار .

ولقد كان أكبر مجاهدات علماء المسلمين على مدى العصور هو الحفاظ على استقلالية المنهج الإسلامى وخصوصيته، وكان موقفهم من كل فكر موقف الحرص الشديد، فإذا أخذوا تنظيمات يصهروها فى بوتقة عقيدتهم دون أن يكون لها مظهر واضح يغير الطابع الأصيل . وكان إيمان المسلمين قائماً لم يتغير.

إن جميع وسائل التطور هى عبارة عن مواد خام قد تستورد لسد الحاجات، ومن الممكن أن تجرى عليها عملية سبك وتحويل وانصهار ؛ لتخرج إلى القالب الذى يتفق مع كيان الأمة وروحها دون أن يغير ذلك شيئًا من مقوماتها الأصيلة .

وهكذا كانت هزيمة الطروحات الغربية فى الأفق الإسلامى بعد هزيمة الفكر الغربى فى بيئته الأصلية .

وما يزال العرب يتميزون بثقافتهم الإسلامية؛ حيث إن اللغة العربية هى الوعاء الذى حمل على مدى القرون هذه الثقافة؛ بينما أثر الفكر الأجنبى على كثير من الشعوب الإسلامية الأفريقية والأسيوية لأن لغتها ليست العربية؛ لذلك تم صياغة فكرها على النمط الأوربى .

لقد أسقطت الصحوة الإسلامية ومن قبلها اليقظة الإسلامية دعوات الوحدة البشرية وفصل الروحية عن المادية ، وفكرة تطوير الدين ، تطوير الشريعة ، تطوير اللغة ، كما سقطت الفكرة القومية العربية والاشتراكية .

وتكشَّف زيف مقررات الحضارة الغربية التى قامت على أساس العنف ونهب ثروات المسلمين ، والتى لم تستطع أن تقدم للعالم نموذجاً حضاريًّا يرتقى بعلاقات الإنسان بأخيه الإنسان .

لقد كان إلغاء البعد الأخلاقى للحضارة الغربية والفكر الغربى هو أخطر التحديات التى واجهت الإسلام .

إن الثقافة الإسلامية فى الحقيقة تمثل الوسط بين ثقافة الشرق وثقافة الغرب فهى لاشرقية ولاغربية، كما أنها ليست مركباً للثقافتين، وليست حلقة اتصال تربط بينهما؛ بل هى ثقافة مستقلة ذات طابع خاص يقوم على التوحيد .

كذلك فإنه لا توجد فى الإسلام ازدواجية أو ثنائية القيم؛ بحيث تتصارع ولكن تكامل والتقاء .

فلا يقر الإسلام صراع الأجيال ولا صراع الطبقات؛ ولكن يؤمن بتلاقى الأجيال والطبقات حيث يقيم الإسلام بين القيم علاقة التوازن والتكامل .

۞۞۞



(٧)

الحيلولة دون الانحلال

جاءت الصحوة الإسلامية رَدَّ فعل حتمى فى مواجهة طغيان القيم المادية للحضارة الغربية، مع ما صاحبها من موجات التحلل والفساد، وانتشار المخدرات، والشذوذ الجنسى، وارتفاع معدلات الانتحار، فضلاً عن تفشى القلق والشعور بالضياع، وطغيان القيم المادية ؛ مما أدى إلى عدم التوازن فى حركة المجتمع .

فقد أدت الثورة الصناعية إلى اندفاع سريع فى طريق النمو الاقتصادى والفنى دون أن يصاحب ذلك تقدم اجتماعى مماثل؛ الأمر الذى أدى إلى الخلل فى حركة المجتمع وظهور العديد من المشاكل ، وأخطرها تفشى البطالة وتفاقم الأزمات الاقتصادية .

إن محاولة ترشيد الحياة الاقتصادية فى الغرب لم تمكنها من تحرير الإنسان من غلبة المادية على مدنيته المعاصرة .

وبالرغم من اتساع رقعة الرخاء ومستويات المعيشة فإنها لم تحقق لأهل الغرب الراحة النفسية، فقد زادت ضغوط القلق والانحلال وتفشى أمراض العصر وارتفاع معدلات الانتحار ، رغم التقدم المادى .

كل هذا كان عاملاً فى ظهور حركة ترمى إلى البحث عن منهج يخلق الشعور بالأمن والسكينة، وقد وجد مثقفو الغرب فى الإسلام ضالتهم، وقد أعطى ذلك لليقظة الإسلامية التى كانت تقاوم وتجاهد فى ديار الإسلام منذ وقت طويل ، أعطاها سنداً جديداً وإحساساً بأن العالم كله فى حاجة إلى الإسلام، وأن جميع الأيدلوجيات قد سقطت فى مسقط رأسها وعجزت عن العطاء .

❁❁❁

أما فى مجتمع الإسلام فقد كشفت الأحداث - فى سيطرة قوة غربية على موقع خطير كبيت المقدس، وعجز العرب والمسلمين عن المقاومة واسترداد أرضهم-عن فساد المنهج الوافد الذى التمسه المسلمون والعرب من الغرب على سبيل الخداع بأنه سيحقق لهم التقدم ، فإذا بهم يتراجعون يوماً بعد يوم على نحو أحس معه النفوذ الغربى

بأنه سوف يتمكن من حصارهم وتذويبهم فى بوتقة الأممية والحضارة الغربية .

كل هذا دفع المسلمين إلى البحث عن منفذ ومخرج . ولم يكن غير التماس منهج الإسلام نفسه فى بناء المجتمع الربانى، والتماس مفهوم الإسلام فى الجهاد والردع، وامتلاك القوة والقدرة على المقاومة، كانت الدعوة الإسلامية قد كشفت عن فساد المنهج الوافد، ودعت المسلمين إلى التماس مفهوم الإسلام الأصيل من حيث هو منهج حياة ونظام مجتمع والتحرر من التبعية .

وقد أكدت الصحوة خلال العقد الأخير من القرن الرابع عشر والعقد الأول من القرن الخامس عشر الهجرى جملة حقائق أساسية فرضت نفسها ولم يعد فى الإمكان تجاهلها أو انكارها ، هي :

أولاً : فى مجال هزيمة الفكر الغربى بشقّيه (الليبرالى والماركسى) .

فقد تبين فشل الأيدلوجيتين الرأسمالية والماركسية وانهيارهما وعجزهما عن العطاء، ـ كما تبين سقوط جميع النظريات الفلسفية والاجتماعية والاقتصادية ، ابتداء من نظرية دارون إلى نظرية فرويد إلى نظرية ماركس إلى الوجودية إلى مفاهيم مدرسة العلوم الاجتماعية (دوركايم إلى نظرية مالتوس إلى نظرية ميكيافيلى) .

كما تبين مدى الفارق العميق بين العلم والفلسفة، فالعلم اليوم يقر وجود خالق عظيم وراء هذا الكون المادى يدّبره ويحفظه لحظة بلحظة، أما الفلاسفة فهم الذين مازالوا يوقدون نار الإلحاد ويشككون فى وجود الله تبارك وتعالى والدين الحق والبعث والجزاء والوحى والغيب .

كما تبين مدى الفارق البعيد بين العلوم التجريبية والعلوم الإنسانية .

لقد نتج ذلك كله عن الانحراف الذى أصاب الفكر الغربى فى انحيازه إلى الفلسفة المادية، ووقوفه موقف التعصب إزاء حقيقة أزلية أساسية لاسبيل للأمم أو الحضارات إلى تجاوزها أو إنكارها ، هذه الحقيقة هى الدين المنزل بكل ما يمثله من إيمان بالله تبارك وتعالى،وبما يحمله من منهج لبناء الحياة الإنسانية على أساس إسلام الوجه لله تبارك وتعالى، ومن خلال القيم التى أرساها ، والإعراض عن هذه الحقيقة الأزلية هو الذى أقام الحياة والمجتمع والفرد الغربى على شطره المادى وحده، فكان ذلك مصدر

كل الأزمات التى تواجه الحضارة الغربية والمجتمع الغربى، وهى الحقيقة التى وصل إليها الآن عشرات من العلماء والباحثين الغربيين وفى مقدمتهم بوكاى وجارودى وأليسون وغيرهم .

أما المسلمون فلم يكونوا فى حاجة إلى أن يتسولوا فتات موائد الغرب ، فهم يملكون منهجهم الأصيل : المنهج الربانى الذى عاش أربعة عشر قرناً دون أن يحتاج إلى حذف أو إضافة، ودون أن يخترق اختلاف البيئات أو العصور ؛ لأنه من صنع الله تبارك وتعالى .

❁❁❁

لقد تحققت خطوات إيجابية فى مجالات عدة ، فى أربعة ميادين على الأقل :

١ - المرأة المسلمة وعودتها إلى منهج الله تبارك وتعالى .

٢ - رفض المسلمين للنظام الاقتصادى الربوى .

٣ - استكمال نواقص التعلم والثقافة (المدرسية والجامعية) بما يقدمه مفكرو الإسلام.

٤ - ظهور طاقة جديدة من المسلمين فى الغرب .

❁❁❁

وقد فتحت آفاق جديدة أمام الإسلام بوصفه المنهج الربانى العالمى الذى تحتاج إليه البشرية ، ومدى ما يستطيع الإسلام أن يقدمه للقلوب العطشى والنفوس المجدبة .وقد تبين بوضوح مدى قدرة الإسلام على اقتحام الوجدان الغربى .

وفى مجال الإعجاز العلمى والطبى فى القرآن قُدِّمت إضافات هامة، هذا بالإضافة إلى ما قدمه بوكاى من فتح أبواب الكشف عن زيف الكتب المقدسة وأضاليلها .

وما قام به جارودى من الكشف عن عجز الحضارة الغربية فى استمرار الحياة بعيداً عن التصدع الذى أصابها، كذلك فقد قطع المسلمون خطوات فى سبيل تقنين الشريعة الإسلامية وتطبيقها فى أقطار عدة، كما قام الأبرار من الباحثين بمواجهة زيف الفكر الاستشراقى وتصحيح المفاهيم المحرفة، سواء فى الهجوم الذى شنه الاستشراق على السنة النبوية، أو التاريخ الإسلامى للوصول إلى التشكيك فى صلاحية الشريعة للعصر الحديث .

كما قاوم المفكرون المسلمون الدعوة المسمومة إلى إحياء المذاهب الهدامة والفرق الضالة كالبهائية والقاديانية .

❁❁❁

ولقد سقطت دعاوى (الرخص) و (التأويلات) التى استخدمها نفر من علماء الدين فى ظل مفاهيم الغزو الفكرى والتغريب؛ بدعوى أن العصر لا يحتمل العزائم، وأنه يتطلب قبول الحلول الوسط والرخص، فقد تزعم ذلك جماعة من تلاميذ الشيخ على عبد الرازق فصعبوا الأمور على الناس ، وادعوا استحالة تطبيق نظام اقتصادى متحرر من الربا فى المعاملات ، واعتبروا الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية من المستحيلات، وجروا وراء العلمانيين فى مفهومهم الذى يقول : إنهم لا يوجهون أولادهم ، ولكنهم يتركونهم يفعلون ما يشاءون ، وهو مفهوم ديوى وفرويد ، وكان يقول به طه حسين.

❁❁❁

ولم يكن هذا إلاّ استجابة لمؤامرة التغريب الذى تتطلع إلى تخريج أجيال تافهة مدمرة، لا تعرف الحدود أو الضوابط، أو تلتزم بالقيم التى رسمها الإسلام حتى تصل الأمة الإسلامية إلى حافة الخطر ، وهو الانحلال الذى دمر الأمم من قبل .

إننا فى حاجة أن نبنى أجيالنا الذين هم على حافة الخطر، وأن نكون عارفين بأبعاد المؤامرة التى تريد تدمير هذه الأجيال؛ لتستسلم أمام الخطر الجانح الذى يريد احتواءها؛ لتستعبد فى دائرة الأممية الطامحة إلى السيطرة على ثروات الأمة الإسلامية ومواقعها وموانيها لبناء إمبراطورية العجل الذهبى .

ونحن نعرف أن المسلمين والعرب لو أخذوا مفاهيم الغرب فى الحرب والسلام لاختفت فريضة الجهاد؛ ذلك لأن مفاهيم الغرب تضع المسلمين فى صف الاستحالة العقلية فى القدرة علىتحرير بلادهم إزاء امتلاك عدوهم لقدر أكبر من العتاد متجاهلين القاعدة الإسلامية الحقة ﴿ **إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين** ﴾ إن السلاح الأكبر الذى يدخل به المسلمون المعارك مع عدوهم هو الإيمان بالاستشهاد فى سبيل الغاية وبيع النفوس خالصة لله ، تلك هى صناعة الموت التى انتصروا بها فى كل معاركهم .

❁❁❁

إن عبرة أحداث التاريخ الإسلامى يجب أن تكون قائمة أمامنا فى كل لحظة ، فلقد كان الانحراف الخلقى عن طريق تمجيد أعمال الطغاة فى الأندلس وغيرها، وتسويغ الأخطاء، والإقبال الشديد على متع الحياة ، خضوعاً للروح الفردية المترفة، التى كانت تضع مصلحة المجتمع جانباً، إلى غير ذلك من جوانب سلبية . إن هذا الإنحراف وغيره - الذى يريد النفوذ الأجنبى إغراءنا به وسوقنا إليه ، كان له أثره فى إضعاف النفسية المسلمة، وكان مصدرًا لسقوط الأندلس فى أيدى الفرنجة بعد ثمانمائة عام من حكم الإسلام .

***

وقد ذكر ابن خلدون كيف كان الانحلال فظيعاً وقاسياً فى دولة المرابطين، وكيف كانت الأميرات يتصرفن فى شئون الدولة، والرجال قد تأنثوا وتخنثوا، وانقلبت الأوضاع وانعكست الأدوار ، كان الرجال يتفرغون للصيد فى أحسن الأحوال، وفى أسوأ الأحوال للغلمان، ولا تزال تدل على ذلك اليوم بعض عناوين الموسيقى الأندلسية (شبغرة وقده وخده واسقنى كئوس الخلاعة)، وما أشبه ذلك .

هم يعرفون أن الترف يدمر المجتمعات، ويرغبون فى تدمير المجتمع الإسلامى؛ ولذلك يسوقون لنا المغريات حتى تنهار مقوماتنا، ويسيطرون على مقدراتنا.

لقد كان كل تعامل النفوذ الغربى معنا قائمًا على العداء للإسلام ، والرغبة فى تدميره تحت أغلفة براقة وكلمات غامضة ، فدعا إلى :

(١) الإباحية لتدمير مقومات الأخلاق الاجتماعية .

(٢) العلمانية (فصل الدين عن الدولة أو السيطرة) .

(٣) الإلحاد والتحرر من الاعتقاد بوجود الله تبارك وتعالى .

(٤) فكرة حيوانية الإنسان مأخوذة من نظرية دارون .

وقد وضعت الماسونية فلسفتها على إشاعة الفاحشة بين المؤمنين، ونشر الفساد والفوضى، وتحليل الحرام وتحريم الحلال، وإفساد الشباب والنساء، والدأب على عمل موصول لهيمنة سلطان الماسونية كما رسمته البروتوكولات ، ونفذته بإسقاط الخلافة وإقامة القوميات وإيجاد الصراع بين العناصر والطبقات والطوائف وإقامة العنصرية،

والاستعلاء بالدم واللون الأبيض .

وقد قامت من أجل ذلك مؤسسات ونشرت صحف، وعملت وسائل الترفيه؛ على بث تلك السموم من خلال المسلسلات والمسرحيات والصحافة والفن إلى أبعد مدى .

وعلى المجتمع الإسلامى مواجهة التحدى الغربى والتحدى الصهيونى بالخروج من العزلة القاتلة التى فرضت عليه ، وإقامة وحدة جامعة بين المسلمين جميعاً، وإرساء دعائم منظمات اجتماعية واقتصادية مع توسيع المفاهيم ، مهتدين بما حدث فى فجر الإسلام .

وإن أكبر العوامل القادرة على إعادة وحدة المسلمين هى : «**وحدة الفكر الإسلامى**» ؛ وذلك بتطبيق الشريعة الإسلامية ، وإعادة المسلمين إلى المفهوم الأصيل المستمد من القرآن والسنة ، وإن العودة إلى الله تبارك وتعالى هى وحدها السلاح القادر على إقامة وحدة المسلمين .

❁❁❁

(٨)

خطة لتدمير أصالة الإسلام

كشفت الصحوة الإسلامية عدة حقائق هامة :

أولاً : كشفت فشل الأيدلوجية الليبرالية والماركسية .

ثانياً : كشفت فساد القانون الوضعى وعجزه عن إسعاد المجتمعات .

ثالثًا : فشل النظام التربوى العلمانى الوافد .

رابعاً : فساد النظام الربوى الذى يقود الاقتصاد العالمى .

خامساً : فساد ظاهرة القومية المستعلية بالعنصر والعرق .

كذلك كشفت عن :

(١) إخفاق الفلسفات المعاصرة فى كسب ثقة الإنسان بعامة والمسلم بصفة خاصة؛ لأنه تَشَكَّل اساسًا فى ظل مفهوم جامع بين الروح والمادة .

(٢) إخفاق هذه الآداب والقصص فى تبرير الواقع المتردى أو خداع الناس عنه .

(٣) فساد التحليل السياسى الماركسى فى خداع المسلمين؛ لقيامه على أسس بعيدة عن الفطرة والعلم والدين الحق .

(٤) سقوط التحليل النفسى اليهودى الذى يستعمل لاحتواء المسلمين واختراق ثقافاتهم .

❁❁❁

أما قضية تخلف المسلمين فترجع أساساً - كما يقول محمد أسد - إلى هجر المسلمين لروح التعاليم الإسلامية ، لقد ظل الإسلام موجوداً ولكنه كان جسداً بلا روح (فقد وقع المسلمون فى هوّة الانحلال الثقافى والاجتماعى نتيجة تخلى المسلمين عن ضوابطهم الأخلاقية الإسلامية) .

ولقد كانت روح التعاليم الإسلامية من قبل هى المسئولة عن قوة العالم الإسلامى، نتج عن تركها أن أصبح السيدُ المنشئُ للقوة هو نفسه السيد المؤدى إلى الضعف .

وقال عن نفسه : إن تحوله من اليهودية إلى الإسلام قد وضعت يده على الحقيقة التالية :

(إن الإسلام لايزال بالرغم من جميع العقبات التى خلقها تأخر المسلمين أعظم قوة يمكن أن تنهض بالهمم البشرية) وهكذا تجمعت رغبته فى بعثه من جديد .

وعن المسئول عما وصل إليه المسلمون من تأخر، يرى أن المسئولية تقع على عاتق ((العلماء ـ الشباب المثقف ـ القادة الذين يتاجرون بالدين وبالبلاد) ، وليس لأحد من هؤلاء أن يتنصل من هذه التبعة ، فكلهم مسئولون عن تأخر المسلمين الاقتصادى والسياسى والعلمى فى كل مكان .

❁❁❁

ويتحدث كثيرون عن أن الشريعة الإسلامية ليست حجر عثرة فى سبيل التقدم كما يظن البعض؛ إنما هى على العكس من ذلك تماماً ، وأن تياراً من الكتب الغربية الحاقدة هو الذى أغرق المسلمين بالإعجاب الأعمى بالمدنية الغربية .

وقد حاولت هذه الكتب أن تقول: إن الشريعة يمكن أن تخضع بسهولة للآراء الاجتماعية والاقتصادية فى المدنية الغربية ، وإن تقليد المسلمين للحضارة الغربية كان مبرراً للتقدم تحت ستار تعبيد الطرق للتخلى تدريجياً عن مبادئ الإسلام الاجتماعية، وهذا وضع عدد من المفكرين الذين يزعمون أننا لن نخسر ولن نتعرض لعواقب خطيرة إذا عشنا حسب هذه السبل أو حسب تلك ، سواء لبسنا ثياباً أوربية أو آسيوية ، أو كنا محافظين على عاداتنا أوغير محافظين ، فليس فى الإسلام قصر نظر، ولا حجر على حرية الناس فى ارتداء ما يحبون أو الحياة كما يريدون .

المشكلة كلها : أن السمة الأساسية للمدنية الغربية تمنع التوجيه الدينى فى الإنسان منعاً باتًا ، وتفصل بين مجال الدين ومجال الحياة، وهذا عكس الميزة الأساسية للحضارة الإسلامية؛ لأن هذه الأخيرة تقوم على توجيه الدين للإنسان فى كل مراحل حياته المختلفة، وتجعل الحياة والعبادة أمراً واحداً، ولا تفصل بين التعبد حيث يقوم صانع يصنع شيئاً أو مزارع يزرع شجرة أو متعبد فى مسجد ، إن هذا كله فى الإسلام فى صورة العبادة) أ . هـ .



ويتحدث الباحثون عن أن مرضين قد أصابا المسلمين ، وكانا سبب التخلف وهما: الأثرة والخلاف .

فـ« أما الأثرة فقد ظهرت أعراضهـا جلية منذ تركت الدول الإسلامية أخوة لها من المسلمين فى آسيا وأفريقيا وأوربا فريسة لبطش أعداء الإسلام، وانشغل المسلمون بأحوالهم وأزماتهم، وظل الخلاف بين المسلم وأخيه داخل وطنه . كما اشتعل أواره وناره بين الدول الإسلامية فأنفقت الملايين وضاعت سنوات وسنوات ؛ حتى يهزم مسلم مسلماً ويحطم عربى عربياً ، وكنا كما قال الرسول صلى ا لله عليه وسلم (غثاء السيل) فأحببنا الدنيا وكرهنا أن نضحى بجزء من مالنا، أو أن نصبر على إخواننا، فلا نمنع عونًا ولا نرفع سيفاً؛ حتى يعود الشتيت ويلتئم الجمع . فنحن نخشى الكلام ولا نخطو خطوة تغير الواقع .

❁❁❁

ويرد بعض الباحثين علة تخلف المسلمين إلى أمرين :

أولاً : داخلى ، ومن أبرز صفاته الضعف والوهن .

ثانياً : والآخر خارجى ، أبرز سماته الفرقة والخلاف .

ويرون أن هذا يفسر عدم رسوخ التقاليد والعادات والأخلاق الإسلامية وضعفها أمام تقاليد الغرب وعاداته ، مضافاً إلى ذلك ضعف رغبة المسلمين فى العمل والسعى فى مناكب الأرض؛ ومن ثم صعب على الجماعة المسلمة تحقيق الذات وصيانة الهوية الإسلامية والدفاع عن مقدسات الأمة والموت فى سبيل الدفاع عن هذه المقدسات .

ويحمل هذا كله : حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : (توشك أن تتداعى عليكم الأمم) .

❁❁❁

والواقع أن النفوذ الأجنبى الذى سيطر على هيئة استعمار واحتلال عسكرى وسياسى واقتصادى من بعد هو الذى حجب المنهج الإسلامى وفرض منهجه فى مجالات التعليم والمصرف والمحكمة والمجتمع كله، فلم يدع للمسلمين فرصة التماسك أو الخروج من الأزمة إلا بعد أن استوعبوا (الحدث) كله ، ثم حاولوا تجاوزه .

فقد عمل النفوذ الاستعماري على تمزيق الوحدة الإسلامية أساساً بالدعوة إلى القوميات والإقليميات ، ثم عمد إلى هدم عقيدة التوحيد الخالص بإشاعة مفاهيم الدهرية - الباطنية - الإلحاد - التصوف الفلسفي . ثم فرض في سبيل هدم الثقافة الإسلامية الجامعة : نظرية دارون - الدعوة إلى المادية - التفسير المادى للتاريخ - الروحية الحديثة .

ثم قدم مفهوم الإنسان الحيوان - وباقى مفاهيم العلوم الإنسانية والاجتماعية؛ ثم حجب الشريعة الإسلامية، وأقام القانون الوضعي ثم أقام الاقتصاد على أساس الربا.

وهكذا واجه المسلمون جوًّا حالكاً من الظلمة والظلم، كان الهدف الأساسي له تحريف الإسلام وإخراجه من أصوله ، بوصفه الخطر الذى يواجهه الغرب؛ وذلك عن طريق تزييف مفهومه بوصفه نظام مجتمع ومنهج حياة، وإدخال المفاهيم الغربية والتشكيك في قدرات الإسلام وهدم بطولات تاريخ الإسلام، وبعث التراث الوثنى والمادى لما قبل الإسلام، وفرض العلوم والنظريات الغربية من اشتراكية ورأسمالية ووجودية و ...

ثم أقام دعوة عريضة على ألسنة أسماء لامعة من بنى جلدتنا بأن الطريق الموصل إلى النهضة أن نسلك سلوك الغربيين أنفسهم، وأن نأخذ الحضارة الغربية حلوها ومرها وما يحمد منها وما يعاب .

ثم جاءت زلزلة مفهوم عالمية الإسلام، وأنه ختام الرسالات بالدعوة إلى وحدة الأديان وإلى القاديانية والبهائية .

۞۞۞

وقد عمد النفوذ الأجنبى إلى الهجوم على معاقل الإسلام بواسطة القوى العالمية الصليبية واليهودية وما تفرع منهما من جماعات ومنظمات عملت في خطوط ثلاثة متوازية هي :

أولاً : محاولة تحطيم القوى السياسية الإسلامية عن طريق السيطرة بقوة السلاح على العالم الإسلامى، أو عن طريق استعمال بعض أبنائنا، وقد صنعوا قادة وقسموا الأمة إلى دول صغيرة .

ثانيًا : التبشير عن طريق جيوش المبشرين التى جاست ولا تزال تجوس خلال ديار المسلمين.

ثالثاً : الاستشراق عن طريق قيام المستشرقين بتدمير تاريخ الإسلام، فقد خصصوا طائفة من علمائهم لدراسة لغتنا وأدبنا وديننا فى عقائده وشرائعه وإثارة الشبهات والأضاليل حولها وإخفاء الحقائق .

❁❁❁

وهكذا تواطأت على الإسلام : اليهودية والبهائية والمجوسية والبوذية والصليبية العسكرية الاستعمارية والمادية الإلحادية، فأعياهم أن ينفذوا إليه أو يصرفوا شعوب أمته عنه، وقد ألقى الاستعمار بكل ثقله فى معركة التمزيق السياسى والثقافى لأفكار الأمة الواحدة، وعبأ لها الأسلحة الظاهرة والخفية ، وانفتحت الثغور الإسلامية لإرساليات التبشير والبعثات العلمانية، وحوربت العربية لسان أمتنا؛ لأنها لغة القرآن ، وحجبت ذخائر التراث، وشوه تاريخ الإسلام، وسرقت حضارته، فليست سوى حضارة العرب البدو .

❁❁❁

ولعل أخطر ما تدعو إليه قوى التغريب والغزو الثقافى من خلال سيطرتها على الصحافة والتعليم والثقافة : الدعوة إلى إخراج المسلمين من ذاتيتهم الخاصة باسم المعاصرة، وإخراج المسلمين من قيمهم باسم التحرر .

إن الفكر الغربى يعمل فى محاولة دائبة منذ بدأ الاستعمار إلى اليوم من أجل احتواء الفكر الإسلامى والحيلولة دون سيطرته على المجتمع الإسلامى، ويبدو ذلك فى عدة مواقع منها :

١ ـ خضوع نظام التعليم للمفاهيم الغربية، وهى بمثابة الخنجر المسموم الذى طعن به المسلمون .

٢ ـ المحاولات العديدة التى جرت للهجوم على اللغة العربية، وانتقاصها؛ لمحاربة القرآن الكريم .

٣ ـ الغزو الثقافى، ومحاولة السيطرة على البلاد الإسلامية بالنظم الوضعية، كالقومية والاشتراكية والليبرالية .

٤ ـ محاولة سيطرة مفاهيم العلوم الاجتماعية (النفس والأخلاق والاجتماع) .

٥ ـ تحويل الفكر البشرى إلى ناحية المادية، وتدمير النفس الإنسانية .

٦ ـ إعلاء القومية والعنصرية ومحاولة تأكيد الانشطارية بين الروح والمادة .

ولقد أثبتت كل المؤامرات أن هناك حقيقة واحدة هى أن الإسلام هو الهدف الذى تعمل القوى المعادية لضربه ؛ ليظل الإسلام بعيداً عن دائرة العمل والتنفيذ .

وهم فى هذا المجال يوجهون إلى الإسلام عديدًا من الاتهامات الباطلة الزائفة، والادعاءات الكاذبة بأنه مناف للمدنية، وليس صالحاً لهذا العصر، وأن المسلمين لا يمكن أن يرقوا فى سلم الحضارة الحديثة إلا إذا تركوا دينهم ونبذوا القرآن وأوَّلوه، هذا بالإضافة إلى الطعن فى الشريعة الإسلامية، وقد دعا التغريب إلى خلق طبقة من المتفرنجين ؛ لمعاونته فى تنفيذ سياسته، وتشجيع الطوائف الخارجة على الإسلام كالقاديانية والبهائية، وإذاعة الفكر العبثى الذى ينادى بأن حياة الإنسان لا معنى لها ولا هدف منها، وأن الإنسان هو صانع معاييره وقيمه، وأن مصير الإنسان إلى العدم، ولا ثواب ولا عقاب، وأن الترويج لهذه الأفكار المسمومة يؤدى إلى انحرافات كبيرة فى فكر الشباب .

وقد نتج عن هذا الاتجاه الخطير أمران أشد خطورة :

الأول : اضمحلال العقل الإسلامى ، واللغة العربية وآدابها .

الثاني : فساد صفاء العقيدة وإغراقها فى متاهات الشك، وإثارة الخلافات العقائدية بين المسلمين .

✿✿✿

(٩)

كيف ينهض المسلمون

إن الإسلام اليوم يتحرك فى قوة وثقة، سواء فى المحيط الداخلى للأمة الإسلامية أم فى المحيط الخارجى؛ حيث تتجه إليه الأبصار من أولئك الذين يخشون تناميه وارتفاع مده، أو من الذين يتطلعون إليه كمنقذ للبشرية .

أما الذين يخشون تناميه فهم يخشون أن يمتلك العالم الإسلامي مقدراته؛ وبذلك يقطع خط الرجعة علي الظالمين الذين استنزفوا ثرواته خلال أكثر من مائتى عام دون أن يمكنوه من بناء مجتمعه؛ حيث نرى أن النفوذ الأجنبى ما يزال يعمل على إخضاع الشعوب (وخاصة الأمة الإسلامية) والسيطرة على مقدراتها، من خلال الإعلام الموجه، وأيديولوجية مجتمع الاستهلاك الحديث، وضرب مقومات الثقافة الوطنية، واختراق العقل، وتخريب الوجدان؛ من خلال النظامين التعليمى والإعلامى فى معركة للسيطرة على مقدرات الشعوب ليس فى مجال الاقتصاد وحده؛ بل فى مجال العقول والوجدان، وهم يرون أنه إذا تمت صياغة الفكر الإسلامى فى مجال التبعية فإنهم يستطيعون الاستمرار فى السيطرة دون جهد، وهذا حلم لن يتحقق أبداً، فإن الأمة التى كونها الإسلام منذ أربعة عشر قرناً لا يمكن أن تبقى خاضعة أبد الدهر، وإن الإسلام قد أعطاها المفاتيح التى تستطيع بها أن تستعيد امتلاك إرادتها، وهى العودة إلى المنهج الربانى الذى يشكل لها نظام تربية أجيالها على الصلابة والصمود فى وجه القوى الاستعمارية ، ويجعلها قوى زاحفة إلى الموت فى سبيل حماية الفكرة، والاستشهاد وبيع النفس والمال خالصاً لله تبارك وتعالى، وإن يكن قد غلب على المسلمين فى هذه المرحلة طابع التحلل أو التراخى أو الانبهار تحت بريق اللذات والشهوات العاجلة، فإن ذلك لن يستمر ، وستعود الأمة مرة أخرى إلى القدرة على الصمود والمقاومة والتضحية فى سبيل حماية الوجود الإسلامى من الانهيار تحت ضربات القوى الطامعة فى السيطرة .

ونحن نعتقد أن المسلمين اليوم قد عرفوا أبعاد المؤامرة التى يراد لها أن تحتويهم، والتى تتضافر كل قوى الظلم والاستبداد والفساد على صياغتها، من ماركسية

وصهيونية وغربية .

وفى ظل هذه التحولات الجديدة بعد سقوط الشيوعية، لابد أن يكون المسلمون قد وعوا الخطر الذى يتهددهم بوصفهم القوة القادرة على الصمود فى وجه الزحف الجديد .

وأعتقد أنه مع التحولات العالمية الجديدة قد ألقى على المسلمين مسئولية جديدة هى مزيد من الوعى واليقظة والحسم فى حماية وجودهم ومعاقلهم وحصونهم، التى تحمى ذاتيتهم ووجودهم وانتماءهم الإسلامى والعربى من المحاولة الخطيرة التى تعد لتذويبهم فى بوتقة الأممية العالمية بعد أن انتهى الصراع بين الرأسمالية والماركسية، وقد نشأت دائرة جديدة ترمى إلى السيطرة على الأمم التى لا تملك دوراً واضحاً فى القوة الحربية النووية ؛ لكى تحافظ على كيانها ووجودها؛ من خلال إخضاع الأمم ذات الثقافات العريقة والعقائد الربانية الأساسية لصهرها فى حضارة منهارة تمر بآخر مراحل قوتها ونفوذها .

❁❁❁

إن القوى المعادية للإسلام اليوم تعمل فى عدة ميادين أساسية :

أولا : السيطرة الاقتصادية .

ثانياً : إزالة الهوية للقضاء على الذاتية الإسلامية التى تميز الإسلام كدين ربانى خاتم يمتلك كل مقومات وجوده ، ومنهجه الذى لم يتغير أو يضيع أو يزيف .

ثالثاً : تدمير المجتمع الإسلامى بعاملين : الأول هدم القيم الأخلاقية والاجتماعية. الثاني : الدعوة إلى ما يسمى الانفجار السكانى، فى محاولة لإنقاص نسل المسلمين فى نفس وقت زيادة نسل كل العناصر الثابتة والمهاجرة إلى الوطن الإسلامى من بيئات أخرى .

رابعاً : تسميم العقل الإسلامى بالفلسفات المادية والمذاهب والأيدلوجيات الوافدة، وغرس قيم دخيلة لفرضها على نظام القيم السائدة فى المجتمع، وإعلاء هذه القيم تدريجيًّا ، لترتفع إلى مستوى القيم العليا، مع إضعاف القيم الأساسية وإحالتها إلى مستوى القيم الفرعية .

ولما عجزت دوائر التنصير فى عهد الاستعمار عن تنصير المسلمين، عمدت إلى اختلاق أفكار هدامة تتزيا بالإسلام ظاهراً؛ لتقويض دعائم الإسلام من داخله على أيدى أبنائه مثل البابية والبهائية والقاديانية، وجندت لذلك الأموال والرجال والسلاح، ونشرت ذلك بالقوة، وما زال الاستعمار البريطانى بأشكاله الجديدة يرعاها فى عقر داره، ويبنى لها المعاهد فى قلب بريطانيا، تمهد لها الطريق إلى البلدان الأخرى التى تخضع حكوماتها لنفوذه المعنوى، مستغلاً بُعد هذه الحكومات عن الإسلام؛ ثم اعتمادها عليه (أى على الاستعمار)، وما يجرى فى نيجيريا بعض من ذلك، ونعلم أن القاديانية لا تنتشر عقيدتها بين النصارى؛ لأنها ربيبتهم فليس لها استقلالية حقيقية، وهى تريد أن تقطع الطريق على الإسلام الذى ينتشر بسرعة بين الوثنيين الأفارقة، وتركز بريطانيا على نيجيريا ؛ لأنها ذات كثافة سكانية عالية؛ إذ هى قرابة مائة مليون نسمة .

❁❁❁

والسؤال الذى يتردد هو : ماذا يريد الغرب من المسلمين؟ إن المسلمين الذين كرمهم دينهم لا يمكن أن يكونوا تابعين لأية نحلة، ولا أن يكونوا أذلاء، ولكن الغرب يريد أن يظل الشرق تابعاً لحضارته ومدنيته وأسلوب حياته ، وهو أسلوب لايرقى إلى أسلوب الإسلام الذى يعرفه المسلم ويسعى إليه .

يقول يوجين رستو : «إن حقيقة الخلاف بين الغرب والمسلمين هو خلاف بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية، وأن الصراع الذى احتدم بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى لايزال مستمراً فى صورة مختلفة» .

ويقول لورنس براون : «إن الإسلام هو الجدار الوحيد فى وجه الاستعمار الغربى».

ويقول الحاكم الفرنسى فى الجزائر : «يجب أن نزيل القرآن العربى من وجودهم، وأن نقتلع اللسان العربى من أفواههم» .

ويقول رائد لوف تشرشل : «لقد كان إخراج القدس من سيطرة المسلمين حلم المسيحيين واليهود على السواء، وأن سرور المسيحيين لا يقل عن سرور اليهود» .

ويحذر أرنولد توينبى قومه فيقول : «إن الوحدة الإسلامية نائمة ، لكن يجب أن

نضع فى حسابنا أن النائم سوف يستيقظ يوماً» .

❁❁❁

إن الغرب يريد السيطرة وعيونه مفتوحة على المواد الخام، وعلى الأموال السائلة، وعلى الأسواق المفتوحة، وعيونهم أيضاً على أن يظل القمقم مغلقاً فلا يخرج الإسلام العملاق فى مرحلته الحالية من مرحلة جمود المسلمين وتخلفهم إلى مرحلة الصحوة واليقظة والنهضة، وهم فى ذلك يعملون لإشعال الفتن والحروب، وتأكيد التجزئة والتمزق وفرض الوصاية .

وهم دائبون فىالتهوين من شأن الدين فى المجتمعات الإنسانية، وفى تقليل أهميته فى نظر الإنسان العصرى .

ولكن الغرب لم ينجح فى دعواه بأن الدين أيًّا كان هو عدو العلم والحضارة والتقدم، وأن التقدم لا يتحقق إلا إذا نبذ الدين، أوحبس فى محيط المسجد والبيت .

وهم يدعون ـ وهم كاذبون ـ أن عجلة الحياة المعاصرة والثورة الاقتصادية لا يستطيع أن يسيرها إلا المثقفون ثقافة غربية، فإن المسلمين أداروا دفة الحضارة والحكم ألف عام بمفاهيم الإسلام وقدموا عصراً زاهراً لم يعرفه العالم مرة أخرى .

❁❁❁

إن المسلمين يتقدمون الآن فى دائرة المنهج الإسلامى وينبذون تلك الوصايا الغربية التى أضلتهم وحطمت أهدافهم .

وقد دعانا الإسلام أن ننظر إلى غيرنا من الأمم فى حذر؛ حتى لا ندفع الثمن غالياً لكل أخطاء الأمم مرة أخرى .

وقد أكد لنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن العلل التى أصابت غيرنا من الأمم سوف تصيبنا نحن كذلك (لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذه بالقذه) فعلى المسلمين أن يلتمسوا سنن الله تبارك وتعالى، فهم مثل بقية البشر تنطبق عليهم قوانين الله تبارك وتعالى المتعلقة بالبشر؛ فإذا التمسوا منهجه ، أعانهم وفتح لهم أبواب النصر، وإذا تخلفوا أذلهم بسيطرة عدوهم عليهم .

وهذه الثروة التى أعطاهم الله إياها إنما هى أداة للدفاع عن دين ا لله ، فإذا صدقت

الأمة ربها تبارك وتعالى بالإيمان واليقين حقق لها هدف النصر وحطم نفوذ أعدائها .

❁❁❁

ولقد تناولت الدراسات والأبحاث هذه القضية : كيف ينهض المسلمون ؟

والإجابة : ينهض المسلمون إذا استعادوا روح الجهاد . وعلموا أنهم أبناء الحضارة الإسلامية .

إن الانتماء إلى الحضارة الإسلامية مشروع نهضتها هو الهدف، والجهاد المتصل هو الطريق المؤدى إلى هذا الهدف .

نحن الآن قوم مدمرون ، وجّهنا ثرواتنا إلى الترف والتحلل، لم ندع ما يكفينا ، واحتجنا إلى الغير .

إن موارد المسلمين يجب أن توجه بروح الجهاد أى بالعلم والعمل الجاد العادل .

روح الجهاد يجب أن تبقى مسيطرة طول الوقت تدفع المؤمن إلى مراجعة النفس ولومها؛ حتى تكشف مواطن الضعف والخلل، والقرآن الكريم أجاب المسلمين حين سألوا عن سر الهزيمة فقال : ﴿ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾ .وحين تعلموا الدرس وصبروا وأعدوا ودبروا تحقق لهم النصر .

❁❁❁

إن قصة التخلف التى تشغل العلماء المسلمين اليوم، بوصفها الأزمة الطارئة على الأمة الإسلامية، تعود فى تقدير كثير من الباحثين إلى تراخى المسلمين، وشعورهم بالفتور، والأخذ بالرخص دون العزائم، والانفصال عن تطبيق المنهج الربانى، وتلك سنة الله فى الأمم التى علمها القرآن الكريم للمسلمين إذا هم غفلوا عن الاستمساك بمنهج الله وحراسة ثغورهم وتجاوزوها، تضربهم سنة الله فى الحضارات والأمم؛ فإذا عادوا إلى الله كشف عنهم الأزمة وأعادهم إلى الجادة .

نحن نؤمن أن لكل أمة خصائص كونتها العقيدة والأخلاق . ولا ريب أن هناك قدراً مشتركاً بين الأمم لا سبيل إلى تجاهله، ولكن الخصائص المميزة لكل أمة أوسع نطاقاً ، وتجرى محاولات التغريب على إزالة هذه الفوارق لصهر الأمم التى تمر بمرحلة التكوين فى بوتقة الأممية .

وأكبر مقومات الحضارة الإسلامية تحريم استخدام معطيات العلوم والتقنية للإفساد في الأرض، واستنزاف ثرواتها، وتلويث بيئاتها؛ حيث يتطلب الاستعمال العلمى التزاماً أخلاقيًّا يكون الضابط لعدم استخدام معطيات العلوم والتقنية فى أعمال الهدم التى يعانى منها عالمنا المعاصر .

وفى الإسلام تتكامل الدوائر الثلاث : الوطن والعروبة والإسلام، فنحن لسنا أبناء حضارتين، ولا أبناء ثقافتين، والتيار الإسلامى يرى أن طريق الوصول ينحصر فى الأخذ بكل أسباب التقدم المادى دون نسيان الجذور ، والارتباط بالثوابت الإسلامية إيماناً منا بألا نقع فى الخطأ بين تيارين متعارضين، أحدهما يفتح الطريق أمام إعلاء الفرد، والثانى يفتح الطريق أمام إعلاء الجماعة، أما الإسلام فيجمع بين الرابطتين فى توازن محكم .

ولا تقوم الحضارة الإسلامية على أساس فصل الدين عن الدولة، أو الروح عن المادة، أو الدين عن العلم ، بل يُجْمَع ذلك فى منظومة كاملة، ويجعل من الأخلاقية الإسلامية مدخلاً محكماً لكل تصرف .

✿✿✿

(١٠)

هزيمة التغريب فى أفق الإسلام

الهدف من التغريب (الذى هو خطة استعمارية ترمى إلى صهر المسلمين فى بوتقة الفكر الغربى بمفاهيمه اليونانية والرومانية والمسيحية) هو القضاء على روح المقاومة والجهاد، ونشر الارتخاء والترف والتحلل؛ للوصول إلى الاستسلام الكامل أمام الاحتواء الحضارى الغربى .

ولقد كانت روح الإسلام أساساً هى روح المقاومة والجهاد والصلابة والقوة وحماية النهضة والدفاع عن الأرض والعرض وحماية الذاتية الإسلامية بصورتها القرآنية الربانية من الانصهار أو الإذابة فى أية ذاتية أخرى أو حضارة عالمية ، لأنها تشكلت أساساً لتكون قائدة وسابقة ومثلاً أعلى للبشرية للوصول إلى إقامة منهج الله تبارك وتعالى على الأرض .

ومن هنا ، فقد تشكلت هذه الأمة أساساً على الاحتشاد فى وجه الأحداث لا تغفل ولا تلين فى حماية مقدراتها وثغورها وامتلاك القوة التى تجعلها فى موقف الردع حتى لا يغلبها غالب .

فقد ولدت الدعوة الإسلامية أساساً فى أتون الأحداث، وفى مواجهة الخطر اليهودى والمسيحى؛ الذى خرج على المنظومة الربانية، وتعالى بالعنصرية ، وحمل دعوات مسمومة من الأمم السابقة؛ فاعتقدها وزيف بها مضمونه الحقيقى، فلما جاء الإسلام ليصحح طريق البشرية إلى الله، ويكشف زيف هذه التحولات، وجدت الأديان نفسها فى موقع الخطر؛ وذلك حين علت صيحته، واستطاع فى سنوات ثمانين أن يمتلك السيطرة على قلب العالم من حدود الصين إلى نهر اللوار؛ ومن ثم تآزرت القوى الظالمة على الانتقام والتآمر وإعداد الخطط لهدمه، فكان كلما اصطدموا به زاد قوة وتأييداً؛ لأنه كلمة الله تبارك وتعالى العليا التى وعد الله بحفظها وتأكيد علوها وانتشارها ، لتكون مخرجاً للبشرية من الظلمات إلى النور .

وجاء الاستشراق والتبشير والدعوات الهدامة (البهائية والقاديانية) وإحياء تراث

الشعوبية والباطنية والفكر الوثنى الفارسى واليونانى وأساطير الأولين، كلها محتشدة لاحتواء هذا الضوء الساطع :

﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره﴾.

فى الحروب الصليبية على مدى قرنين من الزمان عملت القوى المعادية للإسلام كل ما تستطيع من حشد القوى، والهجوم على مركز القيادة الإسلامية فى القدس ومصر، وتضافرت مع قوى التتار لمحاصرة الإسلام من الشرق والغرب، وسقطت بغداد، وسقطت القدس، ولكن اعتصام المسلمين بالله تبارك وتعالى وعودتهم إلى منهج الله مكنهم من النصر؛ فاستأصلوا شأفة الصليبيين والتتار جميعاً .

هنالك تأكد الغرب أن المسلمين لا يغلبون من خلال الحرب، فهم يؤمنون بالجهاد المقدس، والاستشهاد فى سبيل إعلاء كلمة الله، فكان لابد من ضرب هذا المفهوم فيما أطلق عليه (حرب الكلمة) ، وذلك بتزييف مفهوم الإسلام الجامع، وإغراء أهله بمطامع الدنيا وأهوائها، وتدمير قدرتهم على المقاومة والصمود والصبر، والعمل على القضاء على (أخلاقية) المجتمعات وتدمير قواها، بالإباحيات والجنس والتحلل واللذات والترف، فاستسلم المسلمون قليلاً أمام هذه المغريات ؛ حتى أحسوا أخيراً بأن الخطر سوف يجتاحهم، فاستعادوا أمرهم فى صحوة عارمة؛ للعودة إلى منهج الله تبارك وتعالى، فاحتشدوا لذلك، ولكن المعركة ضخمة، وفى حاجة إلى صلابة وجهد واحتمال وتضحية لنفوس استطاعت أن تنفطم عن الشهوات وترغب فى وجه الله تبارك وتعالى ومرضاته .

إن مفهوم اليقظة الإسلامية الحقيقى هو التعرف على الخطر الماثل فى هذه المؤامرة التى حاكتها القوى الغربية متضامنة كلٌّ فى الجانب الذى تصدر له فى مواجهة الإسلام الأصيل الجامع بهدف تحريفه وتدميره، وهذا هو معنى التغريب : أى ، إزالة طابعه القرآنى وإدخاله فى دائرة الفكر الغربى الوثنى الإباحى .

إنهم يعمدون إلى صهر هذه العناصر المختلفة (تزييف النصوص ـ التشكيك فى السنة ـ التأويل ـ تحريف النقل عن الأصول ـ حجب الوثائق التى تؤكد فصل المسلمين على الحضارة) .

وأهمها الادعاء بأن الحضارة الغربية هى مصدر الفكر الإسلامى، وأن الغرب هو

الذى أيقظ المسلمين فى العصر الحديث .

وأخطر ما يعمل له النفوذ الغربى :

أولاً : الحيلولة دون الوحدة الجامعة للمسلمين .

ثانياً : تدمير مقوماته الأخلاقية ؛ لتنهار الوسائل الأصيلة المؤدية إلى الغايات .

فإذا انصهر المسلمون فى الحضارة العالمية فقد انتهى وجودهم الحقيقى، وزالت قوتهم ومفهومهم للحياة والمسئولية الفردية والمقاومة، واستسلموا بالقبول للأمر الواقع، وذابوا فى الحضارة المنهارة، ولما كانت إمبراطورية الربا تقوم على الاستهلاك؛ فإن الهدف هو خلق روح الاستهلاك فى المجتمعات؛ بحيث تصبح الثروة كلها فى يد اليهود، وحتى تستشرى روح الاستهلاك لابد من خلق روح الإقبال على الشهوات والمتع والترف؛ لاستنزاف الثروات ولبيع هذا القدر الضخم من المصنعات، التى هى فى الحقيقة تعارض الفطرة حين تستنزف الثروات البشرية التى هى للناس جميعاً؛ حيث تجعلها قاصرة على عنصر واحد هو الغربى صاحب الدم الأبيض، والذى يرى أن كل من عداه هم عبيده .

ولما كانت أخلاقيات الإسلام هى المصدر الأول لهدم هذه القوة الاقتصادية الربوية فإن هؤلاء يعارضون الإسلام أساساً **﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾** .

❁❁❁

إن هدف الغزو الثقافى هو الوصول إلى تغريب الأمة الإسلامية، وتذويب إرادة المسلمين؛ حتى يفكرون تفكيرًا غربياً ويسلكون مسلكاً غربياً؛ وبذلك ينسلخون من جوهر انتمائهم الأصيل تحت ستار فكرة التقدم (بمفهومها الغربى) دون أى اعتبار للتبعية أو السيطرة الثقافية أو الاجتماعية ، فهم يرون أن التقدم ينبغى أن يكون امتداداً للأوربى، وذلك يتطلب من المسلم (أفريقيًّا وآسيويًّا) إلغاء ثقافته وتقاليده، وإلقاءها فى البحر كجواز مروره إلى التقدم .

وقد تحدث كثير من الأفريقيين الذين جرى تغريبهم، أنه قد طلب منهم إلقاء ثقافتهم ودينهم فى البحر، وهذا يعنى أن تذوب شخصيتنا ونفكر كما يفكر الأوربيين

وننسلخ من جوهرنا الأصيل الربانى القرآنى إلى الأبد .

ويتم الغزو الفكرى بنعومة القصيدة وجمال الموسيقى ورقة الأغنية، فإذا مر الوقت نسى المحتل أنه محتل ، بل صار سعيداً بوهم انتمائه إلى هذا الوجود الحضارى المتقدم، ونسقط منه أثناء ذلك كله جوهر ثقافته بعد أن يقنعه الغزو الثقافى أن تصوراته كلها تمثل التخلف وأن عليه أن يتخلص منها (أحمد بهجت) .

وفى مجال المخططات :

أولاً : أقنعوا تلاميذهم وضحاياهم أن ماورد فى الكتاب والسنة خاضع للأخذ والرد، يقبلون منه ما يوافق الفكر الأوربى الحديث بموازينه المادية البحتة ويتركون ما يخالفه؛ وبذلك تقبلت عقول الناشئة الأفكار الدخيلة والمبادئ الهدامة؛ فتفرقت السبل وتمزقت وحدة الفكر عن الأمة الواحدة .

ثانياً : علّم المستشرقون أتباعهم أن الأخلاق لا ينبغى أن تكون ثابتة جامدة، وإنما تتطور وتتغير وفقاً للبيئة والعصر؛ وبذلك يصبح لكل بلد مسلم آدابه وتقاليده .

وقد انصبت جهود المستشرقين على إفساد العقيدة والأخلاق التى تبنى عليها الأمم.

❁❁❁

لقد عمد المستشرقون إلى إذاعة دعوات، لها ظاهر براق ، وهو فى نفس الوقت يرمى إلى تدمير بنية الإسلام الأصيلة ، ووضعوا لهذه الدعوات مبادئ وأهدافاً أهمها :

١ ـ التحرر من الأديان والمعتقدات الدينية ، بمفهوم (أن القضاء على الأديان ضرورى لمن أراد الحرية والتقدم) .

٢ ـ التسرب إلى الهيئات الاجتماعية والثقافية من أجل هدم المجتمع من الداخل .

أولاً : بتزوير تاريخه .

ثانياً : التشكيك فى بنائه الأخلاقى .

ثالثاً : ترويج الشهوات والرذائل فى الحياة اليومية، عن طريق المنتديات وأماكن اللهو .

رابعاً : توجيه بعض القيادات الموالية لهم إلى هدم الأمم من الداخل باسم الاصلاح والتجديد والتطور .

ثم تنتقل المؤامرة إلى المرحلة الحاسمة التى رسمتها الماسونية ورتبتها بروتوكولات صهيون وهى :

أولاً : التخلص من كل ولاء عن طريق ترويج أن المرء لا يحقق شخصيته إلا بالتحرر من قيود دينه وأسرته ووطنه (وهى رواسب العبودية والقهر) .

ثانياً : الدعوة إلى ممارسة ما لا تجيزه الشرائع وتعاليم الرسل .

ثالثاً : الدعوة إلى اللاثكية (الإلحاد) والحرية الشخصية المطلقة .

رابعاً : الجرأة على الأنبياء وبث الفتنة بين أصحاب الأديان المختلفة .

❁❁❁

وفى مواجهة التغريب لابد أن تكون هناك خلفية ثقافية إسلامية عريضة للشباب المسلم؛ حتى يكون على بينة من الثغرات والمآزق والشباك التى يراد إيقاعه فيها .

وأول ذلك كله وأهم شيء هو أن نفهم أن الفكر الغربى يختلف فى جوهره ومادته ومصادره ومعطياته جميعاً عن الفكر الإسلامى المستمد من القرآن الكريم والسنة المطهرة؛ والذى يقوم أساساً على التوحيد الخالص والإيمان بالله تبارك وتعالى بمفهومه الكامل ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ وأن نؤمن بالغيب والقدر والبعث والجزاء والنبوة ، وأن نؤمن بأن الإسلام منهج حياة ونظام مجتمع لا تنفصل فيه العقيدة عن المعاملات والأخلاق .

ونحن نختلف مع الفكر الغربى فى أمرين أساسيين هما :

١ ـ فصل الدين عن السياسة   ٢ ـ فصل الدين عن العلم .

ومن هنا نشأت فى الغرب فكرة تطوير الدين ، وتطوير الشرائع؛ لأن هذه المناهج البشرية عاجزة عن العطاء المستمر ، فهى تحتاج بين فترة وأخرى إلى تطوير وتعديل حتى يمكنها أن تستوعب متغيرات العصر والبيئة، أما الإسلام فيختلف عن ذلك تماماً؛ لأنه يمتلك منهجًا ربانيًّا مرنًا واسع الأفق قادراً على العطاء الدائم إلى يوم القيامة .

ولما كان هدف التغريب هو الاحتواء ، والانصهار فى بوتقة الأممية، وإزالة التميز الخاص وإخراج المسلمين من منهج حياتهم أساساً، فقد وجب الحرص والحيطة فى تقبل الفكر الغربى .

ونحن الآن وفى مرحلة التداخل الخطير للفكر الغربى فى مجال الفكر الإسلامى يجب أن نعمل على تصحيح عدة مفاهيم لنردها إلى أصولها الصحيحة :

- تصحيح مفهوم العقيدة (فى مواجهة التعدد) .

- تصحيح مفهوم السعى والعمران (فى مواجهة أكذوبة مسئولية المجتمع) .

- تصحيح مفهوم الانتماء (فى مواجهة الفكر القومى الوافد)

- تصحيح مفهوم الإعداد والمقاومة والردع ودعم عامل القدرة على المقاومة والمرابطة والاستعداد لمواجهة أى غزو خارجى، وإزالة عامل الفرقة والخلاف والعمل على الالتقاء بين المسلمين جميعاً على مفهوم الإسلام الجامع .

ولنعلم أن حضارتنا الإسلامية تختلف عن كل الحضارات ، لها قيمها ، وهى الآن من مرحلة التوقف إلى مرحلة العطاء (وهذا يختلف عن الاندثار) .

والتوقف عملية تاريخية تحدث لكل الأمم نتيجة عدة عوامل منها زوال السلطان السياسى للإسلام ، ولابد من العودة إلى بناء الحضارة الإسلامية مرة أخرى على قيمها القرآنية الربانية الأصيلة، واعتبار واقع المسلمين فى مرحلة التخلف القائمة الآن ليس حجة على الإسلام ، بل هو حجة على المسلمين؛ الذين انصرفوا عن التمسك بمنهجهم فأصابتهم سنة الأمم .

❁❁❁

والواقع أن التعامل مع الغزو الثقافى لايكون بالاستسلام له أو تجاهله؛ وإنما يكون بالثقة بالنفس وفى السعى لتوثيق الصلة بالله تبارك وتعالى ، والسعى لمزيد من التعرف على مفاهيم الإسلام والعلم به والتفقه فيه .

❁❁❁

وفى مجال العلوم والتكنولوجيا لابد من إقامة منهج إسلامى مستقل بعيد عن المفاهيم الغربية التى تأثرت بالخلاف بين العلماء التجريبيين والكنيسة ، والإسلام يجمع بين

العقلانية والوجدانية فى آن .

وإذا كانت قد ذاعت فى الأيام الأخيرة مقولات تسخر من التعريب ويدعى أصحابها أنهم يخدمون الأمة به فهم مضللون خادعون ، ولسوف يسجل التاريخ أسماؤهم فى كشوف الظالمين الذين عقوا أمتهم وخانوا أمانتها ، وعليهم أن يفرحوا بالعطاء السريع الذى يحصلون عليه اليوم ، ومن ورائه مسئولية خطيرة بين يدى الله تبارك وتعالى يوم تنصب الموازين للحساب .





(١١)

عطاء الحضارة الإسلامية

إن محاولة التغريب (من خلال الاستشراق والتبشير) حجب أصالة الإسلام ومنهجه وفكره ، والادعاء بأن عوامل القوة واليقظة جاءت من الغرب هي محاولة باطلة وظالمة .

الادعاء الأول : أن العرب والمسلمين أخذوا فلسفات الإغريق ومفاهيمه وجعلوها مصدراً لفكرهم .

والحقيقة أن الإسلام قد اكتمل قبل أن يلحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى ، وأن الإسلام لم يدخل عليه شيء بعد قوله تعالى ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم**﴾ فكيف بعد أن اكتمل الإسلام وتشكل الفكر الإسلامى فى أحضان القرآن والسنة يجيء من يأخذ من فكر الإغريق أو يفسره أو يخلطه بل لقد ذهب بعض الظالمين إلى القول : (وسرعان ما أقبلوا على هذا الفكر)

والحقيقة أن المسلمين احتشدوا بعلمائهم لمقاومة هذه الموجة المسمومة التى انتشرت ظلماتها بعد ترجمة الفكر اليونانى .

وتبين أن (إرجانون) الفكر اليونانى يقوم على العبودية والرق كأساس شرعى للحضارة ، يؤكده كبار فلاسفتهم مثل أرسطو وأفلاطون ، ثم جاءت المسيحية الغربية لا المنزلة) فوافقت على مفهوم اليونان .

الادعاء الثانى : يقول إن الغرب لم يأخذ من المسلمين ، وتلك أكذوبة بَلْقَاء ؛ فإن الغرب أخذ المنهج التجريبى ومنهج المعرفة وعشرات من الحقائق التى استخلصها من تراثهم ، أما دعواهم بأنهم لم يستفيدوا من المسلمين إلا بعض شروح أرسطو فهى دعوى باطلة ، وهم بذلك قد طمسوا الحقيقة الناصعة : حقيقة العصور الوسطى الإسلامية المبدعة .

الادعاء الثالث : دعواهم أن العرب والمسلمين تقدموا من خلال ما نقلوه من الغرب كالفلسفة والاعتزال ووحدة الوجود والعقول العشرة .

والمعروف أن هذه السموم هى التى عطلت مسيرة الفكر الإسلامى ، وفتحت الباب واسعاً أمام الغزو الثقافى .

❁❁❁

وقد شكل الغرب صورة مشوهة للإسلام تحول بين المثقفين الغربيين وبين تقبل الإسلام ، وقد تكونت هذه الصورة منذ وقت طويل من خلال تجارب تاريخية جرت بين أوربا والدولة العثمانية ، ومن قبل فى الصدام مع الرومان منذ غزوات تبوك واليرموك وفتوح العرب فى صقلية والأندلس وجنوب فرنسا . هذا بالإضافة إلى أحداث الحروب الصليبية .

يقول دكتور محمد إبراهيم الفيومى : (هذه الحروب أثرت فى موقف أوربا من الإسلام لبضعة قرون وحتى عصرنا الحالى ؛ لأنها حدثت فى أثناء طفولة أوربا فى العهد الذى كانت الخصائص الثقافية فى طور التشكيل بالإضافة إلى سقوط القسطنطينية وفتح باب أوربا على مصراعيه أمام المد الإسلامى ، ومن هنا اعتبر الغرب المسيحى الإسلام منافساً له منافسة عدائية اصطبغت بصبغة أيدلوجية خاصة فى العصر الوسيط .

وغاب على الغرب أن المسيحية دين شرقى أولاً ، وأن الإسلام يرى فيها ديناً سماويًّا بيد أنها ليست خاتمة الأديان .

وقد جاء تشويه صورة الإسلام أمام الرأى العام الغربى نتيجة أسباب رئيسة من جانب الغرب ، جعلت الغربى يحمل أفكاراً مشوهة عن الإسلام والمسلمين ، وهى أسباب متنوعة : دينية واقتصادية وسياسية .

وقد أسهم الاستشراق فى تشويه صورة الإسلام ؛ حيث نشأ هذا العمل فى خدمة القوى السياسية الفكرية وتأثر بمبادئها ، وقد خلف بعض الأفكار الخاطئة والانطباعات غير الدقيقة عند المسلمين ، التى أثرت فى الوجدان الشعبى ..

وكان أخطر ما فى ذلك تقديم الإسلام من خلال الأحداث العابرة بما يحقق الطعن فى الإسلام ولايقدم الحقيقة المجردة .

وقد لعب العامل الاقتصادى دوراً بارزاً ؛ حيث يعتبر الغرب (العالم الإسلامى)

بمثابة الدول التى تمسك فى أيديها مفاتيح تموين الغرب بالمصادر التى تسخر لخدمة الحضارة الغربية بالمقام الأول .

❁❁❁

إن الغرب الذى يطمع فى استدامة سيطرته على مقدرات الأمة الإسلامية ما زال يعمل على احتواء العقل الإسلامى والعربى حتى يكون تابعاً له وخاضعاً ومتقبلاً لرغباته .

وقد عمل ذلك فى عدة ميادين أهمها : ميدان تكوين أجيال من القادة يؤمنون بفكره ويحتقرون أوطانهم وعقائدهم ، وقد مكن لهم دلك فى السيطرة على الصحافة والتعليم والثقافة ، وما يزال يواليهم ؛ ليحملوا رايته وفكره ووجهة نظره إلى الرأى العام .

وقد ظهر فى ذلك : ولاء فرنسى ، وولاء إنجليزى ، وولاء أمريكى ، وولاء ماركسى ، وولاء صهيونى (تعرفهم بسيماهم)

وهم يولون التقدير والاهتمام بكتابات هؤلاء المغررين ، ويتخذون من كتاباتهم منطلقاً لتصوير الموقف على أنهم قد حولوا التيار وسيطروا ؛ ولذلك ترجمت كتابات هؤلاء واحتفل بها ، واتخذها الغرب مصدراً رئيساً لكتاباته عن المسلمين والعرب ، بل لقد دفع النفوذ الأجنبى بعض رجاله إلى مجال الفكر الإسلامى للصدارة فيه واسماهم أصحاب الفكر المستنير ، وأمكن استغلال الأساطير والخرافات والقصص القديمة السابقة للإسلام مصدراً للفن والأدب ؛ حيث يجرى إحياؤها وإعادة صياغتها فى ظل مفاهيم نظريات : الحداثة والبنيوية وغيرها .

وحيث نرى الآن محاولات ترمى إلى تعميق مفاهيم الجنس والإباحة وبث مفاهيم عن طريق نظريات فرون ودوركايم وسارتر ، مغايرة للأصالة والفطرة ، وتعرض المجتمعات للخطر .

❁❁❁

وقد أدى طرح هذه المفاهيم الغربية الوافدة فى أفق الفكر الإسلامى عن طريق المناهج الدراسية إلى خلق ظاهرة الازدواج الثقافى

فخلق الإنسان يقدم فى الإسلام على نحو يختلف عما تقدمه نظرية دارون ، ويحار فيه الشاب المسلم .

وفى مختلف المجالات نجد مفاهيم العلوم الإنسانية الإسلامية فى الأخلاق والنفس والاجتماع تختلف عن مفاهيم العلوم الإنسانية والاجتماعية الغربية التى تدرس بمدارسنا وجامعاتنا .

❁❁❁

ومن هنا فنحن فى حاجة إلى كشف الوجهة المغشوشة للغرب فى نصائحه للمسلمين فى كثير من الأمور :

١ ـ دعوته إلى تحديد النسل بحجة أن كثرة النسل تورث الفقر وتؤدى إلى إضعاف النتاج .

٢ ـ دعوته إلى إخراج المرأة من مجالها الطبيعى فى الأسرة وتربية الطفل بدعوى زيادة الموارد .

٣ ـ إعلان شأن الوطنية والقومية باسم المواريث السابقة للإسلام كالفينيقية والفرعونية والبابلية .

هذا فضلاً عن الانبهار بالتاريخ الأوربى والادعاء بأن التاريخ الإسلامى ملىء بالصراعات الدموية فى حين أن تاريخنا لم يعرف الحروب الدينية أو المجازر التى عرفها الصراع بين الكاثوليك والبروتستانت ، ولقد كانت فتوحاتنا الإسلامية أقل الفتوحات ضحايا ، بينما كانت حروب الغرب حروب إبادة للأمم ، والمقارنة بين دخول المسيحيين إلى بيت المقدس يوم كانت خيولهم تسبح فى الدماء وبين استعادة صلاح الدين لبيت المقدس دون أية حروب .

❁❁❁

إننا فى حاجة إلى أن نؤكد وجهة نظر الإسلام فى مختلف قضايا المجتمع دون خضوع للنظريات الوافدة ، فإن وجهة نظر الإسلام فى الاقتصاد والاجتماع والسياسة تختلف عن وجهة نظر الايدلوجيتين الغربية والماركسية ، وهى تقوم أساساً على الإيمان بالله تبارك وتعالى (بربوبيته وإلوهيته) : ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ ، حيث منه تبدأ

الأمور وإليه تنتهى ، والإيمان بالبعث والجزاء والوحى والنبوة إيماناً يدخل إلى أعماق حياة المسلم ويواكب مسيرته فى التعامل بين الفرد والجماعة والرجل والمرأة والآباء والأبناء على أساس أخلاقية الإسلام والمسئولية الفردية ، وعلينا تحديد المناهج التعليمية والتربوية والثقافية على نحو يجعل مفهوم الإسلام قاسماً مشتركاً مع كل هذه العلوم، بحيث لا يتقرر رأى الإسلام من خلال دراسته كدين وعقيدة وصلاة وصيام فحسب، ولكن بوصفه منهج حياة جامع متكامل .

ففى مختلف فروع المعرفة والعلوم والثقافة يتمثل واضحاً فى تصويره المتميز الخاص (الربانى الوجهه الأخلاقى الهدف) الذى يحكم تصرفات المسلم فى حياته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ؛ حيث يقرر الإسلام المحافظة على الثروة من تبديدها فى مجالات الترف أو استنزافها وتلويث بيئاتها للإفساد فى الأرض ، ويتطلب الاستعمال العلمى التزامًا خلقيًا يكون الضابط لعدم استخدام معطيات العلم والتقنية فى أعمال الهدم التى يعانى منها عالمنا المعاصر .

أما ما يخشاه أصحاب الفكر المادى أن يكون سقوط الفكر الشيوعى الإلحادى مقدمة لسقوط مجمل الأفكار المادية والإلحادية فى الغرب ونقطة انطلاق جديدة للبشرية نحو التوحيد والخضوع للواحد الصمد بعد أن أرهقتها الفلسفات المادية المحدودة الأفق التى اقتصرت على نزوات الجسد ، فعلماء الغرب ومفكروه يعلمون علم اليقين أن الكنيسة فقدت دورها فى المجتمعات الغربية ؛ حيث وظفها الاستعمار لخدمة أهدافه ، فلم يعد هناك أمل أمام البشرية إلا فى الإسلام .

✿✿✿



(١٢)
المنهج التجريبى هو عطاء المسلمين للحضارة

إن هناك محاولة دائمة ودائبة على الغض من شأن التراث الإسلامى وانتقاصه وصولاً إلى القول بأنه مصدر تأخر المسلمين ، بينما الفكر الوافد وإحياء تراث الفكر الفلسفى والباطنى والتصوف الفلسفى هو مصدر اليقظة .

ونحن نؤمن بأن التراث الإسلامى الأصيل مرتبط تماماً بأصول الميراث الأساسى (القرآن الكريم والسنة) فهو متفرع منه متصل به ومختلف تماماً عن مفهوم التراث الغربى الذى يحاول أن يفرضه على الفكر الإسلامى .

ولقد راجت مقولة أن المسلمين تأخر فكرهم ومجتمعهم منذ سقطت جماعة الاعتزال والمعتزلة ، رددها كثيرون ، واستهدفوا من هذا القول أن كل الفكر الذى استمد من مقولات اليونان والفرس والمجوسية والغنوصية قبل الإسلام هو الفكر الذى تجرى محاولات النفوذ الأجنبى والتغريب والغزو الثقافى على إحيائه .

وعندما يتردد أن (فلاناً) قد أحيا الفكر الفلسفى الصوفى وعلم الكلام والاعتزال فإنه يجب أن يكون مفهوماً أنه امتداد للدعوة المضللة التى يحاول الاستشراق ترويجها؛ ذلك أن المسلمين منذ ترجمت الفلسفة اليونانية وإلى اليوم لم يعملوا على إحياء هذا الفكر مرة أخرى بعد أن دفن ؛ دون أن يردنا إلى سموم الوثنية والإباحية والباطنية ويصرفنا عن مفهوم التوحيد الخالص ومفهوم أهل السنة والجماعة .

ومن هنا فإن الدعوة إلى إعادة تقييم التراث تتمثل فى إقامة النظرة الأصيلة المستمدة من مفهوم الإسلام كما بلغه الرسول الكريم وعرفه الصحابة الأجلاء قبل ترجمة الفلسفة اليونانية وقبل ظهور الخلاف بين الفرق . وهى نوعان :

نوع يتصل بالحديث عن الجنس والإباحة وعلاقات الرجل والمرأة ـ ليس من خلال منظور طبى أو علمى ـ وإنما من كتابات جماعة من المخمورين المهرجين دعاة الفساد .

ونوع آخر يدعى أصحابه أنهم يتحدثون عن الحلال والحرام ، بينما هم غير متخصصين،وليس لديهم من إلمام بعلوم الشريعة .

وهى تُكَرِّرُ أقوال فرق ظهرت فى مراحل معينة من التاريخ الإسلامى وكانت مرفوضة من عامة رجال العلوم الشرعية الموثوق بهم .

❁❁❁

وما يزال مخطط الاحتواء يمضى من أجل هدم الوحدة الفكرية الإسلامية التى هى هدف الاستعمار منذ قدوم اللورد كرومر إلى مصر ١٨٩٣،وقد أمكن الوصول إلى قلب الأزهر بالتأثير فى البيان الإسلامى واللغة العربية ، فالبيان الإسلامى هو السلاح المشهور فى مواجهة حجج أصحاب الديانات ، فتقلص منهج الدراسة فى الأزهر، بحيث لا يسترجع الباحث الأزهرى النظر فى كتب السلف الكبرى ، وذلك فى محاولة للقضاء على القدرة الذهنية فى التمييز بين الصواب والخطأ فى المناظرة ، مثل كتب الآمدى الذى يضع قاعدة فى سطر واحد ، ثم يجادل عنها فى أربعين صفحة ، وهى الخاصية التى يخاف منها المستشرقون والمبشرون ، والتى تحول دون وصول شبهاتهم، فكان القضاء عليها بمثابة إعدام روح الأزهر واستبقاء قشرة الأزهر ؛ ليقطعوا بينهم وبين تراث السلف ، أعطوهم المذكرات وحالوا بينهم وبين كتب السلف ؛ لهدم القدرة الأزهرية على الدفاع ، وقد هدمت ، فإن التعليم القائم يحول دون الاتصال بكتب السلف بهدف إعجاز الأزهريين عن النظر الإسلامى ، فالتطوير كان عملاً تغريبياً مقصوداً .

لقد خلف علماؤنا وفقهاؤنا تاريخاً ضخماً حافلاً بالنضال فى سبيل إرساء مفهوم التحقيق العلمى ، بدأه علماء الحديث ، ثم جاءت العلوم التى وضعها الشافعى (الذى واجه إرجانون اليونان) بإرجانون الإسلام ، وأحمد بن حنبل الذى واجه فتنة خلق القرآن،والغزالى الذى كشف أخطاء أرسطو،وابن تيمية الذى حطم منهج اليونان، والبخارى الذى رحل وسافر عُمْرًا طويلاً فى سبيل تحقيق الحديث النبوى ، والأشعرى الذى صحح مقولة المعتزلة الظالمة ، والخليل بن أحمد الذى أنشأ علوم اللغة وقوانين النظم والموسيقى .

هؤلاء الأعلام الأفذاذ الذين وقفوا فى سبيل حماية لغة القرآن ودفعوا فتنة خلق القرآن وقاوموا الفلسفة اليونانية وعلم الأصنام (ولاسيما موقف ابن تيمية من المنطق، وموقف الغزالى من الفلسفة) .

وقد كان ذلك مصدر الحملة الشديدة التى وجهت إليهم جميعاً ، فقد وجدوا أنهم دحضوا أكاذيبهم وأضاليلهم ، فحملوا عليهم ، لأنهم ردوا المسلمين إلى الأصالة وإلى المنابع .

ولقد صدق جمال الدين الأفغانى حين قال : (إن الروح الصليبية لم تبرح كامنة فى قلوب أهل أوربا حتى اليوم كما كانت كامنة فى قلب بطرس الناسك من قبل، فالنصرانية لم يزل التعصب مستقرًّا فى عناصرها متغلغلاً فى أحشائها،وهى أبداً ناظرة إلى الإسلام نظرة العداء والحقد والتعصب الدينى الممقوت) ومن أثر ذلك ما أذيع فى فترة قريبة من وجود أربعة وعشرون ومائة كتاب مطروح فى الأسواق يتداولها الشباب ، وكلها تحمل سموماً ناقعات ، وهى ظاهرة يريد بها النفوذ الأجنبى والتغريب تدمير مقومات الشباب وعقليته المسلمة .

لقد عمل علماء الإسلام على تحرير الفكر الإسلامى من آثار التبعية للفكر الغربى ، وحرروا مفهوم العقيدة أساساً .

يقول الإمام البنا : "سبيلنا إلى التعرف على ذات الله وأسمائه وصفاته وأفعاله ـ ليس أصول الكلام فى نزوعه إلى الفلسفة والاصطلاحات العلمية المعقدة التى تشتت الذهن وتفرق القلب ، ولا ذوق أصحاب الوجد فى انقطاعه عن منهج العلم ، وإنما سبيلنا هو العلم الصحيح الثابت فى الكتاب والسنة الموصل إلى العمل الذى تتحرك به الجوارح منفعلة بوجدان قلب عَلِمَ عن ذات الله وصفاته ما رُكِّبَهُ من الخشية والرهبة والحب وكمال الخضوع والذل" .

❁❁❁

كذلك فقد كشف الشيخ مصطفى عبد الرازق موقف الإسلام من الفلسفة فى كتابه « التمهيد» ؛ لكى يدلل على أن المسلمين كغيرهم من بنى الإنسان لهم مقدرة متساوية فى هذا المجال ، وأن النظر العقلى قد بدا مبكراً عند المسلمين ممثلاً فى الاجتهاد بالرأى الذى تمحض عنه علم فلسفى هو علم أصول الفقه ، وذلك قبل أن تنتقل الفلسفة إلى المسلمين .

وهذا يؤكد أن نُذُرَ النظر العقلى بدأت عند المسلمين فىعلم أصول الفقه قبل أن تترجم إليهم الفلسفة اليونانية ، وفى هذا ردٌّ كاف على أمثال رينان جونييه وجوبنيو

وغيرهما من عتاة المفكرين العنصريين ، فلو ترك المسلمون وشأنهم لأنتجوا فلسفة خاصة بهم ، هذا بالإضافة إلى أنهم لم يكونوا يطلبوا نقل الفلسفة اليونانية إليهم إلا إذا كان مستواهم العقلي يرقى بهم إلى مستوى فهمها ، والإسهام فى بحث مشكلاتها (محمد على أبو ريان) .

ولاشك أن هذا المنهج التجريبى الإسلامى هو الذى حملته أوربا من بعد ، وظهر عند فرنسيس بيكون و جاليلو ، ذلك أن علم أصول الفقه الإسلامى ينطوى على منطق خاص بالأصوليين ، وأن بعض الباحثين المعاصرين قد أثبتوا أن هذا المنطق الأصولى هو بعينه منطق الاستقراء ومنهج البحث العلمى الذى قيل : إن مكتشفه هو فرنسيس بيكون.

وقد كان لدى أصحاب أصول الفقه أداة علمية ناجعة : إن هى منطق الكشف والتجريب الذى ابتدعوه ؛ وبذلك ازدهرت لديهم علوم كثيرة تلقاها عنهم الغرب وزاد عليها لدرجة أن كتاب « القانون » فى الطب لابن سينا ظل دستوراً للأطباء فى أوربا إلى مطلع القرن الثامن عشر ، وكذلك ظلت نظرية الضوء لابن الهيثم أساساً لهذا العلم حتى القرن السابع عشر .

بل إن النظرة العلمية المتعمقة فى الفقه توضح لنا كيف أنه من الممكن أن تنطلق من دراسات الفقه وفى إطاره سائر العلوم الإنسانية المتعارفة فى عصرنا .

وفى الحضارة الإسلامية المزدهرة ارتبط منطق الأصوليين بالعلوم الدنيوية (محمد على أبو ريان ـ بتصرف) .

❁❁❁

ولاريب أن هذا الفهم يزيل كثيراً من اللبس عن دور المسلمين الذى ينكره الغرب، وهناك وثائق كثيرة تؤكد دور المسلمين ، فقد أثبت العلاّمة (ليود يثر) فى كتابه الضخم الذى صدر تحت عنوان (أفريقية وكشف أمريكا) وجود كلمات عربية فى لغات هنود أمريكا .

وفى إبريل ١٩٦١ أثبت عالم النبات الصينى (هدى) أن الملاحين العرب قد عبروا الأطلنطى قبل كولمبس بثلاثة قرون ، وقد أعلن نظريته فى المؤتمر الحادى والسبعين بعد المائة للجمعية الشرقية الأمريكية ، بعد أن قضى زهاء ثمانية أعوام يتبع انتشار السلع

الزراعية والنباتية وأنواع الحيوان ، وقد استند هدى إلى وثائق مخطوطة فى الصين ، يرجع عهدها إلى القرن الثانى عشر والثالث عشر ، وقد ورد فيها اسم مدينة (مولان بى) على الساحل الشمالى لأمريكا الجنوبية ، وقد أثبتت الوثائق أن العرب الذين قاموا عام ١١٠٠م من الطرف الغربى للعالم الإسلامى من ميناء الدار البيضاء على وجه التحديد ورسوا فى عدة مواضع من الساحل الأمريكى .

❁❁❁

ويقول جوستاف لوبون فى كتابه تاريخ العرب :

إن العرب أدركوا بعد لأى أن التجربة والمشاهدة خير من أفضل الكتب ؛ ولذلك سبقوا أوربا إلى هذه الحقيقة التى تعزى إلى (بيكون) فرنسيس أنه أول من أقام التجربة والاختبار اللذين هما ركن المناهج العلمية الحديثة ، فالمسلمون أسبق إلى نظام التجربة فى العلوم .

ويقول سجريد هونكة : "إن العرب ظلوا ثمانية قرون طوالاً يشعون على العالم علماً وفناً وأدباً وحضارة ، كما أخذوا بيد أوربا فأخرجوها من الظلمات إلى النور" .

وسوف نرى عندما تخرج الكتب المودعة فى دور الكتب الأوربية أن تأثير العرب الخالد فى حضارة العصور الوسطى كان أجل شأناً وأجل خطراً مما عرفناه حتى الآن .

وتعجب لموقف المستشرقين من هؤلاء النوابغ الأبرار من علماء المسلمين الذين قدموا لها الضوء الكاشف فى وجه الفكر الفلسفى اليونانى الوافد ، وأخطرهم جميعاً الإمام ابن تيمية الذى كشف فساد منطق أرسطو ، وأعلن "منطق القرآن" ، ومن هنا تجد أن المستشرقين يصفون ابن تيميه بضيق الأفق وعدم تقديره للعقل الإنسانى ؛ إذ كتب كتاباً سماه (رد المنطق) قال ابن تيمية فى كتابه : إن الإسلام ليس فى حاجة إلى منطق الإغريق لبروج أو لتوزن به مبادئه ، فله أسلوبه الخاص ومنهاجه الواضح فى الدعوة إلى الله وهدايته للإنسان ولكن السبب الخفى فى الحقد على ابن تيمية هو مهاجمته للمسيحية فى شخص الصليبيين ومحاولة الصليبيين انتزاع بيت المقدس من المسلمين بعد تحطيم جمعهم والنيل من مقدساتهم .

❁❁❁

أما ابن خلدون فقد هوجم بطريقة أخرى ، هوجم بأسلوب التشكيك فى إسلامية

فكره والادعـاء كذباً بأنـه تلميذ للفكر اليونـانى ، وأنه أخذ نظرياتـه من هذا الفكر أو ذاك.

والحقيقـة التـى تؤكدها نصـوص ابن خلدون نفسـه أنـه اسـتمد فكره من الإسـلام أساسـاً ، وأن مصطلحاتــه كلهـا ترجع إلى القـرآن الكريم ممـا يؤكـد كذب دعـاوى البحـث عن جذور الخلدونيــة فى مصـادر فلســفة يونانيــة أو أرســطية أو مشـائية أو أفلاطونية ، ويؤكد ذلك فى حديثه عن نفسـه ، حيث يعلن أنه استظهر القرآن الكريم عن حفظ ، وأنه قرأه بالسبع ، وحفظ لاميـة القراءات ورائية الرسم ، ودرس جملة من المؤلفات المتصلة بالتفسـير والفقه ، وقد استشـهد بعض الباحثين دفاعاً عن ابن خلدون بأنه اسـتمد كلمة (العمران) من اشتقاقها اللغوى (عَمَرَ) وقد ورد فى سورتين و(عَمّر) الذى ورد خمس مرات فى أربـع سور ، واستعمر ومعمر وعمارة مرة واحدة فى ثلاث سور مختلفة .

يقول الدكتـور أحمد المطيعى : إن هذه الصيـغ وما يحاورهـا تتكرر مـراراً فى تاريخ ابن خلدون منذ السطر الثالث من التقديم :

١ ـ (الحمد لله الذى أنشـأنا من الأرض واستعمرنا فيها أجيالاً وأمماً) ثم يشير إلى (إرادة الله) تبارك وتعالى فى اعتمار العالم بهم واستخلافه إياهم)

وقد أورد هذه العبـارة أكثر من مـرة (اعتمار الله سـبحانه وتعـالى هذا العـالم بخلقه وتكريم بنى آدم باستخلافهم فى أرضه) .

٢ ـ كذلك تبدو إسـلامية منهج ابن خلدون فـى إيمانه بأن الاجتمـاع البشرى يقوم على التعاون والتكامل وليس على الصراع والتنافر .

٣ ـ كمـا يصدر عن مفهوم القـرآن فى مفهوم الـترف وأثره فى إسـقاط المجتمعات والأمم .

٤ ـ تحديده لعمر الجيـل من الأمة بـأربعين سـنة واستخلاص ذلـك من قصة ضلال اليهود فى سيناء .

٥ ـ كذلك فهـو يستعمل فى قـانون السـببية عبارة القرآن (سـنة الله) تبارك وتعالى والمدافعة أيضاً .

٦ - استعمل مفاهيم فقهية :

(١) كالمقصد والمقاصد .

(٢) والمصلحة .

(٣) وتطبيق الأحوال على الوقائع .

وكل ذلك امتداداً لمدرسة الفقه الإسلامى

كذلك فإن ابن خلدون فى بحثه ذى المصدر الإسلامى والقرآنى أصلاً يجىء فى السياق التاريخى للحضارة الإسلامية طيلة ثمانية قرون كاملة ، وهى قرون خصبة العطاء تقدمت ابن خلدون ، فيها عقليات علمية فذة فى مجالات متنوعة فقهية ولغوية وفلسفية وطبيعية ورياضية على النحو الآتى (كما أورده الدكتور المطيعى) .

الشافعى	٨٢٠ م
البخارى	٨٧٠ م
الخليل بن أحمد	٧٨٦
سيبويه	٧٩٦
الجاحظ	٨٦٨
الغزالى	١١١١
ابن رشد	١١٩٨
جابر بن حيان	٨١٥
الخوارزمى	٨٤٩
ابن الهيثم	١٠٣٩
الرازى	٩٧٢
ابن سينا	١٠٣٧

هذا بالنسبة للعلماء المسلمين بصفة عامة

أما فى مجال التاريخ فقد سبقه عدد من المؤرخين الكبار :

الواقدى ٨٢٢ م

البلاذرى ٨٩٢ م

الطبرى ٩٢٣م

المسعودى ٩٥٨م

وقد تأكد تبريز ابن خلدون فى مجالين لا مجال واحد : هما التاريخ والعمران (الاجتماع)

يقول ابن خلدون : (إن التاريخ خبر عن الاجتماع الإنسانى الذى هو عمران العالم) التاريخ علم ما مضى ، والعمران علم ما يجرى من الأحداث والوقائع الحضارية، فعلمى التاريخ والعمران ينصب كليهما على الاجتماع البشرى فى حيزين زمنين مختلفين ، ولكنهما متصلان اتصال الماضى بالحاضر ، وكل منهما يستدعى الآخر فى لحظة ما . (قياس الغائب بالشاهد و المسافر بالذاهب)

و قد استوحى علم العمران النص القرآنى استيحاء مباشراً فى تأكيده على عمارة الكون ومهمة الاستخلاف فى الأرض .

❁❁❁

أما المنهج العلمى الذى يفخر بـه الغرب،والذى يقول بعض كتابنا : إنهم يلتمسوه بهذا على منهج الإسلام ، فإنهم غافلون عن الحقيقة ، فإن هذا المنهج جاء للغرب من المسلمين كما قال الإمام المراغى : (إن المنهج الجديد ليس بجديد ، بل هو بعض من كل ، سبق به القرآن الكريم دستور الأمة الإسلامية فى كل زمان ومكان، وعمل به العلماء العرب فى كل فنون العلم ، وهى عناصر خطاب موجه للحاضر والمستقبل معاً باقتدار المنهج القرآنى على إبلاغ الفكر الإسلامى أعلى مَبالِغِهِ ، على حد قول المستشار عبد الحليم الجندى "لقد آن للمسلمين أن يدركوا أن عندهم مفاتيح التقدم ، وأنهم إذ يعملون به يستردون تقدمهم ولايستوردونه" هذه هى الحقيقة فى شأن دور المسلمين فى العلوم التجريبية التى مازال الغرب يراوغ فى الاعتراف بها .



(١٣)

اليقظة هى اكتشاف المسلمين لمؤامرة الغرب لهم

القضية الكبرى التى يسعى التغريب فى هذه الأيام إلى محاولة تثبيتها فى الأذهان هى قضية (تحطيم الثوابت) .

وكلمة (تحطيم الثوابت) هو تعبير مهذب لإذعة الإلحاد وإنكار الألوهية وإنكار الغيب والبعث من خلال تصورات متدرجة،بدأت بنظرية التطور ونظرية فرويد عن العقل الباطن ، ومن خلالهما بدأت نظريات السريالية فى الأدب ، والنسبة فى الأخلاق والدعوة إلى التطور المطلق وإنكار القديم والتراث وخلق مفاهيم العبثية والعدمية والفوضوية والتحرر من كل القيم والضوابط والحدود التى تحمى وجود الأمة وتحرس الثوابت والأصول ، تدرجاً إلى مذاهب فلسفية وأدبية ضالة وصولاً إلى ما يسمى بالحداثة مروراً بأخطر هذه المراحل : (العلمانية - الماركسية)

إنه مخطط ماسونى أساساً يقوم على محاربة الدين جملة ، ولما كان الإسلام هو الدين الوحيد الذى يمتلك مقومات فكره الذى لم يحدث له أى تغيير ، أو لوثائقه من قرآن وسنة أى تزييف ، فإن هناك محاولة ضخمة لمهاجمة وإثارة الشبهات حوله ، ومن هنا فإن كشف هذا المخطط وتحذير الشباب المسلم من الاستسلام لمظاهره البراقة ، سواء من حيث المصادر التى تذيعه أو الكتب أو الصحف أو وساطة الأسماء اللامعة من الكتاب.

ولقد تأكد اليوم أن العمل على تفكيك الفكر الإسلامى هو مقدمة لتفكيك الأمة الإسلامية .

المخطط هو تفكيك القيم الثوابت التى يؤمن بها العرب والمسلمون بمفهوم أن ضرورة التقدم والتجديد ومسايرة العصر تتطلب ذلك ، وهذا تصور خاطئ بصفة عامة، وتزداد خطاياه عندما يوجه إلى المسلمين الذين يملكون منهجاً عالميًّا إنسانيًّا مرناً ومتفتحاً وقادراً على استقبال معطيات العصر دائماً .

وربما اتجهت أوربا واتجه الغرب نحو هذه المحاولة لقصور تراثهم وقيامه على مجموعة

من الأساطير القديمة ، ولكن الموقف مع عالم الإسلام يختلف .

وإذا كانت قد قامت عمليات تفكيك لبعض الشعوب فإن علة ذلك أنها قامت على أساس قيم بشرية صنعتها عقول ومطامع وأهواء معينة (مثال ذلك ما يجرى من تفكيك الاتحاد السوفيتى ، ويرى الكثير من الباحثين أن التفكيك يرمى إلى خلخلة مختلف الثوابت فى وعى الأمة وواقعها وإضعاف الأصول التى يقوم عليها انتماؤها واستمرارها بحيث تنهار الأعمدة التى ينهض عليها البنيان .

أما الأمة الإسلامية فقد قامت على دعامات أصيلة ثابتة من قيم الدين والخلق استطاعت تدعيم بناء الأمة ومجتمعها خمسة عشر قرناً متصلة ، فلا سبيل إلى مثل هذه الدعوى .

أما تصويت القواعد وتصحيح المفاهيم التى انحرفت بفعل متغيرات البيئة أو العصر فتلك من الأصول الأساسية التى يدعو إليها الإسلام والتى لابد من مراجعتها بين حين وآخر لحماية الوجود الإسلامى العام ، وهى تدخل فى باب المتغيرات التى تتصل بالزمان والمكان .

ولا تقف عملية التفكيك عند حدود سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية ، ولكنها تحاول تدمير القيم الفكرية المستمدة من منهج الله تبارك وتعالى فى محاولة ماكرة خبيثة.

وهكذا يصل منهج الغزو والتغريب إلى أخطر مراحله مع ارتفاع مد الصحوة الإسلامية وتعالى انطلاقها ؛ ليحقق هدفها الأصيل وهو العودة إلى المنابع والتماس الأصول الإسلامية لمنهج بناء المجتمع والقضاء على هذه المرحلة المظلمة من التبعية للغرب فى مجال القانون والاقتصاد والسياسة واستعادة صورة المجتمع الإسلامى فى تألقه بخضوعه للربانية الأخلاقية .

ولقد كان مزعجاً للغرب وللنفوذ الخارجى أن يعود المسلمون إلى منهجهم بعد أكثر من مائة عام من الاحتواء الغربى وفرض القانون الوضعى فى مجال الحكم والمحكمة والمدرسة والمصرف ، ولكن هذا الذى بدأ غريباً على الطامعين فى السيطرة على بلاد المسلمين لم يكن غريباً على المسلمين الذين وجدوا فى النظام الغربى حين فرض عليهم - وهم لم يقبلوه بإرادتهم - وجدوا فيه تفاوتاً كبيراً وثغرات واسعة ،

وكان له تأثيره الخطير على تهديم الأسر والمجتمعات ، وتدمير مقومات الوجود الحقيقى للأمة الإسلامية .

ومن هذا المنطلق ، منطلق إدامة السيطرة تشكل هذا الأخطبوط الخطير من التغريب الذى كان يطمع فى أحتواء الفكر الإسلامى والإسلام والمسلمين جميعاً .

ولكن الكلمة التى كانت عنوان المقاومة أن اليقظة هى اكتشاف المسلمين لأبعاد المؤامرة التى ترسمها القوى المتضافرة (ماركسية وغربية وصهيونية) واكتشاف المسلمين أيضاً لهدف إخراج الإسلام من ذاتيته الخاصة وإخراج الإسلام من مفهومه الجامع الصحيح

وقد عمد النفوذ الغربى إلى غزوات عديدة

١ - تغيير الهوية الإسلامية فى فلسطين المحتلة والهند وتحويل هوية إفريقيا إلى إحياء الزنجية وإبعاد الأفارقة عن كل ما هو إسلامى وربط مصير شعوبها بدول أوربا .

٢ - استخدام اللهجة العامية فى المسلسلات والإذاعة ، والتعمق فى استخدام العامية فى أدوات الإعلام .

٣ - محاولة القضاء على مفهوم المسئولية الفردية فى إطار ما أطلق عليه المسئولية الاجتماعية أو مسئولية المجتمعات .

٤ - التهوين من البعد الأخلاقى للمجتمعات ، وإعلاء ما يسمى بالنسبية التى تجعل الأخلاق عادات تختلف مع مستوى كل مجتمع .

من هنا ، كان لابد من التركيز على خصوصية الثقافة الإسلامية ؛ لارتباطها بالعقيدة والتاريخ والتراث .

وكان لابد أن نعمل على تحرير فكرنا من نظريات الفصل بين الماضى والحاضر أو احتقار التراث أو تفسير التاريخ الإسلامى تفسيراً ماديًا وماركسيًّا أو امتهان الصحابة بتحويلهم إلى سياسيين محترفين .

❁❁

وكان من أكبر الأخطاء وصف النظريات البشرية التى فرضها الفكر الغربى على الإسلام بصفة (العالمية) أو بصفة الحقائق العامة ، مثل الدارونية والماركسية والهيجيلية

أو مدارس علم النفس .

غير أن ماطرأ من تطورات جوهرية فى معظم العلوم الاجتماعية والإنسانية أدى إلى اكتشاف عجز هذه المناهج عن أن تنفع المجتمعات ، وأنها لم تزد عن أن تكون رد فعل مؤقت لموقف فى عصر ما فى مكان ما ، وليست عالمية أو إنسانية أساساً .

❁❁❁

ولقد تأكد أن المحافظة على ثقافة الأمة الإسلامية هو عمل له قداسة العبادة ، وأن فقدان الثقافة لأية أمة إنما يمثل أكبر خطر على مقومات وجودها وأصالتها ، وأن هناك أهمية كبرى لاستعمال المصطلحات الإسلامية والتعبير بها حسب دلالتها.

وكان لابد من مواجهة الفكر الغربى فى مخططاته المسمومة وبخاصة عمله على إشعال الصراع الإنسانى من أجل المال والثروة .

ومن هنا ، كان رفض الإسلام للبرجماتية والعلمانية معاً ، فإن البرجماتية تعنى النظر إلى الأشياء من خلال مفهومها المحسوس والمادى والنفعى دون نظر إلى القيم الروحية والخلقية وقصر السعادة البشرية على المعنى المادى واللذة المادية ، أما العلمانية فهى تفصل بين الدين والحياة .

❁❁❁

وقد جرت محاولة تحطيم الثوابت فى مجالين مختلفين : ولكنهما يرتبطان بالهدف المدمر، ويجرى التركيز على اللغة العربية والبيان القرآنى والنظم العربى ؛ لهدم القاعدة أساساً ، مع إعلاء العاميات فى المسلسلات والحوار ؛ حتى توجد (هوة) بين الأداء البيانى وبين أسلوب القرآن الكريم ومفاهيمه ؛ إذ إن المؤامرة كلها تتركز على القرآن من وراء ستار.

وترتبط هذه المحاولة بالأفكار الوثنية التى كانت قبل الإسلام وإعادة تجديدها ، ليس فقط بالكتابة عن الفِرَق ، لا بل عن طريق إحيائها عن طريق القصة والشعر .

وقد عمل كل شعراء التفعيلة على هذا النمط فى إحياء أساطير جلجامش وغيرها ، وإحياء مصطلحات النصوص الفلسفى ووحدة الوجود والحلول ومفاهيم الفلسفة المادية والأفلوطينية ، وما يتعلق بالعقول العشرة والعقل الفعال ومختلف الترهات التى

نقلوها عن الفكر اليونانى من ناحية والفكر الغنوصى من ناحية أخرى .

بل لقد مضى الماركسيون فى هذا المجال إلى آخر الخط ، فكتبوا أطروحات عن المزدكية والمانوية والزرادشتية والراوندية ، وإحياء تعاليم بابك التى هى خلط من المزدكية والخرمية والمجوسية ، وفى مقدمتها الحلول والتناسخ .

نعم ، تجددت هذه الأفكار الوثنية فى محاولة خطيرة لاحياء المجوسية ، وليست أفكار الحداثة والبنيوية وغيرها إلا محاولات لإجراء هذا التفكيك فى الفكر والأدب .

وهناك تركيز شديد على الفكر الفلسفى الصوفى الفارسى القديم من خلال هذا الفكر الباطنى ، يعمل المتصدرون لشعر التفعيلة من ناحية ، ويعمل الآخرون - فى كتابة تصور مسموم للفكر الإسلامى يتجاهل الشريعة والفقه ومعطيات الإسلام الكبرى جميعاً ويركز على العرفان (الذى هو التصور الفلسفى) و (الأفلاطونية) التى هى الفلسفة اليونانية .

وهناك محاولات الدعوة إلى ما يسمى بالصدق الفنى الذى يراد به فتح الباب واسعاً أمام تصوير لحظات الضعف البشرى والإباحة والكشف غافلين عن مفهوم الإسلام الصحيح للفن وهو يخضع لقاعدة فقهية أصيلة هى (حسنه حسن وقبيحه قبيح) وفرق بين الصدق الذى يمثل اللحظة وبين الصدق الذى يستمد وجوده من الحقائق الكلية والمطلقة ، إيماناً بأنه لا توجد حرية مطلقة للكتاب ، ولكن هناك حدود دينية وأخلاقية واجتماعية لا يجوز تجاوزها .

فالفن فى الإسلام لا ينفصل عن الأخلاق ، ولكنه فى الغرب ينفصل ، فنحن نؤمن بالكلمة الطيبة ونرفض الكلمة الخبيثة .

نحن لا نسلك مسالك الفلاسفة ولا المتكلمين ولا الشعراء وإنما نسلك منهج القرآن الاستدلالى ، وندعو إلى تحرير الفكر من البدع والشبهات الوافدة .

فالمؤامرة كلها معدة لتذويب مفهوم التكامل الجامع وإعلاء مفهوم اللاهوت (العبادة) على النحو الذى يفهم به مصطلح الدين فى الغرب .

وترمى المؤامرة إلى تفريغ الإسلام من جوهره ، والحيلولة دون عودته إلى منابعه وإلى منهجه الأول الميسر البعيد عن تعقيدات الفلسفة أو علم الكلام أو التصوف

الفلسفى ومن هنا ، كان موقف الدعوة الإسلامية من الفكر الإسلامى المعاصر (علم الكلام والاعتزال والفلسفة والتصوف الفلسفى) كذلك فإن الإسلام لا يقر الانفتاح المطلق على الخيال ؛ فإنه يؤدى إلى تدمير مقومات الواقع الذى يجب أن نصلحه .

وقد كانت الدعوة إلى العبثية والسخرية بالأديان وإحياء الأساطير عاملاً من عوامل الدعوة إلى الخيال والعمومية .

وقد ارتبط الشعر الحر بمنهج الحداثة الفكرى المنحرف منذ نشأته الذى يقوم على الغموض والتمرد على الوزن والقافية ، والذى يحاول أن يحطم القيم فضلاً عن تحطيمه للأداء .

إن ما وراء هذه الدعوة إلى الخيال والغموض والأساطير خطير ، وهو يغرر بنا فى مجالات خادعه تحول بيننا وبين مواجهة الواقع وإقامة المجتمع الأصيل .

✿✿✿

(١٤)

العودة إلى المنابع

تعنى العودة إلى المنابع التماس مفهوم القرآن والسنة وتعامل الرسول صلى ا لله عليه وسلم مع الأمور والمعضلات إزاء المجتمع الجاهلى القديم وإزاء الوافد من حضارات الروم والفرس ، وهو ما قام به المجتهدون من فقهاء الإسلام من بعد .

أما التماس العودة إلى المراحل المضطربة من تاريخ المسلمين أو مراحل الضعف والتخلف فإنها لا تصلح للانتفاع بها إلا من قبيل العبرة بأخطاء الماضى .

إن ارتباطنا بماضينا يعنى ارتباطنا بالقيم الأساسية من ثوابت الإسلام ، وليس من الفكر الباطنى أو الوثنى فى مراحل ترجمة الفلسفات أو مراحل التبعية .

ونحن فى هذا الموقف لا نرتبط إلا بالماضى الأصيل بمفهوم أهل السنة والجماعة، وفى نفس الوقت نكون قادرين على أن نقف موقف الأصالة من الفكر الوافد فلا نقبل منه إلا العلوم والوسائل التى نطورها فى دائرة فكرنا ومجتمعنا ونصهرها فى بوتقتنا .

❁❁❁

أما الثقافة الإسلامية فهى تستمد مقومها الأساسى من القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وقد شكلت طابعاً أساسيًّا تلتقى فيه الأعراق المختلفة (عربية وفارسية وتركية وهندية جميعًا) وهى التى تستمد عقيدتها وفكرها ومنهجها الاجتماعى والأخلاقى من المنهج الأول والنبع الأصيل .

ولقد كانت مهمة الثقافة الإسلامية المتميزة المرتفعة عن الانصهار أو التبعية ، استيعاب ما يوافقها ولا يتعارض معها من الثقافات المعاصرة دون الوقوع فى أسرها أو ذوبان الأصالة .

وأمامنا تجربة القرن الرابع بترجمة الفكر الإسلامى ، فقد ترجمت الفلسفات ، ورد المسلمون على ما فيها من أخطاء ، وكشفوا ما يختلف منها عن الإسلام .

❁❁❁

ونحن نفرق بين التحديث والتغريب .

فالتحديث يرمى إلى عرض الإسلام كما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى محافظة كاملة على حقيقته وجوهره وعرضه عرضاً حديثاً يناسب عقول أهل العصر وأذواقهم ، دون أن نتخذ من المعايير الأوربية موازين للحكم على الإسلام وحضارته، فإذا لم يتفق القرآن مع آراء أهل العصر وموازينهم فإن هذا يتطلب شرح وجهة النظر الإسلامية والأحكام الشرعية والأسباب الموجبة لها شرحاً يجعل الغربيين أقدر على فهم الإسلام واحترامه .

أما التغريب فهو تقديم الإسلام من خلال مقاييس الغربيين وقيمهم ومفاهيمهم، وهذا ما يعارض أصالة الإسلام ومنهجه المتفرد .

إن هدف حركات اليقظة ، البعث ، الصحوة ، التحديث الإسلامى « أن تعرض الإسلام كما هو ، دون تشويه أو تغيير - على أهل العصر من مسلمين وغير مسلمين، باللغة العربية التى يفهمها الناس، ومن خلال المفاهيم والتعابير التى تتفق مع بنية عقولهم وتطلعات نفوسهم » .

«وهى تتحدث عن الإسلام الذى يمتاز بنظرية الشمولية فى الماضى والحاضر والمستقبل» ، «كما يمتاز بنظرته الإنسانية التى تقوم على تصور عام للوجود وعلى الإيمان والعبادة والأخلاق ، كما أنه يقوم على تنظيم شامل للمجتمع .

إن حرص الإسلام على الحفاظ على أصالته لا ينافى رغبته الصادقة فى التعامل مع غير المسلمين؛ بل إن حرص الإسلام على أصالته يجعله قادراً على إثراء البشرية فى الميادين التى تتلاقى فيها الحضارات» .

❁❁❁

ولقد اكتشف الغربيون "الإسلام" أخيراً بعد أن حاربوه خمسة قرون، وظهر كُتّاب أعلام لفتوا النظر إلى الأخطار المحدقة بالبشرية، وأعلن بعضهم أن الإسلام وحده هو الدين المؤهل للقيادة العالمية؛ لأنه يعنى بجماع الدنيا والآخرة، وبالفرد والمجتمع، ويؤمن بالحرية والإخاء والعدل والإحسان، كما يثق بالإنسان ومستقبله، ويحرص على تكريمه ويطالبه بأداء رسالته ، وهى أن يكون مستخلفاً لله تبارك وتعالى فى الأرض .

ولا ريب أن الإسلام سيستجيب لهذا النداء ويحقق الرخاء، ويكون فى المستقبل كما كان منذ ظهوره فى خدمة الإنسانية كلها، بقى على أهل الغرب أن يتعرفوا على الإسلام معرفة صحيحة ويطلعوا على جوهره وغاياته فى :

١ - نصرة الشعوب المستضعفة مهما كان لونها أو دينها أو عرقها .

٢ - التشجيع المستمر للبحث العلمى وجعل وجهته خالصة للإنسانية كلها وليس لطائفة تستعلى به على البشرية .

٣ - الإيمان بمستقبل الإنسانية المؤمنة .

٤ - الدعوة الصحيحة للإسلام .

أما فى بلاد المسلمين فلابد من إعادة صورة الإسلام إلى حقيقتها من حيث كونه عقيدة ونظام حياة قائمًا على الالتزام الأخلاقى والمسئولية الفردية .

ولابد أن تقوم الدولة الإسلامية من خلال أنظمتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

وقد تمتع الإسلام بطاقة وافرة تتجلى فى قدرته على التوسع والانتشار وتحريك الشعوب، وليس أدل على ذلك من الانتفاضات التى حدثت فى الأقطار الإسلامية إبان مكافحة الاستعمار وانتهت بانحساره عنها ، فضلاً عن مشاهد اليقظة فى بعض البلاد الإسلامية التى كافحت وتكافح من أجل تحررها السياسى وتقدمها الاجتماعى، وقد اعترف بذلك من متعصبى المستشرقين برنارد لويس الذى قال : « أن الشىء الواضح الوحيد هو أن من بين جميع الحركات الكبرى التى هزت الشرق الأوسط فى آخر قرن ونصف، كانت الحركات الإسلامية وحدها أصيلة فى تمثلها لمطامح أهل هذه المنطقة، فالليبرالية والفاشية والوطنية والقومية والشيوعية والاشتراكية كلها أوربية الأصل مهما أقلمها أتباعها ، وبالرغم من أن كل الحركات الإسلامية قد هزمت غير أنه لم تقل كلمتها (بعد) » .

❁❁❁

ولقد كان الإسلام ومازال شريعة متكاملة تستوعب كل أوجه الحياة دنيا ودينًا تضبط علاقة الإنسان بالخالق تبارك وتعالى ، وبينه وبين غيره من بنى الناس جميعاً .

يقـول الفيلسوف محمد إقبال : «إن الشئون الروحية والدنيويـة فى الإسلام لا تعتبر ميدانيين منفصلين، وتوجد حقيقة واحدة فى الإسلام لاحقيقتان طبقاً لوجهتى كل من الدين والدنيـا، وليس صحيحاً أن نقـول : إن الدين والدولـة وجهان أو مظهران لنفس الشـىء ، إن الإسـلام يعتبر حقيقـة منفردة غير قابلـة للتحليل . فالدولـة من وجهة نظر الإسـلام إنما تعبر عن السـعى لتحويل تلك المبادئ والمثل العليـا إلى قوى عاملة فى إطار الزمان والمكان وتعد أملاً لتحقيق تلك المثل فى تنظيم إنسانى محدد» .

۞۞۞

والإسـلام يرتبط بطبيعة لا تقبل الفصل بين مـا هو لا دينى وبين ماهو مقدس ، بين ما هو روحى وبين مـا هو دنيوى، ويكفى أن نقول عن الدولـة الإسـلامية : إنها دولة مدنيـة مؤسســة على الإسـلام؛ لاهـى دينيـة ولا ثيوقراطيـة ، فهى دولـة لا ثوريـة ولا استبدادية ، دسـتورية لا بوليسية ، أخلاقية لا ميكافيلية ، إنسانية لا همجية ، علمية لا علمانية ، دولة عقيـدة وفكرة ، تؤيد الحق ، وتنصر الخير،وتقيم العدل ، وتحرس القيم، وترعى الحرمات ، وتصون الحقوق والحريات .

۞۞۞

ولمـا كـانت هذه الوحـدة الجامعــة وهـذا التكـامل لا يجد قبـولاً عنـد العلمـانيين والملاحدة، والذين يقيمون مفاهيمهم على أساس الفلسفة المادية والانشطارية فيرفضون الـروح والمعنويات وعـالم الغيب والنبـوة وكل مـا ليس محسوسـاً، فقد شـاعت مقولـة العقلية الغيبية التى تضرب مثلاً على الإسلام، فهل الإسلام كذلك ؟.

نحن المسلمين نؤمن بالغيب ونعتبره الشطر الثانى لعالم الشهادة، ونقيم مفهومنا على التكامل بين الروح والمادة والعقل والقلب والدنيا والآخرة، فهل تعتبر العقلية الإسلامية عقليـة غيبيـة؟ بمعنى أنهـا جـامدة أو قاصرة ، ذلـك ما ليـس إليـه من سـبيل؛ لأن هذه العقلية الإسلامية الجامعة هى التى أقامت الحضارة والمنهج العلمى التجريبى خلال أكثر من ألف عام الآن؛ ليضـىء طريق البشرية، وقد امتـد من حدود الصين إلى قلب أوربا، وكان مصدر الحضارة الحديثة .

وإنما يقال ذلك بهدف انتقاص العقلية الإسلامية وتقليل مكانتها العلمية، فالواقع أن الإسـلام هو الدين الوحيد الـذى جمع بين الغيبيـة والعلميـة فى آن واحد (إن صح هذا

التعبير)، وكل الدلائل التاريخية والعملية تؤكد خطأ هذا الاتهام؛ إذ استطاع الإسلام أن يجمع بين العلم والغيب معاً على خلاف العقلية الغربية المادية، ولقد حاول كُتّاب الغرب من أعداء الإسلام نشر هذا الادعاء الباطل فى محاولة لانتقاص العقل العربى أو العقلية الإسلامية، وجاراهم فى هذا بعض الكتاب العرب .

ولكن من يراجع تاريخ العلوم الإسلامية يتأكد له أن العقلية العربية الإسلامية -على حد تعبير الدكتور ماهر عبد القادر - تتضمن جانباً تحليليًّا نقديًّا تأويليًّا يعمل العقل حتى فى النص القرآنى، وليس كما يقولون بسيطرة النواحى البيانية والعرفانية التى جاءت فى ظروف تاريخية وسياسية ، وهذا الادعاء قال به الكاتب الفرنسى (التوسير) وجاراه فيه عابد الجابرى وغيره ، أما ما أصاب العقلية العربية من الجمود فقد كان بسبب بعض الظروف السياسية والتاريخية .

أما القول بأن العقلية العربية عقلية غيبية بشكل مطلق فهذا مرفوض تماماً ، فليس هناك شىء مطلق أولاً، وثانياً كيف تكون عقلية غيبية وتنتج علماً ومنهجاً تحليليًّا ونقدياً كما هو معروف ؟

۞۞۞

وبعد ، فأعتقد أن تلك المحاولات المتجددة لتشويه أصالة الإسلام على أيدى بعض الماركسيين (أمثال أدونيس وعابد الجابرى) قد عفى عليها الزمن بعد أن ظهر كتاب من الغرب يؤكدون صدق الإسلام، ويخرجون من عقليتهم المادية التى ولدوا بها ليقروا بعظمة الإسلام وكفايته وعطائه، بينما يسقط الذين ولدوا فى قلب الإسلام لأنهم جروا وراء الأهواء والمطامع .

وأخطر ما لديهم أنهم يحاكمون تاريخ الإسلام وفق المذاهب الغربية المادية ، وكيف يمكن محاكمة الإسلام الذى ظهر قبل ألف وأربعمائة سنة بمذاهب مادية ظهرت فى القرن التاسع عشر وثبت فسادها وانهيارها ؟

إن تمسك هؤلاء بمقولاتهم المبطلة رغم انهيار كل الدلائل التى يمكن الاعتماد عليها لا يقل غرابة عن موقف الشيوعيين الآن من النظرية الماركسية بعد سقوط روسيا .

۞۞۞



(١٥)

الإسلام حين فهم مهمته

الإسلام اليوم عائد إلى منهجه الأصيل بعد أن حجب عنه أكثر من مائة عام؛ حين قصوا أجنحته وطاردوه من كل ميادين المجتمع والحياة إلى المسجد، وظنوا أنهم قد استطاعوا محاصرته ، وقد خلا الميدان للقانون الوضعى فى الاقتصاد والعلمانية فى التعليم، وسيطرت نظريات الليبرالية والإقليمية والقومية الضيقة فى محاولة لتدمير :

١ ـ الوحدة الإسلامية الجامعة .

٢ ـ المنهج الإسلامى فى المجال الاقتصادى والسياسى والاجتماعى .

ولكن الإسلام لم يستسلم ، لأنه يملك منهجاً ربانيًا قادراً على الانبعاث من الداخل وإعادة امتلاك مقدراته وتصحيح المسيرة بإحياء ثلاثٍ :

١ ـ الجهاد ٢ ـ الشريعة ٣ ـ الأخلاق

ومنذ ذلك اليوم وهو يتحرك فى قوة وثقة ، سواء فى المحيط الداخلى للأمة الإسلامية أو فى المحيط الخارجى؛ حيث تتطلع إليه الأنظار كمنقذ للحضارة والإنسانية، ولكنه كان يتقدم فى حذر وخطوة وئيدة؛ لأن أعداءه يملكون كل شىء وهو لايملك إلا الكلمة .

وكان عليه أن يعمل وأن يحاذر أولئك الذين يخشون تناميه وارتفاع مده ، وأن يكشف لهم عن جوهره النقى، فليس هو بالطامع فى سيطرة أو تملك أو سيادة؛ ولكنه يريد شيئاً واحداً؛ أن تكون كلمة الله هى العليا .

ولما استطاع النفاذ إلى القلوب وأخذ العالم يتطلع إليه تعالت صيحات خصومه فى حركات عصبية ، كان السر فى هذه الصيحات أن المسلمين فهموا حقيقة الإسلام ورسالته ومهمته، وأزاحوا ذلك المفهوم المغلوط المضلل الذى أمضى المستشرقون والمبشرون أكثر من قرن من الزمان يخدعون المسلمين عن حقيقته، سواء بقدرتهم فى مجال السيطرة السياسية، بحجبه عن المدرسة والمصرف والمحكمة (التعليم والاقتصاد

والقــانون) أو بمغالطـاتهم ومؤامراتهـم؛ عن طريـق تزييف المنـاهج التعليميــة والثقافــة والصحافة .

ومـن هنـا ، فإننـا لا نعجب حـين نرى (الصنـداى تلغراف) البريطانيــة تنشــر هذا العنوان المثير الخطير :

(الإسلام قـادر على تغيير أى نظام دكتاتورى مهمـا بلغت قوته، وأنه لأول مرة تتجه الدول الإسلامية إلى الشريعة بعد فشل الديمقراطية والاشتراكية)

لقد اسـتغل الاسـتعمار وجوده فى الحكـم وراح يروج للفكر الأوربـى والفلسـفة العلمانية ، وكيف تم التقدم فـى الغرب بعد الخروج من إسار الدين ، وسرعان ما عزل المسلمين فـى التكايا والزوايا والمسـاجد ، ووضع رجلاً إنجليزيًّا مشـرفاً على التعليم فى كل بلد محتل، وفرض المحتل لغتـه وفكره ؛ حتى فقدت الجزائر لسانها العربى، ولما جاء الحكم الوطنى بعد الاستعمار حاصرته المشاكل وبقى شعار ملكية قيصر للدنيا ، وراح الحكم الوطنى يحاول تنظيم الحياة بعيداً عن الإسلام ، وبقى الإسلام سيفاً خشبيًّا يرتفع فى المناسبات ومصحفاً مغلقاً كبركة .

ولكن اليقظـة بدأت من أعمـاق ظلمـة الليل ، فأشـرق نور الإســلام مرة أخرى، وقالت اليقظـة : إن الإسـلام منهج حياة ، ونظـام مجتمع وإنه سلسـلة متصلـة الحلقات فى مجـال الاقتصاد والسياسـة والاجتمـاع والتربية) ، ولا يجوز مناقشـة أى أمر منفصلاً عن منظومتـه الكاملـة ، وإن الإســلام ـ وحـده ـ هو المنقـذ الوحيد من أزمــة العـالم الإسلامى .

وإن السياسة ليسـت مجرد مصالح تجرى على طريقـة (ميكافيلى) الذى قال: إن كل وسيلة تحقق الغاية مشروعة، وإنما هو منهاج يهدى إلى الحق ، ويلتمس للهدف الأصيل الوسيلة الأخلاقية التى ترضى الله تبارك وتعالى .

وهـو برنامج تعليمى قرآنـى للأمة الإسـلامية يتضمن وجود أرضيـة ينطلق منها إلى تحقيق هـدف التقـارب بـين المســلمين ـ كـل المســلمين ـ والتكـامل بـين أجزاء العـالم الإسلامى لاحتياز الأزمة .

ولابد مـن إعداد العدة للمقاومـة والمواجهـة والـردع وأهميـة الرجـال قبل السـلاح والمال .

فسلاح ومال بلا رجال لا قيمة له ، سلاح وعتاد للجهاد فى سبيل الله يتطلب رجلاً .

❁❁❁

وتقوم الحضارة فى مفهوم الإسلام على أربعة أبعاد : (العقائد ـ الاقتصاد ـ القيم الأخلاقية ـ الثقافة والعلوم)

وتلك المكونات تختلف فى كيفياتها وسماتها، وتختلف فى لقائها مع العصر الراهن والحضارة الغربية .

١ ـ وتقوم العقيدة على الإيمان بالله تبارك وتعالى وبالرسالات النبوية وبالرسالة المحمدية الخاتمة؛ حيث يهيمن الإسلام (عقيدة وشريعة) على كل المكونات الحضارية الاجتماعية والسياسية ، بينما يغلب الفكر العلمانى اللائكى على الحضارة الغربية .

٢ ـ والاقتصاد فى الإسلام يخضع لناموس الحق والعمل والتكامل ، بينما يقوم فى الغرب على حرية التملك ، ويخضع للمعاملة بالربا والمتاجرة بالمحرمات .

٣ ـ وتقوم الأخلاق على قاعدة الثبات : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والتكامل الاجتماعى والشورى السياسية .

أما فى الغرب فتغلب المصلحة الفردية والابتعاد عن القيم الدينية والأخلاقية مع الإباحية السلوكية .

٤ ـ الثقافة والعلوم فى الإسلام تقوم على وحدة العلم والدين بما فى ذلك العلوم الطبيعية والصناعية ، والعلم يخضع للمصلحة العامة ، ويخضع لمقاييس الأخلاق ، ويكتمل بها سعادة الدنيا والآخرة؛ أما فى الغرب فالتقدم الأمثل للعلوم الطبيعية والمجردة هو التكنولوجيا .

❁❁❁

وقد اعترف كثير من الباحثين الغربيين بتميز الاقتصاد الإسلامى؛ حيث يقول جان أوسترى فى كتابه (الإسلام فى مواجهة النمو الاقتصادى) : إن طريق الإنماء الاقتصادى ليس محصوراً فى الاقتصادين المعروفين : الرأسمالى والاشتراكى؛ بل إن هناك اقتصادًا ثالثًا راجحًا هو الاقتصاد الإسلامى ، الذى يبدو أنه سيسود عالم المستقبل؛

لأنه أسلوب كامل للحياة يحقق المزايا كافة ويتجنب المساوئ كافة .

❁❁❁

وقد أقر الإسلام دعائم أربعة لبناء المجتمع الربانى :

أولاً : حماية الأمة من العوز ومن سيطرة أصحاب رءوس الأموال؛ وذلك بفرض الزكاة .

ثانياً : حماية المجتمع من الفساد والانحلال والإباحة؛ بإقامة الحدود .

ثالثاً : حماية الفقير واليتيم والضعيف؛ بأن جعل له حقًّا فى مال الفئ .

رابعاً : حماية المرأة من اضطهاد الرجل لها وإعطاؤها حقوقها الاقتصادية والاجتماعية كاملة .

❁❁❁

ولقد دعا الإسلام معتنقيه إلى تأكيد أمرين أساسيين :

أولهما : الانتماء المستمد من فكرة الأمة التى تربطها العقيدة .

ثانيها : الوحدة الإسلامية التى هى مصدر التماسك والقوة، فالمسلمون يؤمنون بأنه لا تقوم النهضة الإسلامية إلا فى ظل الوحدة الإسلامية ، ولا تقوم الوحدة الإسلامية إلا بتطبيق المنهج الإسلامى؛ فهو وحده القادر على تجميع المسلمين تحت لواء الوحدة، هذا الإيمان يتطلب بناء الأجيال الجديدة على منهج التربية الإسلامية وبروح الجهاد والنضال وحماية الثغور، والتحرر من كل عوامل الانحلال والترف والمطامع والأهواء .

ويجب أن تكون الأمة الإسلامية عارفة بالمخاطر والمحاذير التى تحيط بها، والمؤامرة التى تدبر لاحتوائها وصهرها فى بوتقة الغرب والتبعية؛ مما يستدعى أن يظل المسلمون على تعبئة دائمة، ولا تغفل لحظة عن الخطر الذى يواجهها ويتحداها، ولقد كانت الأمة الإسلامية دائماً عرضة لهذا التحدى الذى لم يتوقف يوماً منذ بزغ فجر الإسلام ، وكان تهاونها فى التمسك بمنهج الله تبارك وتعالى، وانتقالها من العزائم إلى الرخص، واستسلامها إلى الدعة والترف، وتجميد قوتها العلمية فى مواجهة الخطر وتناسى العدو أومصاحبته هو الذى يفتح الباب دائماً أمام تعرية ضعف الأمة، ويعطى خصمها القدرة على ضربها فى مواقع الضعف، وينال ، منها وقد نبه القرآن الكريم إلى ذلك ﴿يا أيها

الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ﴾ . فنحن مطالبون باليقظة والمرابطة الدائمة والقدرة على الردع وامتلاك السلاح وتنمية الموارد .

وقد انتهز الغرب فرصة التخلف فاستبدل باحتلاله العسكرى احتلالاً أقتصاديًّا أمتص موارد الأمة الإسلامية وأغرقها فى الديون فأصبحت خاضعة له بحكم لقمة العيش التى لا تملكها ، وفى وسعه أن يحرمها منها .

❁❁❁

ومع ذلك فإن الإسلام ليس فيه كلمة واحدة تدعو إلى الذل أو احناء الرءوس لغير الله تبارك وتعالى .

وخطاب الإسلام يرفع معنويات المسلم، فهو يدعونا إلى الاستعلاء على الأزمات **﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون﴾**، وخطاب القرآن يرفع معنويات المسلمين ويدعوهم إلى مزيد من الثبات والعزيمة والاستشهاد فى سبيل الله .

والإسلام ما يزال يدعو إلى الإيجابية التى تتسم بالقوة والإسهام الفعال فى المجتمع .

وقد عالج الإسلام السلبية وغرس ونَمَّى مفهوم الإيجابية ، وطالب المسلم أن يكون إيجابيًّا ، سواء كان بيده أو بلسانه أو بقلبه ، والإيجابية تستهدف صلاح المجتمع وهو يدعو الأمة الإسلامية أن تعد العدة لمواجهة الاعاصير وأن تكون دائماً على تعبئة ...

❁❁❁

ولقد كان الإسلام قوة دافعة فى المجتمع وقوة محركة للفعل، وليس للمسلم فلسفة أساسية من صنع فكره كإنسان؛ وإنما مرده إلى وحى القرآن وسنة الرسول وما وقع عليه الاجماع، وقد أكد العلم تفوق الشريعة الإسلامية على القانون الوضعى ، وقدم الإسلام منهج الشورى فى السياسة وفى العلاقات الإنسانية وفى قضية المرأة، وأعلن الإسلام أن للضعفاء حقًّا فى كسب الإنسان القوى .

❁❁❁

وقد كانت الوسطية الإسلامية أبرز معالمه الأساسية حيث يجمع بين السلفية والتجديد، ويوازن بين الثوابت والمتغيرات . ويحذر من التجميد والتمييع والتجزئة للإسلام .

ويمثل الفهم السلفى للإسلام أن تكون الفكرة واضحة نقية بعيدة عن جدل المتكلمين وتعقيدات الفلاسفة ، أن يفهم الإنسان باعتباره مستخلفًا فى الأرض، مكرمًا بالعقل مخاطبًا بالتكليف ، فهو صانع الحضارة والمسئول عن عمارة الأرض بوصفها جزءًا من عبادة الله تبارك وتعالى .

❁❁❁

إن فكرة الفصل بين الدين والدولة كانت من إخراج العقلية الغربية فى صراعها مع المسيحية الغربية (لا المنزلة) ومع الكنيسة، وهى قضية منفصلة تماماً عن مفهوم الإسلام الذى لم يكن ديناً لاهوتيًّا (أى بمعنى العبادة وحدها) بل كان جامعاً بين علاقة الإنسان مع الله تبارك وتعالى من ناحية وبين المجتمع من ناحية أخرى .

﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق ليتحكم بين الناس بما أراك الله﴾

﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم﴾

وقد أورد القرآن هذا المعنى فى بضعة عشر آية .

❁❁❁

(١٦)

محاذير كثيرة يجب الاحتراس منها

محاذير كثيرة يجب أن يقف أمامها المسلم واعياً منتبهًا يلتمس لها العلاج الصحيح ، هذا العلاج الذى لا يتحقق إلا بتطبيق المنهج الإسلامى .

ذلك أن الغرب بسيطرته ونفوذه وظلمه يستغل حرمان المسلمين وتخلفهم ؛ ليفتنهم عن دينهم، وينشر الأفكار المنحرفة بينهم؛ فإن معظم سكان قارتى آسيا وأفريقيا من المسلمين ، وهم من المحرومين الذين يعيشون دون المستوى الإنسانى، وقد استغل النفوذ الأجنبى حاجتهم ؛ فحاصرهم بالإرساليات التبشيرية التى لاتقدم الطعام إلا للذين يتركون دينهم ويلوذون بها، كما أن الكنيسة ترحل أكثر من مليون طفل أفريقى إلى أوربا كل عام لتوزيعهم على الأديرة، والعمل على تحويل هوية أفريقيا، إلى إحياء الزنجية، وإبعاد الأفارقة عن كل ما هو عربى وإسلامى، وتربط مصير شعوبها بدول أوربا .

إن هناك ١١٣ ألف مبشر يعملون فى أفريقيا وحدها لتنصير أبناء المسلمين، وإن هناك ١٥ مليون طفل مسلم يموتون سنويًا من الجوع فى بلاد تحمل فى باطن أرضها الكوبولت واليورانيوم والمنجنيز .

وهناك الأقليات الإسلامية التى تشقى مع أغلبيات هندوكية وبوذية، وهناك لاجئون مسلمون فروا من وجه الظلم فى فلسطين وأفغانستان وإريتريا .

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد؛ بل هناك محاولات للقضاء على الأجيال المسلمة الشابة فى قلب أوطانها؛ عن طريق المخدرات والأفلام والرحلات المشتركة، فى محاولة لتدمير مقوماتهم الاجتماعية والخلقية .

وهذه كلها منغصات للمسلم ، ولكن يجب أن ننظر إليها ونفكر فيها حسبما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » .

هذا العالم الذى يسميه الغرب الدول النامية (عالم الجنوب) هو عالم الإسلام الذى حشد الله تبارك وتعالى فيه قدراً كبيراً من المواد الخام والمنتجات الزراعية، ولكنه ليس

للمسلمين حق التصرف فيه، فقد سيطرت عليه الدول الظالمة من خلال النفوذ الاقتصادى الربوى العالمى . حيث يتم شراؤها بأبخس الأثمان؛ ثم تصّنع وتعود مرة أخرى لتباع للمسلمين أنفسهم أصحابها الأول بأسعار فاحشة ترهق اقتصاد هذه الدول، ولما كانت دول الغرب تحرص على توفير المواد الخام إليها؛ فإنها تعمل على إبقاء العالم الثالث متخلفاً يعتمد على ما تنتجه الدول الكبرى، ومن هنا تتضح لنا مؤامرة ما يسمى المعونات الاقتصادية للدول النامية ، هذه المعونات التى تعمل على ربط المجتمعات الإسلامية بالغرب سياسيًّا واقتصاديًّا وفكريًّا .

ومن هنا وصل حجم ديون الدول الفقيرة إلى ألف مليار دولار .

❁❁❁

البعض يرد ذلك إلى تخلف المسلمين الاجتماعى، وهو فى الحقيقة تخلف فى الإيمان وفهم العقيدة الإسلامية، وحين يستوعب المسلمون مهمتهم الحقيقية كما رسمها الله تبارك وتعالى لهم يقوم المجتمع المسلم الحق ، حيث ينتفى الظلم المادى والمعنوى . ذلك أنه ليس سبب الأزمة ضعف الدخل ، بل سوء التوزيع .

❁❁❁

وأخطر ما يؤدى إلى ذلك هو الابتعاث وما يسمى بالتبادل الثقافى ؛ فإنه يحتضن صفوة شباب الإسلام ؛ ليصهرها فى بوتقة الغرب ويدخلها فى أتون إعادة تشكيل العقول والقلوب وفق مفهوم التبعية . وإذا قيل :إن فى أحد بلاد أوربا ١٢٤ ألف طالب عربى فإن معنى ذلك أن هذا الرقم سوف يزحف فى القريب إلى مراكز التوجيه والثقافة والتربية والتعليم عندما يعود إلى أرض الإسلام فيصبغها بالصبغة التغريبية ، وأن هؤلاء جميعاً إلا من رحم الله سوف يعملون فى خدمة الثقافة الغربية بصفة عامة ، وأنهم سيتولون قضاء الأمور ، ويستقدمون المستشرقين فى معاهدهم ، ويعينون المبشرين ، ويفتحون آفاقًا للكتاب الغربى على نحو يضعف معه الكتاب الإسلامى .

وحين تشير الصحف إلى أن مؤسسة كبرى مثل فولبريت تقدم منحاً للشباب المسلم فى المعاهد الدينية بالإضافة إلى الجامعات الأخرى ويستقدمون مدرسين للعمل فى بلادنا ويبعثون شباباً مسلماً ليتعلم هناك تحت اسم التبادل الثقافى وتقديم المنح الدراسية فإن الأمر يؤكد أننا لن نتحرر من قريب من هذه التبعية ، بل هى مستمرة

وتتزايد مع الأيام .

كذلك فإن هذا الاهتمام باللغات الأجنبية فى بلادنا دون تقدير لوضعها بالنسبة للغة العربية والثقافة الإسلامية فإن ذلك من شأنه أن يقلص دور الإسلام فى مجال الفكر والثقافة .

❁❁❁

إن كل هذا يوحى بخطورة الهدف المتخفى وراء الابتعاث إلى الغرب الذى يمكن النفوذ الأجنبى من تشكيك شباب مسلم قليل الخبرة لم يدرس دينه دراسة عميقة ، فتقدم له من الأفكار المدمرة ما يزعزع يقينه بمختلف الوسائل (وأهمها الإغراء المادى والجنسى) حتى تذوب صلابة العقائد الراسخة والأفكار الثابتة فى عقولهم ، ثم الوصول بهم إلى مرحلة الحيرة والشكوك ، ثم تبدأ بعد ذلك مباشرة عملية غرس الأفكار الجديدة والمعتقدات التى تحل محل اليقين القديم .

فإذا تم التلقين عن طريق سلب الإرادة وإخفاء الأفكار المقابلة والرد عليها ،فهو تلقين إجبارى فى ظل جو من إحداث الإعجاب بالجديد ، وبالإغراء الذى يدفع إلى قبوله .

❁❁❁

وكذلك يجرى احتواء الباحث المسلم حتى يكون علمانيًا أو تقدميًا ، أو من أنصار التغريب أو الحداثة ، أومن دعاة القومية أو الاشتراكية أو التقارب بين الأديان .

ويجرى الآن فى عديد من الجامعات الغربية تعليم اللغة العربية من خلال منهج يهدف إلى تنصير المسلمين ، وقد ترجم القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية ليكون سلاحاً فى أيدى المنصرين البروتستانت العاملين بين المسلمين ؛ لأنهم وحدهم القادرون على مهاجمة القرآن بنجاح .

ومن يراجع مقدمة (ريموند لول) عن القرآن التى نشرت مستقلة بعنوان (مقاله عن الإسلام) يستطيع أن يكتشف مدى الخطورة والمكر والتآمر ، وهى تعد من المراجع الأساسية فى التبشير ، ويستعين بها المنصرون فى الطعن فى الإسلام والقرآن والرسول.

ويمتد هذا الاختراق الغربى للتعليم فى البلاد العربية ، ويركز على ما يسمى التطوير بحذف أصول أساسية تحت اسم حذف الحشو والتكرار وإدخال مواد أخرى ليس لها طابع عربى أو إسلامى أو شرقى منقولة من كتب التعليم الأساسى الغربية .

أما الفن وأدوات الترفيه ففيها مجال واسع وخطير للاحتواء ، وتؤكد دراسات علمية قدمت فى المعاهد والجامعات على أن البرامج التليفزيونية تساعد على الانحدار الخلقى للشباب ، وأن المعلومات الأدبية والإنسانية قد احتلت المرتبة الأولى من برامج التليفزيون ، وهو ما يعنى تقليص الدور التربوى العقلى لها ، كما ارتفعت نسبة برامج الحب العاطفى على بقية القيم عموماً ، وتخلفت القيم الدينية المثلى فى البرامج ؛ مما يساعد على الانحدار الخلقى لدى الشباب ، فضلاً عن عدم إبراز الأساليب السلوكية التى لاتتفق مع الإسلام (أشار إلى هذا دكتور عرفه محمد فى أطروحته)

هذا فضلاً عن انتشار ظاهرة الرقص بين الأطفال والفتيات بالذات ، بحيث اختلطت بكل برامج القراءة والتعليم والرحلات فى محاولة لتدمير القيم الأخلاقية الأساسية للفتاة ، فضلاً عن عمليات الاختلاط المهنية .

وتركز أدوات الترفية والإعلام على الصورة المنحرفة للفن ؛ تقول دكتورة انشراح الشال : إنه لاخروج للعالم الإسلامى من أزماته إلا بتطبيق الشريعة ، وإن المسلسلات والأفلام المطروحة على الساحة من شأنها أن تدعم القيم السلبية فى المجتمع .

ولقد كان من الضرورى تقديم القيم الأخلاقية الإسلامية فى بلادنا عبر أجهزة الإعلام بأسلوب غير مباشر ، ولكنا نلاحظ العكس فالمسلسلات والأفلام تدعم قيمًا شديدة السلبية ، بل وتجعل المشاهد يتعاطف معها .

فنجد دائماً على شاشة التليفزيون تصوير الشخصية المنحرفة أيًا كان عملها على أنه إنسان ورع تحيطه آيات قرآنية ويؤدى الفروض ، مثال ذلك ما حدث فى فيلم (العار)، ومن هنا فإن الغزو الثقافى من أخطر القضايا فى أجهزة الإعلام .

❁❁❁

ولابد من التركيز على ظاهرة التعليم باللغات الأجنبية ، وما يمكن أن تؤدى إليه من التبعية والردة الوطنية والأخلاقية .

ولابد من أن نعى أن الدول المتحضرة تمنع التعليم باللغات الأجنبية فى المرحلة الأولية .

إن التكالب على التعليم الأجنبى ومدارس اللغات هو علامة من علامات الإحساس بالنقص ، خاصة وأن هذه المؤسسات التعليمية الأجنبية لا تخضع للسلطات المحلية إلا بصورة شكلية ، وتضع مناهجها وطرقها التعليمية الخاصة دون مشورة من أحد .

وهذا النوع من المؤسسات هو بدعة استعمارية ؛ لأن لكل دولة حضارتها وثقافتها ولغتها ومؤسساتها التعليمية الخاصة .

وقد بدا النظام التعليمى الحديث مع إهمال المعاهد الدينية ، فنشأ هذا الازدواج الخطير بين نمطين من الثقافة (ثقافة إسلامية وثقافة غربية) وكان لهذا أسوأ الأثر ؛ حيث قضى على وحدة الفكر بين أبناء المجتمع وخلق أخدوداً ثقافيًا رهيباً . كما أن الموجة الأساسية للتعليم الأجنبى قد ارتبطت بالبعثات التبشيرية .

***

ويتصل بهذا تلك المؤامرة على تناسل المسلمين والحد منه فى الوقت الذى تتناسل فيه العناصر الأخرى ، سواء بالهجرة أو الولادة ، والمؤامرة مرسومة بعناية من خلال تأخير زواج المسلمين مع إطالة فترة التعليم وعدم تمكينهم من الزواج المبكر ، وقلة الموارد ، وصعوبة الحصول على المساكن ، وارتفاع المهور ؛ مما يجعل مجموعة كبرى من الشباب فى سن الزواج غير قادرين على إنفاذه ، ومن ثم يلجئون إلى الوسائل الأخرى الشاذة ، وتنتشر الفاحشة ، ويضطرب كيان العائلات من أبناء وفتيات فى سن الزواج ومن عوامل إغراء محيطة ، سواء فى أجهزة التسلية والترفيه أم الاختلاط فى المدارس والجامعات ؛ مما يدفع إلى وجود إغراءات على اللقاء المحرم وما يتبعه من أحداث تفقد فيها فتيات كثيرة عفافها وبكارتها مما يجعل الكثير منهن يلجأن إلى هذه الأقراص والعقاقير التى فتحت الباب واسعاً أمام جريمة الزنا دون خوف من نتائجها، مع استعمال حبوب منع الحمل وشراء أنبوبة الدم الأحمر التى تستعمل بديلاً للبكارة .

وذلك بالإضافة إلى عمليات الإجهاض ، وما يؤدى ذلك إلى أمراض سرطان الثدى، واختلال التوازن الهرمونى بجسم المرأة وحدوث الالتهابات بالجهاز التناسلى للأنثى، فضلاً عن الاتجاه الآخر المشين للرجال فى التكافل بالرجال ؛ مما هو محرم شرعاً .

هذه الصورة من البلاء يرسمها النفوذ الغربى؛ ليقلل من نسل المسلمين ويؤخر عمليات الزواج ويحول دون إيجاد الموارد والأوضاع الصالحة للزواج المبكر .

ومن العجب أن يؤيد الغرب فكرة تحديد النسل فى بلادنا ويرفضه فى بلاده ، فيعلن بابا الفاتيكان رفضه تماماً لفكرة تحديد النسل أو تنظيمه ، بل تدفع بعض المؤسسات جوائز سخية للذين ينسلون بنسب عالية ، ولكن المؤامرات كلها تجرى حول المسلمين وحدهم للحيلولة دون التناسل أو التكاثر ، عن طريق المؤامرة ، وعن طريق تقديم وسائل منع الحمل مجاناً ، وعن طريق تجنيد الكُتّابْ والخطباء والباحثين للدعوة إلى استغلال بعض الأحاديث التى لم تصح عن رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم .

ومن الظواهر المقززة ظاهرة عرض الأبناء غير الشرعيين فى المسلسلات الأجنبية للإيحاء بتقبل هذا الوباء .

إن انتشار ظاهرة الأبناء غير الشرعيين فى المسلسلات والأفلام الأجنبية هو محاكاة لأنماط سلوكية واجتماعية لا غرابة فيها بالنسبة للمجتمعات التى انتجت هذه المسلسلات .

وهى فى نفس الوقت لا تتلائم مع طبيعة مجتمعاتنا العربية والإسلامية .

هذا فضلاً عما تحمله هذه المسلسلات من إثارة وتحريض على الإباحة والجنس المكشوف فى محاولة للإيحاء بأن اختلاط الأنساب شيء طبيعى ، وهو ليس كذلك ، وأخطرها مسلسل(فالكون كريست).

✿✿✿

(١٧)

تشويه التصور الإسلامى الأصيل

كتب المستشرق مونتجمرى وات : أن الإسـلام قوة فى انتظار كلمـة وأن الإسلام فى حاجة إلى زعيم متسلح بتعاليم الإسلام الخالصة ، فإذا ما قدر له أن يظهر فسيصبح الإسلام إحدى القوى الكبرى فى العالم .

وهو يؤكد مـا ذهب إليه مستشرق آخر هـو هاملتون جب باحتمال ظهور الإسلام وإعـادة بنائه كقوة عالمية ، يقـول : إن الإسلام سمح الخطا واثق مـن صدق رسالة ربه، فهو يدعو إليهـا ويصمد ويصبـر فى مجـال الدعوة ، فـإذا تحقـق لـه النصر ، كـان مثال السـماحة والعدل فى التطبيق وفـى التعامل مع العنـاصر المشتركة معـه ومع أهل الغرب أنفسهم .

وللإسـلام فى هذا المجـال تجارب كثيرة لعل أبرزها موقف صـلاح الدين بعد إعادة القدس ، وكيف كان سمحاً مع المقيمين والمغادرين على السواء ، وقد طلب إليه المعاملة بـالمثل مـع الصليبيين الذين قتلـوا ٧٠ ألفـاً عند دخـول بيت المقـدس ، فقـال: إن دينى يمنعنى من ذلك ، والمسلمون أهل إيمـان وتقوى ومرونة فى الحفاظ على وجودهم وفى بقاء خطوط الاتصال مفتوحة مع كل الأمم .

والإسـلام لا يؤمـن بالرد علـى المعاملـة بـالمثل ، بل يتجـاوز ذلك كلـه إلى صفحـة جديدة ، ويدع الحساب فيما مضى لله تبارك وتعالى .

ولقـد عمدت القـوى الأجنبيـة علـى تأخـير وصول المســلمين إلى امتلاك إرادتهم، وخلقت عشـرات المؤامـرات لبلوغ ذلك ، ولكـن الإســلام لســماحته ولإيمانـه بعدم العدوان ظل صـابراً محتسبـاً ؛ حتى تـأكد تمكين الله تبـارك وتعالى لـه فى الأرض على النحو الذى نراه اليـوم ، ولقد حـاولت الدول الغربيـة أن تغرس المسـلمين فى مسـتنقع العلمانية على النحـو الذى حدث فى تركيـا ، بعد أن ألغيت الخلافـة ، وتدهور النظام الإسـلامى واستسلمت بالكـامل للاتكية والعلمانيـة ولكن الدول الإسـلامية التى رأت الصورة تحامت السـقوط فى نفس المـأزق الذى وقعـت فيه تركيا ، وحرصت على أن

لا تقبل بالعلمانيــة كمنهج حيـاة ، وكذلك أحســـت تركيـا بأنهـا اقتحمت الخطر ، فعادت مرة أخرى إلى الاعتدال .

وقـد نجحت الأمـة الإسـلامية فى أن تحقـق وجودها فـى عدة مواقف ، ولكن قوى التغريب والسيطرة استطاعت أن تزحزحهـا عن موقفها ، فسـرقت ثورة الجزائر عشية نجاحها ، وتحولت قوى فتح وغيرها عـن منهج الإسلام ، وعجز العاشر من رمضان أن يدفع المســلمين إلى الطريق ، ولما تـأكدت نصرة الجزائر الذى قدمـت مليون شـهيد ، كتب المستشرق ماسنيون إلى ديجول رئيس فرنسا تقريراً يقول فيه : إن المسلم يملأ وقته بقراءة القرآن ، بينمـا الجنـدى الفرنسـى يشـرب الخمر ، وإنـه إذا اسـتمرت الحرب، ستنطلق بالقرآن انطلاقاً يصعب معه رد توثبات الإسلام فأوقفوا القتال لصالح فرنسا .

❁❁❁

ومـن هنـا كـان هـدف النفوذ الأجنبى من مخططـات : التبشـــير ، الاستشـــراق ، التغريب، الغزو الفكرى ، الحداثة ، التفكيك ، الشعوبية .

كل هذه الدعـوات كانت تهدف إلى هدم القيم الثوابت تحت اسم العصرية والتقدم عن طريق :

١ ـ إضعاف صلة الناس بالإسلام أو أملهم فيه .

٢ ـ التشكيك فى قيمة الانتماء إلى الأصالة والمنهج الربانى .

٣ ـ إذكاء النعرات العرقية والعصبيات القبلية .

ومن ثـم ،كان ضـرب الانتماء الإســلامى والهويـة الحضاريـة القائمـة على التوحيد واتهامها بالانغلاق والتحجر أو بالعنف والإرهاب .

وفى كل هذه الخطوات كـان يجرى فصل الديـن عن السياسـة وفصل الاقتصاد عن الدين وفصل الدين عن الثقافة ومحاولة إضعاف علاقة المجتمع بالدين .

❁❁❁

وكـان القضاء علـى الوحدة الإسـلامية الجامعــة هو الهدف الأكـبر ، وكـان إذكاء العصبيـات الدينيــة والعرقيـة عـن طريق اختراق الأقليـات هو العمـل الذى لايتوقف ؛ فجرى تأييد كل العنـاصر المتمردة على الوجود العربى الإسـلامى ، سـواء فى لبنان أو

الجزائر أو السودان ، كما جرى إثارة الخلافات بين عناصر الأمة عن طريق الأنشطة التبشيرية .

❁❁❁

وكانت الخشية من اليقظة الإسلامية والعمل على إحباطها أو تجميدها أو تأخيرها هو الهدف من إنشاء وطن قومى لليهود فى قلب الأمة الإسلامية ، فقد قالت اللجنة الملكية للتقسيم :

(إنه يُخْشَى من بعث إسلامى ؛ حيث يطمح العرب إلى إحياء عصر ذهبى ، إن حضارة العرب قادمة ولا يستطيع السلاطين والأباطرة دفع مجيئها) .

ولكن هل الغرب اليقظ اللماح يعجز عن فهم مسيرة التاريخ وسنن المجتمعات والحضارات وأن أصحاب الحق لابد أن يصلوا إليه مهما حاولت المؤثرات تأخيرهم .

ذلك ما قالوه فى لجنة ١٩٠٧ التى أقرت أن هذا الكيان العربى الإسلامى الموجود فى آسيا وأفريقيا حول البحر المتوسط هو أصلح العناصر لحمل لواء المدنية القادمة .

إن وقوع الأمة الإسلامية فى محاذير التغريب إنما جاء بسبب ضعفها وعجزها عن مقاومة النفوذ العسكرى الذى فرضته الدول الكبرى حين حجبت النظام الإسلامى وفرضت القانون الوضعى وغيرت بنية المجتمع الإسلامى تعبيراً كاملاً لأول مرة واستمر ذلك لمدة قرن ونصف أو يزيد .

ولكن هل معنى هذا أنه قد استسلم العرب والمسلمون لمنهج مخالف لمنهجهم الذى التمسوه أربعة عشر قرناً والذى تشكلوا عليه عقلياً وروحياً ، كان يجب أن يعرف الغرب أن هذا الاستسلام الذى فرضته أسنة الرماح ليس مقبولاً .

ولذلك فهم يصيحون حين يرون المسلمين يعودون إلى منابعهم ويلتمسون منهجهم - فى أخطر ثلاث مواقع .

الاقتصاد الربوى - القانون الوضعى - قضية المرأة ، قد مر دور الانبهار بالغرب وسرعان ما تقلص وطويت صفحته ؛ لأن تقليد المسلمين للغرب لم يكن فى الإيجابيات بل فى السلبيات ؛ حيث اهتزت القيم الثوابت .

فلمـا تعددت الضربات (هزيمة ونكبة ونكسـة) فى سنوات متواليات تنبه المسلمون إلى الخطـر ، وإلى فســاد توجيــه قـاده الفكر التغريبيـين للمســلمين ، وبدا الاتجـاه إلى استعادة الهوية الإسلامية هو السائد .

فلماذا يشكل هذا قلقاً للغرب ، أناس يريدون أن يعودوا إلى أصالتهم ومنابعهم وقد عـاش آبائهم حيـاتهم كلها يدافعون عـن ذاتهم أن تُحتَوى ، وعن وجودهم أن ينصهر فى الأممية .

و لم يكن ذلـك غريبـاً على المســلمين ؛ فـإن الإســلام نفسـه فـى جوهره وأصالتـه وربانيته قادر على أن يستعيد أهله إذا انحرفت بهم الطريق أو خرجوا عن الجادة .

ولقد تأكد للمسلمين أن بنـاء الأيدلوجيات الغربية ليس قائماً على أساس صحيح ، ففى خلال أكـثر من مائة عـام رفض الجسـد الإسـلامى العضو الغريب ، وعجز النظام الغربى أن يحقق للمجتمـع الإسـلامى الأمن والسـكينة ، ووجد المسـلمون أنفسـهم فى أزمـة خطيرة بعـد أن انهارت فى مجتمعهـم الضوابط الأخلاقيـة والاجتماعية ، ودمرت أجيـال بعد أجيال نتيجة فسـاد القانون الوضعى وحجب الشـريعة الإسلامية بضوابطها وقيمها .

وجـاء سقوط الشـيوعية مؤذنـاً بانهيار كل القيم الغربيـة التى حاول النفوذ الأجنبى فرضها على المسلمين .

ومن هنا فإن عـودة المسلمين إلى منهجهم الأصيل اليوم أصبح ضرورة ملحة ؛حيث لا يوجد لهم ملجأ سواه ، وأن التماس المسلمين لمنهج الغرب أصبح مستحيلاً ....

فقد كشـفت التجربة سواء الغربيـة أو الماركسية فىعديد مـن بلاد الإسلام عجزها وفشلها ، ومـا تزال الأقطار التى التمست الماركسـية تعانى من القحط والظلام والوباء المدلهم .

۞۞۞

إن العمل الذى يجرى الإعداد لـه بكل قوة وتجنيد قوى كبيرة لـه هو تقديم الإسلام مقصـوص الجنـاح يختفى جناحــه المتصل بـالمجتمع مـن قيود الحـدود والضوابط والقيم الأساسية ، وبخاصة القيم الثوابت تحت اعتذارات كثيرة .

والهدف هو تشويه التصور الإسلامى جملة ، وإثارة الشكوك حوله حتى يعلو ويبرز التصور الغربى الوثنى المادى الإباحى المضطرب ، جماع الفلسفات اليونانية والغنوصية والباطنية التى حاولت خلال كل عصر أن تدمر مقومات الدين الحق المنزل وتفرض نفسها ، والتى تشكلت فى فلسفة سيطرت فى العصور الماضية على اليهودية والمسيحية ، وهى الآن تقيم حصارًا حول الإسلام ؛ لاحتوائه ، وتحطيم أجنحته التى يطير بها (التوحيد والأخلاق والطابع المميز) .

ذلك لأن الغرب يخاف من الإسلام الصحيح بمفهومه (منهج حياة ونظام مجتمع) : هذا المنهج الذى يزحف الآن ليسيطر على بلاد المسلمين ، والهدف هو كسر هذا المنهج وتقويضه ؛ وذلك بإعداد الكوادر والدعاة من بين الأسماء المشتغلة بالفكر الإسلامى؛ وذلك حتى تسلمها أمر التوجيه والقيادة ، وحتى تحول دون وصول أصحاب التصور الإسلامى الأصيل إلى القيادة .

***

إن الهدف هو العمل على تثبيت وضع غير شرعى جرى إقامته خلال أكثر من مائة عام بكل وسائل التضليل والإغراء والمفاهيم الزائفة التى جرى غرسها وتحويلها إلى مسلمات ، غير أن هذه المفاهيم لما كانت تخالف الفطرة وتختلف مع الفطرة ومع مفاهيم الإسلام والدين الحق فقد كان لابد أن تتهاوى وتسقط عندما تواجه أضواء الفجر .

***

(١٨)

الخروج من النفق المظلم

يتحدث الكثيرون عما يسمونه (ردم الهوة بين المسلمين والحضارة الغربية) فهل نحن حقيقة نلهث فى سبيل الوصول إلى ما وصل إليه الغرب من نتائج العلوم ومقتبسات الحضارة ؟.

الحقيقة أن لنا مفهوماً مختلفاً تجاه الحضارة والعلوم والثروة البشرية يختلف تماماً عن مفهوم الغرب .

فنحن بمفهومنا الإسلامى لا نقر هذا الاندفاع الخطير نحو تدمير معطيات الثروة واستهلاكها، وصرف وجهتها نحو الترف والمتعة ، والثراء الذى يتحقق نتيجة استعلاء طائفة من الناس عن طريق أسلوب من التعامل ليس قائماً على أصل حقيقى .

فالمسلم مطالب بأن تكون موارده ومصادره من الحلال الطيب، ولايندفع اندفاع المنهوم للسيطرة والامتلاك دون تقدير لتوازنات المجتمع، أو لحقوق الغير أو لحق الله تبارك وتعالى عليه فى ماله من زكاة وصدقة .

والإسلام لا يقر هذا الأسلوب فى التعامل ، سواء من ناحية الحصول على الثروة أو إنفاقها ؛ ذلك أن للإسلام منهجاً مختلفاً عن منهج الرأسمالية ومنهج الاشتراكية فى تدبير الثروة، والسعى لكسب الرزق وإنفاقه، فهو يضمن أساساً لذوى الدخل المحدود مصادر حياتهم من خلال حقهم فى الزكاة ، كما يقدر أساساً مخافة الله تبارك وتعالى من الإسراف فى الاستهلاك، والتبذير فى تدمير الثروات التى أودعها الله تبارك وتعالى باطن الأرض وظاهرها؛ من أجل رعاية الأجيال المختلفة ، ونحن مطالبون بالحفاظ عليها وتوزيعها على أساس عادل،وأن تكون للناس جميعاً لا لفئة خاصة، وأن نتق الله تبارك وتعالى فى هذه الثروات ولا نبددها ولا ندمرها . ونحن مطالبون بأن تكون مواردنا من حلال، وعلينا بعد ذلك أن نخرج منها حق الفقراء والضعفاء، وهى الزكاة المقررة - والصدقات أيضاً - على النحو الذى يحقق استيفاء حاجة المجتمع كله وتوصيله إلى حد الكفاية لا حد الكفاف .

ولا علينا بعد تحقيق هذا الهدف ألاّ نصل إلى ما وصل إليه الغرب من تنامى فى الثروة أو معطيات التكنولوجيا ، فالمطلوب أساساً هو :

١ ـ أن يكون التقدم العلمى لمصلحة البشرية جميعاً وليس لطائفة خاصة .

٢ ـ أن توجه ثروات العالم للأمن والأمان، ورفع مستواه الاجتماعى والاقتصادى؛ وليس لبناء قواعد مسلحة للتدمير .

٣ ـ أن لا تحرق ثروات الأمم حرصاً على ألا تهبط أسعارها؛ بينما يوجد هناك ملايين لا تجد قوت يومها .

٤ ـ أن لا توزع الثروة على أصحاب الولاء للدول الكبرى فقط ويترك الآخرون .

هذا مع تأكيد حقيقة أساسية هى كذب دعوى الانفجار السكانى التى يراد بها حصار الأمم دون حقها من الثروة العالمية، التى يقتصر على الأمم الغنية فقط دون الأمم الصغيرة .

أما الأساس الأصيل فهو قيام التعامل فى مجال المال والاقتصاد والثروة فى الإسلام على أسس أخلاقية ودينية، ويختلف بذلك اختلافاً واسعاً وعميقاً عن مفهوم الغرب .

إن مقولة : إننا نلهث فى سبيل الوصول إلى ما وصل إليه الغرب من تقدم مادى، وإن علينا أن نتبع أساليبه فى ذلك ؛ حتى نصل ـ هى مقولة مضللة ؛ فما كانت وجهتنا فى الحضارة الحصول على تقدم مادى يضحى فى سبيل الوصول إليه بقيم الأمانة والعدل والأخلاقيات ، نحن لا نريد تقدماً بمفهوم الغرب : هذا المفهوم المادى البحت ؛ فنحن نؤمن بالتقدم على أسس التكامل بين المادى والمعنوى ، ولا نضحى بالجانب المعنوى فى سبيل الحصول على الجانب المادى .

إن لنا ـ كمسلمين ـ مفهوماً مختلفاً بالنسبة للمال والثروة والاقتصاد ، ونحن نؤمن بأنها ملكاً لبنى الإنسان جميعاً ، وأن الإيمان يتطلب منا المحافظة عليها وعدم تبديدها فى مجال الترف والزخرف والاستهلاك المدمر وألاّ نجعلها لفئه خاصة .

إن الغرب عندما أخذ الحضارة الإسلامية والعلوم الإسلامية كان حريصاً ألاّ يقبل منهج الإسلام فى التعامل مع الحضارة ، ومن هنا فقد نقل العلوم وأخذ يحركها فى دائرة فكره اليونانى الرومانى المسيحى المختلط بالوثنية والمادية والإباحية والبعيد عن

الارتباط بالربانية والألوهية فى تنكر خطير لهذا الجانب الذى يربط الحضارة والعلوم بالمسئولية الفردية والالتزام الأخلاقى وبحقوق الأمانة التى حملها الإنسان ، وما يتصل بها من إيمان بالغيب والنبوة والجزاء الأخروى .

ومن هنا ، فقد اضطرب مجرى الحضارة التى شكلت على أساس المنهج التجريبى الإسلامى مع بقائه فى أحضان الوثنية .

ولقد اتضح أن الغرب حين أخذ منهج الحضارة من المسلمين قد رفض معالم إسلامية أساساً :

أولاً : رفض علاقة الدين بالدولة وأقام العلمانية بديلاً عنها ، وفصل الدين عن الدولة وحرر العلوم من روح الإيمان بالله تبارك وتعالى .

ثانياً : أحدث الانشطار التاريخى الخطير : بين الفرد والجماعة ، فكانت الليبرالية انحيازًا للفرد وأعطته الحرية المطلقة والاستعلاء الخطير فى مجال السياسة والاقتصاد .

ثم جاءت "الشيوعية" انحيازاً للمجتمع مضاداً .

بينما قدم الإسلام منهجاً جامعاً متكاملاً بين الفرد والجماعة .

ثالثاً : رفض الغرب ربط الوسائل بالغايات فى إطار الأخلاق ؛ فنشأت الدعوة إلى الميكافيلية ، والتحرر من قيود القيم فى سبيل تحقيق المطامع والأهواء والشهوات .

وجاءت "البرجماتية" بعد ذلك علمًا على هذا الاتجاه .

رابعاً : رفض الغرب تنظيم المجتمع على منهج الله تبارك وتعالى ، فقد جعلوا الإنسان سيد الكون وحرروه من كل مسئولية فردية أو التزام أخلاقى ؛ حتى ليجوز إحلال الحرام وتحريم الحلال ، والواقع أن الإنسان ليس سيد الكون ، ولكن الله تبارك وتعالى ذلل له الكون ؛ لإقامة المجتمع الربانى بالسعى والعمران فى نطاق ضوابط الحلال وحدود الحرام .

خامساً: رفضوا منهج الشريعة واشتغلوا بقوانين وضعية ، ورفضوا أن يكون الحاكم منفذاً للشريعة وحارساً للدين وأقاموا سلطان الكهانة .



بل إن الغرب وصل إلى أبعد من ذلك بالنسبة للمنهج الإسلامى ، فقد أنكر مصدر كل ما أخذه من قيمنا وشريعتنا ، وادعى أنه من نتاجه فى محاولة خطيرة لحجب عطاء الإسلام .

لقد كان القانون الرومانى الذى يتباهى به الغرب هو من فكر الإمام مالك بعد أن عجز القانون القديم عن العطاء ، وقد اعترف كبير قانونيهم (سانتلانا) بهذا عندما أعلن أن الشريعة الإسلامية ذات الحدود المرسومة والمبادئ الثابتة لا يمكن إرجاؤها ونسبتها إلى شريعتنا وقوانينا نحن الغرب ؛ لأنها شريعة دينية تغاير أفكارنا أصلاً .

وكان الاغريق والرومان قد فرضوا الهلينية على الشرق بعد غزو الإسكندر الأكبر ، وفرض الغرب الاستعمارى التغريب على الأمم التى ابتليت باستعماره فى العصر الحديث .

❁❁❁

لقد كانت علاقة البابوية بالمسلمين فى الأندلس هى مصدر نهضة الغرب الحديثة ، يقول دكتور عمر فروخ :

أرسلت البابوية رهباناً من الكاثوليك لنقل الكتب العربية إلى اللغة اللاتينية بهدف فهم واقع الحضارة الإسلامية كمدخل إلى اتخاذ الطرائق المثلى لتقويضها .

(وهو ما فعلته الحملة الفرنسية حين استعلى فكر اليقظة على أيدى الزبيدى والشوكانى وابن عبد الوهاب والبغدادى والجبرتى الكبير (اقرأ كتابنا : قراءة إسلامية لتاريخنا الحديث) .

ولكن هنا حدثت المعجزة ، فمن خلال الثقافة الإسلامية أصبح هؤلاء الرهبان جنوداً مدافعين عن الثقافة الإسلامية بل إن الكثير من هؤلاء الرهبان المترجمون قد أسلم فعلاً بفضل الحضارة الإسلامية الكامنة فى الكتب العربية . وإلى ذلك فإن أكبر ضربة تعرضت لها الكنسية الكاثوليكية فى تاريخها والتى جاءت على يد (ثورة مارتن لوثر) البروتستانتية كانت غير بعيدة من استحياء الحضارة الإسلامية نفسها ، فقد أبطل سلطة رجال الدين والرموز الوثنية .

وقد نتج عن هذه الحركة المتأثرة بالإسلام ـ الاستغناء عن مقام البابوية والقول بأن

أعمـال الإنسان هى التـى تنفعه يوم القيامـة وإلغاء الرهبنة والسـماح بالزواج للرهبان ، فما من شك فى أن مارتن لوثر أخذ أشياء كثيرة من الإسلام :

١ ـ الاستغناء عن مقام البابوية .

٢ ـ القول بأن أعمال الإنسان هى التى تنجيه يوم القيامة وليس مجرد إيمانه بالمسيح.

٣ ـ إلغاء الرهبنة والسماح لرجال الدين بالزواج .

٤ ـ إبطـال الرموز الوثنيـة بعدمـا كـانت النصرانيـة الكاثوليكيـة ترى أن الصور والتماثيل الدينية شيء من الحضور الإلهى .

٥ ـ إبطـال سـلطة رجال الديـن فى غفران الذنوب؛ فـإن الله وحده هو الذى يغفر ويعاقب .

❁❁❁

وكان أخطر مـا قـام بـه الفكر الغربى المسـتحدث أن انصهر فـى مفاهيم مسـمومة ورثهـا من اليونـان الرومان ، وكـانت فكرة ميكـافيلى أخطر هـذه الاتجاهات ، وذلك حـين أعلن أن كافة الوسـائل مـبررة لبلوغ الغايـة ، حتى الوسـائل غير الأخلاقيـة وغير الإنسانية .

وقد ظلت نظريـة ميكـافيلى ركنًـا من أركـان السياسـة الغربيـة عـبر العصور ، ثم جاءت الاشتراكية فوسعت نطاق هذا المفهوم إلى أبعد مدى .

وقد ولدت جذور الفكـر الغربى المسيحى الليبرالى والماركسى الشيوعى والصهيونى اليهودى فى أحضان جذوره اليونانية الرومانية واليهودية والمسيحية .

وجـاءت (العلمانيـة) علامـة علـى الحرب على الديـن فى الغـرب ، وهو اصطلاح أوربى يعتمد علـى مصدر واحد للمعرفـة هو العقل ويرفض المصـادر الأخرى كالوحى والإيمان بـالغيب ، فالعلمانية تقف فى الطريق المعاكس لكـل دين من الأديان وللإسلام بالذات .

ولقد كانت فكرة الفصل بـين الدين والدولة من إخراج العقليـة الغربية فى صراعها مع المسيحية الغربية (غـير المنزلة) ومع الكنسـية ، وهى قضية منفصلـة تماماً عن مفهوم الإسـلام الذى لم يكن دينًـا لاهوتيًّا (أى بمعنـى العبادة وحدهـا) بل كـان جامعاً بين

علاقة الإنسان مع الله تبارك وتعالى من ناحية وبين المجتمع من ناحية أخرى

❁❁❁

ولقد أخذ مفكرو الغرب فى العقود الأخيرة يواجهون قيم هذ الفكر ويكتشفون تعارضها مع العلم والفطرة ، وكيف أنه عجز بعد أربعة قرون عن العطاء الحقيقى ، فى الوقت الذى كشف الإسلام عن جوهره فى عشرات المواقف والقضايا .

وقد آمن بالإسلام من العلماء والمفكرين الغربيين من أعلن ومن لم يعلن ، ولكن يبدو أن الطريق ما زال طويلاً .

يقول ليوبولد فابس : نحن نسمع فى المجالس الإسلامية أحياناً تأكيداً مفاده أن عداوة أوربا للإسلام ـ تلك العداوة التى نشأت من المنازعات العنيفة فى الماضى قد أخذت تزول شيئاً فشيئاً فى أيامنا ، حتى أنهم ليزعمون أن أوربا تبدى دلائل الميل إلى الإسلام ، وكثير من المسلمين يعتقدون أن هذا الانقلاب الاجتماعى فى أوربا قد أصبح قريبا ، وهذا الاعتقاد لا يبدو غير معقول لنا نحن الذين نعتقد أن الإسلام وحده من بين جميع النظم الدينية يستطيع أن يثبت ويفوز فى وجه الانتقاد الذى لاتحزب فيه، وقد أخبر الرسول فوق ذلك أن الإسلام سيقبل نهائيًّا على أنه الدين العام للإنسانية جميعاً ، ولكن ليس ثمة ـ من جهة ثانية ـ قرينة ما تدل على أن هذا يمكن أن يتحقق فى المستقبل القريب ، أما فيما يتعلق بالمدنية الغربية فإن هذا ممكن أن يتحقق بعد سلسلة من الانقلابات الاجتماعية والعقلية تزعزع الغرور الثقافى المعاصر فى أوربا مما يسهم فى تبدل العقلية الأوربية فى كل شيء حتى تسطيع أن تكون مستعدة لأن تقبل تعليلاً للحياة دينياً .

ويقول : إننا نتطلع إلى مرحلة أقرب من ذلك يتاح فيها للمسلمين امتلاك إرادتهم إلى إقامة مجتمعهم فى ظل مفاهيم السماحة التى يحملها الإسلام للحضارات والأديان جميعاً ، بحيث تجتمع كلها على خدمة البشرية بعد أن يصحح الإسلام مسيرة الحياة فى أمته ، فيرى الغير مدى صلاحيتها للتطبيق فى بلاده .

✿✿✿

(١٩)

العودة إلى الأصالة بعد هزيمة المناهج الوافدة

أصبح من الحقائق المؤكدة الواقعة الآن إحساس عدد كبير من المثقفين بأهمية المنهج الإسلامى فى التعامل الاجتماعى والاقتصادى كأفضل طريق إلى النهضة ، وأصبح المنضوون تحت لواء الصحوة أعلى صوتاً وأكثر نشاطاً من أى وقت مضى فى القرنين السابقين.

وعلى العناصر الحاضرة ألاّ تستعجل النتائج أو تقلق فى طلب التغيير وألا تلجأ فى سبيل تحقيقه إلى المواجهة العنيفة ، وأن تؤمن بسنن الله تبارك وتعالى فى أمر التغيير وأن تعتمد على الإيجابيات والصبر والمرونة .

ولاريب أن هزيمة ١٩٦٧ وما بعدها قد أقنعت الشباب المسلم بأن الطريق الصحيح يتمثل فى العودة إلى المنابع والتماس منهج الله تبارك وتعالى بعد أن سقطت المناهج الوافدة وانهارت وعجزت عن العطاء .

لقد جربت أمتنا مذاهب الليبرالية والاشتراكية فى مواقع كثيرة ، وتبين لها بعد قليل أنها لم تستطع أن تحقق شيئاً مما يتطلع إليه الإنسان من أشواق النفس أو معطيات المادة.

وقد تبين بما لا يدع مجالاً للشك أن الذين نصحوا بالانصهار فى الماركسية أو الليبرالية كانوا خادعين وغاشين لأمتهم، وأن الداعين إلى البديل الإسلامى هم قوم مؤمنون بالله ، ليسوا أهل مطامع أو أهواء، وأنهم قوة اجتماعية أصيلة من رحم هذه الأمة ، كما وصفها الباحثون المنصفون ، وإنهم لايطلبون شيئاً جديداً أو غريباً ، وإنما يعملون على استعادة الحق الضائع واسترداد الطابع المفقود .

لقد جاء النفوذ الأجنبى إلى بلادنا طامعاً فى مواردنا وثرواتنا ، ومن أجل استبقاء وجوده واستدامة سلطانه عمد إلى حجب منهج هذه الأمة واستبدله بنظام غريب، وأعلن أن ذلك المنهج متخلف لا يتفق مع التقدم ، وكان الهدف هو عزل (القرآن الكريم) عن حياة المجتمع الإسلامى ، وعن حركة المجتمع الفاعلة ؛حتى لايكون له تأثير

فى مجال الاقتصاد والسياسة والتعليم .

وقصر نفوذ الإسلام على العبادات على النحو الذى يفهمه الغرب بالنسبة لديانته .

وقيل : إن سبب تخلف المسلمين هو تدخل الإسلام فى الحياة اليومية ، وطرحت فلسفة أن الإسلام علاقة بين المرء وربه ، وهدف هذه العلاقة هى الحياة الآخرة .

قال لورد كرومر : إن الإسلام بطبيعته العالمية عدو الحضارة الأوربية ، وإن المسلم غير المتخلق بالأخلاق الأوربية لا يستطيع أن يحكم الآن فى بلاده ، لذلك فإن المستقبل للمتربين تربية أوربية .

وقد اتخذت كلمة كرومر هذه قاعدة للنفوذ الاستعمارى الغربى فى بلاد المسلمين، ولا تزال حتى اليوم قاعدة العمل عند أهل التبشير والاستشراق والتغريب وتلاميذهم وأتباعهم .

و لم يقدم الغرب للمسلمين والعرب منهجهم ليختاروا منه أو يدرسوه ، ولكنه فرضه فرضًا ، فماذا كانت النتيجة بعد أكثر من مائة عام ؟

كانت النتيجة أن دمر كل وجود أصيل للمجتمع العربى الإسلامى ، بعد أن حجبت الشريعة الإسلامية ، وفرض القانون الوضعى ونظام الربا والتعليم العلمانى الذى أشرفت عليه الإرساليات التبشرية ثم سلمته لوزارات المعارف فى بلاد العرب والمسلمين .

تهدمت الأسر وتفشى التحلل والانهيار بين الشباب ، واستنزف النفوذ الأجنبى ثروات المسلمين .

وكان لابد من يقظة حمل لواءها الأعلام الأبرار للعودة إلى الله تبارك وتعالى والتماس منهجه فى بناء المجتمع .

لقد سقط كلا المنهجين عند التطبيق فى بلاد المسلمين ، سقط الفكر الليبرالى القومى ،والماركسى جميعاً ، وكان لابد للمسلمين من العودة إلى منهجهم الأصيل .

❁❁❁

يقول مونتجمرى وات : إن فكرة الأمة التى جاء بها الإسلام هى الفكرة البديعة التى لم يُسبق إليها ، و لم تزل إلى هذا الزمن ينبوعاً لكل فيض من فيوض الإيمان ، تدفع

المسلمين إلى (الوحدة) فى (أمة) واحدة تختفى فيها حواجز الأجناس واللغات وعصبيات النسب والسلالة ، وقد تفرد الإسلام بخلق هذه الوحدة بين أتباعه ، إن فكرة "الأمة" هى إلتى تبث فى صدور المسلمين أنهم أمة واحدة أمام الغزوات الأجنبية.

إن عقيدة الإسلام تزود أبناءه فى كل العصور بالصورة المحركة التى ينظرون إليها ويترسمونها ، والمثال الذى يجهز السائر إلى الحركة والتقدم ويهون عليه مشقة الطريق .

وسر هذه القوة أنها منحت الفرد مقياساً للحياة أرفع وأسمى من مقياس العصبية والمتعة ، وهو قياس الضمير المستقل من أصحاب السيادة ، وأنها مع ذلك الاستقلال الفردى لم تترك الجماعة تغير وجهة تعتمد عليها فأبدعت فكرة الأمة ، وحررت هذه الفكرة من ربقة العصبية وحدود الوراثة ، فأصبح معنى (الأمة) قابلاً للتطور مع الحوادث والظروف .

ولكن لم يتوقف النفوذ الأجنبى عن ضرب هذه الوحدة ، وإيقاع الخلاف بين العناصر الإسلامية حتى لا تلتقى فى وحدة جامعة ؛ حتى ليخيل للباحث أن المستشرق صور الوحدة بهذه الصورة ليستصرخ أعوانه على وضع العراقيل أمامها .

ولقد عرف الغرب أنه لايستطيع السيطرة على المسلمين إلا بتمزيق الوحدة ، وإقامة التجزئة ، ومساندة الكيانات الضعيفة ، وتحطيم المعنويات الأخلاقية ، وكانت إسرائيل هى قمة تمزيق الوطن الإسلامى بوضع حاجز بشرى غريب ومعادى للعرب والمسلمين فى نقطة الخطر الخطير : وهى بيت المقدس ، وعلى أبواب المسجد الحرام .

ولقد كان نقل النموذج الحضارى الأوربى (بشقيه) إلى ديار المسلمين مصدرًا لمزيد من التجزئة والتبعية ومباعداً عن الالتئام ؛ حتى أن النخبة العربية التى كانت تكافح للتحرر من الاستعمار الغربى السياسى والعسكرى كانت فى نفس الوقت تسعى لإدخال القيم الغربية محل القيم الإسلامية فى الاجتماع والأخلاق والتربية ، وفقًا لمشورة كرومر وزملائه (حسبما أورده جورج طنوس) .

ومن الواضح أن المسلمين إذا أخذوا مفاهيم الغرب فى أمور كثيرة لاختفى جانب كبير من أساسيات فكرهم ، مثل اختفاء مفهوم الوحى والغيب إذا أخذنا بالعلمانية ، أو اختفاء فريضة الجهاد إذا أخذنا بحساب التفوق العسكرى والحربى للغرب ، وقد بلغ

من كراهيتهم للإسلام أن أطلقوا على المجتمع الإسلامى المتدين قبل الغزو الاستعمارى اسم المجتمع التقليدى أو مجتمع الجمود السلفى ، وذلك فى سبيل الدفاع عن فكرة على عبد الرازق المسمومة وفكرة طه حسين الظالمة .

❁❁❁

ومن هنا فنحن فى حاجة إلى تأكيد الهوية الإسلامية لنفتح الطريق أمام الوحدة الجامعة ، فالإسلام هو مصدر الهوية التى تجمع كل من الوطنية والقومية فى نظامها انطلاقاً إلى التكامل الجامع ، وهو فى نفس الوقت عودة إلى المنابع والتماس للطريق الذى سلكه المسلمون منذ أربعة عشر قرناً ، فهو ليس غريباً ولا جديداً ولا خطراً ، بل الخطر هو استمرار التقلب بين الليبرالية والماركسية والقومية ، وثلاثتها قد فشلت كإطار للتقدم .

إن النكسة قد كشفت عن فشل هذه المفاهيم ودفعت المسلمين مجدداً إلى تأكيد عودتهم إلى منابعهم على أنها الطريق الوحيد ، ذلك أن الإسلام هو جنسية المسلم أينما كان سواء تكلم العربية أو لم يتكلم وأن وطن المسلم هو أية بقعة يقام فيها علم لا إله إلا الله) ؛ فالمسلمون أمة واحدة ، سواء جمعهم اللسان العربى أو لم يجمعهم ، وجنسية المسلم إسلامية أساساً وليست عربية .

أما الأهمية التى أحيطت بها اللغة العربية فكون القرآن الكريم نزل بها ، والمسلم يتعلمها لا لذاتها وإنما ليعرف الإسلام ويقرأ القرآن .

هذا المفهوم هو الذى يؤكد أن صلاح الدين والظاهر بيرس وسليمان القانونى ومحمد الفاتح وعشرات الأبطال الذين أدّوا دورهم صادقين كانوا مسلمين أساساً .

❁❁❁

وإذا المسلمون لا يقبلون الاستعلاء بالعنصر ؛ حيث قرر الإسلام (كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربى على عجمى ولا لأبيض على أسود) وهو قرار حاسم ، كذلك لا يقبلون العلمانية أو الدولة الثيوقراطية ، ولا يفصلون الدين عن الدولة ؛ ذلك أن الإسلام يجمع بين مفهوم العبادة لله تبارك وتعالى وبين العلاقة مع الناس فى المجتمع، ويرسم المنهج الكامل للحياة كلها : الحياة الفردية والحياة الجامعة ؛ إيماناً منه بقدرة منهجه على المواءمة بين الثوابت والمتغيرات ، وبين الالهى والبشرى ؛ وبين الروحى

والمادى ، وبين الدنيوى والآخروى فى تناسق كامل ، ودون أن يطغى عنصر على الآخر أو يستعلى عليه ، ولقد وقف الإسلام من قبل حين أنكر استعلاء العقلانية باسم (الاعتزال) أو الروحية باسم (التصوف) ، ودعا إلى تلاقى القيم وتكاملها دون أن يقع بينها ما يسمى بالصراع الطبقى أوالصراع بين الأجيال ، فالإسلام يقيم التوازن والتناسق بين هذه القيم جميعها فلا يطغى بعضها على بعض.

وعلى هذا ، فتخلف المسلمين ـ فى هذه المرحلة ـ لا يرجع بحال من الأحوال إلى الإسلام ؛ لأن الإسلام أقام خلال الف سنة (نموذجاً كريماً) من التقدم والانطلاق نحو النماء والقوة يؤكد أن سمته الاساسية لا تتصل بالتخلف أو الضعف ، بل إنها تؤكد أن هذا التخلف والضعف ناتج عن الانفصال عن تطبيق الإسلام والتآخى فى التمسك بمنهجه الصحيح.

❁❁❁

وفى الإسلام تكامل القيم حيث لا يتعارض الدين والعلم ، أو الروح والمادة ، وحيث لا تفرقة بين علوم الدين وعلوم الدنيا ؛ حيث يتسع العلم الإسلامى لكل الأراء العلمية .

ودارس الدين يعلم كل المستحدثات فى دنيا الإنسان ، وليس فى الدين (أى الإسلام) أى قيد على حركتنا ، ولكنه تنظيم لها ، وفى أصول الفقه أنه متى تغيرت العادات وجب تغير الأحكام الفرعية مع المحافظة على الأحكام الأساسية .

ونصوص الإسلام عامة ومرنة ، وقواعده إما أصلية ثابتة يخضع لها التطور وإما فرعية تدور معه .

وكل ما جاء به العلم موجود فى القرآن ، يعلمه من علمه ، ويجهله من جهله، ويقرر الإسلام عدة حقائق أساسية :

أولاً : أقر مفهوم الالتقاء والتكامل بين العناصر بديلاً عن مفهوم الالتباس بين العلم والدين ، أو بين القومية والعقيدة ، أو بين القانون والشريعة ، أو بين الاجتماع أو الاقتصاد مع الدين .

وقد أقر مبدأ التعاون لا الصراع ومفهوم التكامل بين أعماق القلب ومجرى الفكر .

وقد كشف العلم أن العلاقة بين الفكر والمادة علاقة متبادلة ، وبين المادة والطاقة علاقة متبادلة أيضاً .

ثانياً : أقر الإسلام مفهوم الحلقات المتصلة فى تاريخ الأمم ، من حيث إنها تصب ماضيها فى حاضرها وتمهد لمستقبلها ؛ وإن حاضرها امتداد لماضيها ، وخاصة تاريخ المسلمين فهو متصل الحلقات ؛ حيث لم يفقد عنصر الوحدة والاتصال يوماً واحداً، وكذلك الفكر الإسلامى المتصل الحلقات (أدباً وثقافة) .

ثالثاً : دعوة توحيد الأديان دعوة مجهولة الهوية ، وهى محاولة للعودة إلى اليهودية .

رابعاً : لا يقر الإسلام الوصول إلى الغايات إلا عن طريق الوسائل الشرعية والمشروعة والأخلاقية ؛ حيث إن أى عمل ينافى الأخلاق الإسلامية فإنه لا يجوز الاستعانة به .

خامساً : كلمات الغرب ومصطلحاته لا يمكن فصلها عن ملابساتها الفكرية التى تومى إليها ، ولا يمكن نقلها كما تنقل ألفاظ المخترعات والعلوم .

سادساً : لا يقر الإسلام نظرية (النسبية) التى تقول ؛ إن كل شىء نسبى ، ولا نظرية التطور المطلق فى مجال الفكر الاجتماعى والإنسانى



(٢٠)

قضيتان فى التراث

هناك قضيتان فى التراث متلازمتان أو متكاملتان :

الأولى : حجب الغرب للقيم العلمية والفنية التى حفل بها التراث الإسلامى وادعاء أنها غربية المصدر .

الثانى : تقديم التراث الإسلامى من خلال تصورات وثنية ومادية وباطنية .

وما تزال هاتان القضيتان فى موضع تركيز الاستشراق فى محاولة ماكرة خبيثة لانكار فضل المسلمين وحجب دورهم .

يقول الدكتور يوسف زيدان : لقد قدم الغرب قراءة معينة للتراث العربى الإسلامى ، وهى قراءة قام بها المستشرقون أيام كانت المنطقة العربية والإسلامية تخضع ظاهراً وباطناً لسيطرة الغرب الاستعمارية ، وهى قراءة تحرص على نفى كل أصالة عن الإنتاج الثقافى والعلمى للعرب والمسلمين ، وذلك عن طريق إرجاع تراثنا لأصول ومصادر غير إسلامية وغير عربية .

وهناك بعض الباحثين العرب لا يزالون تحت تأثير هذه القراءة الغربية التى أنتجها الأخير .

ولكن هناك اليوم نقدًا للنظرة الاستشراقية للتراث على يدى شباب مسلم وعى أبعاد المؤامرة ، وقد جرى النقد لأفكار عبد الكريم الجيلى (الإنسان الكامل) وموقف الأقطار الاستشراقية حول الأصول الهندية والفارسية لنظرية الإنسان الكامل عند الصوفية .

(وقد قدم الدكتور يوسف زيدان تصوراً مؤصلاً فى هذا الموضوع) .

❁❁❁

أما بالنسبة للعلوم التى قدمها المسلمون فقد جرى اتهام للمسلمين بأنهم لم يكونوا أكثر من (نقلة) ، ترجموا تراث اليونان إلى اللغة العربية ، يقول الدكتور ماهر عبد

القادر القول بأننا نقلنا ما فى الحضارات الأخرى واكتفينا بهذا النقل ليس صحيحاً على الأطلاق فلم نكن مستودعاً لذاكرة الغرب ، نحفظ له تراثه كوديعة استودعها واستردها عند نهضته ، والحقيقة أننا (كمسلمين) أسهمنا فى بناء العقل الحضارى ، وكان لنا دورنا فى دفع حركة العلم خطوات إلى الأمام وكان للعرب والمسلمين نظريات علمية اكتشفها العرب وكان لهم منهج استخدموه .

وقد كان المنهج العلمى المتعارف عليه فى البحث العلمى هو القياس الأرسطى الذى ساد منذ عهد أرسطو حتى عهد النهضة العربية ، وكان العرب أكثر دقة إزاء هذا المنهج ؛ حيث جمعوا بين النظرة اليونانية ونظرة أخرى هى النظرة الحسية أو ما نسمية بالاستقراء فعرفوا : « الملاحظة - والتجربة - والمشاهدة »

وهذه الوسائل دورها واضح جدًّا ، فى علوم كثيرة ، كالفلك والطب والنبات والحيوان .

كذلك فقد نبه علماء الإسلام إلى أخطاء العصر ، وأخطاء أوهام الحس (قبل ديكارت) وهو ما جعلهم يكملون (المشاهدة الحسية) بشىء آخر أسموه (الاعتبار) ، أى التجربة ، والتجربة والملاحظة شىء عرفه الأطباء العرب والكيماويون العرب كابن حيان والرازى وغيرهما .

وقد أضيف إلى هذا فى مرحلة تالية بعد جديد ومنظور جديد هو المنظور الرياضى وكيفية تحويل الملاحظات الكيفية إلى أرقام ، وتلك خطوة مهمة جدًّا لتفوق العلم ، انطلق بها العالم الأوربى الشهير فرنسيس بيكون ، وقد فصل الرازى فى كتابه الحاوى) هذا المنهج ، وأشار بعمق إلى الملاحظة والتجريب فى البحث العلمى .

وكان من ثمرات هذا المنهج ابن الهيثم وابن النفيس ، وهما يمثلان اتجاه الأصالة الذى استمد خطوه من المفهوم الإسلامى الأصيل .

ويتضح هذا من موقف ابن سينا وموقف ابن النفيس ، فقد اعتمد ابن سينا نظرية جالينوس ، أما ابن النفيس فرأى أنها لاتتفق وما يحدث فى الواقع .

ومعنى ذلك أنه رأى ومارس وشرح الجسد البشرى ووجد خللاً (أزمة) بين ما هو نظرى وما هو عملى ، ووجد انسياق ابن سينا وراء جالينوس ، لذلك كانت ثورته

العلمية لحل هذا الخلل .

ولقد كان اكتشاف ابن النفيس العلمى له أثره الكبير فى تقدم علم الطب .

(وكانت هناك دعاوى أن ابن النفيس هو مكتشف الدورة الدموية الصغرى) فقط، ولكن الدراسات الجادة أثبتت وأكدت أنه هو أيضاً مكتشف الدورة الدموية الكبرى .

(وقد ثبت هذا أخيراً بعد مراجعة وكشف تراث ابن النفيس وقد شهد له العالمان المسلمان دكتور ماهر عبد القادر ودكتور يوسف زيدان .

كذلك فإن ابن الهيثم وحديثه عن الضوء هو الذى نقل العالم الغربى نقله جديدة فأخذه (نيوتن) عن ابن الهيثم ووصل إلى نفس النتائج .

❁❁❁

وكل هذا يؤدى إلى حقيقة أساسية هى كذب ادعاء بعض المستشرقين وتابعيهم من أسماء عربية يراد إعطائها شهرة ولمعاناً تقول بما يقولون من أن العقلية الإسلامية عقلية ميتافيزقية تغلب الغيب على الحاضر .

وربما حدث ذلك فى فترة ما أصيبت فيها العقلية الإسلامية بشئ من الجمود بسبب ظروف سياسية أو تاريخية .

ولكن لا يمكن أن يقال هذا على الإطلاق فى فترة تزيد على ألف سنة من الزمان .

ويتصل هذا بالدعاوى التى أذاعها عابد الجابرى ولا يؤيده فيها علم ولا تاريخ ، وإنما استمدها من الفكر الاستشراقى ، فكان تابعاً له ومدافعاً عن الباطل ، وذلك حين أتهم العقلية الإسلامية بالغيبية والبيانية بشكل مطلق ، أعلى شأن الأتجاه العرفانى الذى هو الفكر الباطنى ووحدة الوجود والحلول) والاتجاه البرهانى (الذى هو فلسفة أرسطو وأفلاطون وقصة العقول العشرة وغيرها) .

ويقرر الدكتور ماهر عبد القادر أن العقلية العربية تتضمن حانباً تحليليًّا نقديًّا تأويليًّا، ويعمل العقل حتى فى النص القرآنى ، أما سيطرة البيان والعرفان فقد ظهرت لأسباب تاريخية سياسية وكانت لفترة و لم تكن مطلقة .

ذلك أن إرادة الاختيار موجودة فى فكرنا الإسلامى ، وهى طبيعة مرنة تقبل

الجديد متى كان لا لعارض من أصولها الأساسية ، وقد رفضت فلسفة أرسطو، وصححت مفاهيم جالينوس.

❁❁❁

وقد تصدى الدكتور يوسف زيدان لاتهام الاستشراق لتراث الطب الإسلامى، وحقق كتاب ابن النفيس (فصول أبقراط) ورد على المزاعم الاستشراقية الخاصة بالأصول اليونانية والمسيحية للإبداع الطبى العربى ، وقولهم : إن الأطباء العرب المسلمين لم يكن لهم كبير شأن فى تقدم البحث الطبى مما جعله يهتم بإظهار الأصول العربية للطب .

ومن خلال تحقق نصوص الطبيب العربى المسلم (ابن النفيس) ما يثبت عكس وجهة النظر الاستشراقية .

❁❁❁

ويقول إدوار سعيد : لا يوجد جهد علمى أو معرفى خاص بدراسة الشرق إلا وقد تأثر بالاستشراق وكان الاستشراق معوقاً .

ويتساءل الدكتور يوسف زيدان : ما هى المعوقات التى وضعها الاستشراق أمام الدراسات العربية والإسلامية؟ ثم يقول :

أولاً : سبق المستشرقون فى إخراج التراث العربى الإسلامى فى طبعات محققة بشكل جديد .

ثانياً : تتمثل الإعاقة الاستشراقية فى خطر الوقوع فى أسر الفهم الاستشراقى للنص وماتمتلئ بـه هوامش النص المحقق استشراقيًا من أفكار ، هى انعكاس للرؤية الغربية لتراثنا.

ثالثاً : أعاق المستشرقون الدراسات العربية الإسلامية ، حين نهبوا نوادر المخطوطات ونقلوها إلى بلادهم .

رابعاً : إعاقة أخرى تتمثل فىتربية المستشرقين لبعض الكوادر من الباحثين العرب الذين ظلوا يرددون وجهات النظر الاستشراقى ، وقد سعى الاستشراق لفهم طبيعة الثقافة فى بلاد المسلمين وقد تحقق له هذا الهدف من تقديم خلاصته لصناع القرار

السياســى فى الغـرب منذ زمن طويـل فخدم بذلك عمليــة التخطيط المهيمنـة ولايزال يخدمها .

والمعـروف الآن أن الاستشـــراق الأيدلوجى لم ينتـه ولـن ينتهى والدليل هـو مدى اهتمام إسرائيل بالتراث العربى حيث تهتم بمخطوطاتنا .

وقد ســعى مـا يسـمى بعلم الاسـتغراب لمواجهـة نفـاذ الغرب إلى تكويننـا الثقافى والتراثى والمعاصر وسعيه الدائم لفهمنا بنفاذنا إلى تكوين الغرب وسعينا لفهمه .

ولا ريب أن تنقية التراث ضـرورة ملحة ، واختيار النص الذى يجـب تحقيقه ونشره مهمـة كبرى ؛ حيث إن هنـاك محـاولات تجرى لنشـر التراث القـاتل ، وهو مخطوطات الســحر والشــعوذة والدجل ، أو نشــر الـتراث الفـارغ ، وهو المخطوطـات الفارغـة المضمون كالشروح والتعليقات على الشروح .

أما أعـلام التراث الإســلامى فإنهـا تربط الفكر الإسـلامى المعـاصر بأصولـه وتحدد هويتـه التى تتعـرض اليوم للطمس التـام ؛ وذلك حمايـة له مـن انفراط عقده ، والحفاظ على استمراريته فى التاريخ .

❀❀❀

يقول الدكتور التفتـازانى : إن تحريـر الفكر من قيـوده كان وراء تقـدم المسـلمين ، فمن هذا المنطلق اعتمد علماء المسلمين على العقل ودوره ، حتى فى استنباط الأحكام الشرعية .

وقـد قال معاذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعثه إلى اليمن قاضياً : أجتهد رأيى لا آلو) وذلك حين لا يجد فى القرآن والسنة نصًّا يحكم به .

وقد تنبـه علماء الإسـلام إلى ضـرورة إطلاق العقل فى كل اتجـاه ، ولم يضعوا قيداً على نشاطه ، ورسموا له منهجاً فى البحث للوصول إلى الحقائق العلمية .

كذلك فقد أظهر الإسلام عدداً من المناهج العلمية :

١ ـ منهج ابن الهيثـم الذى ســبق منهج بيكون التجريبـى ، ومـا صرَّح بـه روجر بيكون من أنـه اسـتعاد المنهـج التجريبى من العرب ـ وكـان من مفكـرى القرن الثالث عشـر الميلادى ومترجمـاً فى بلاط فردريـك الثانى ـ ليس صحيحـاً ، وليس صحيحًا أن

مايدعو إليه الإسلام هو العلم الديني وحده ، وإنما كل علم يدفع الجهل .

وقد قال أحد علماء المسلمين : على ولى الأمر أن يدبر للمسلمين العلوم والصناعات اللازمة التى يسبب فقدان أى منها حرجاً لهم ، فإذا لم يقبل ذلك كان آثماً؛ لأنه يوقع المسلمين فى الحرج ، وإن فرض الكفاية فى العلوم المحمودة هو كل علم لا يستغنى عنه فى قوام أمور الدنيا كالطب والحساب ، وقد دفعت حرية الفكر المسلمين إلى الاستفادة من تجارب الأمم الأخرى فى مجال العلوم (كما حدث فى العصر العباسى) ، فقد نقل المسلمين خلاصة تجارب الحضارة اليونانية ، وكان المسلمون متنبهين إلى قيمة حرية الفكر التىمن شأنها كشف مجهول أو استكناه معقول.

وعندما أهمل المسلمون دراسة العلوم الكونية اضمحلت أحوالهم السياسية والاقتصادية والعمرانية بوجه عام ، وتفوق عليهم الأوربيون فيما اكتشفوا من أسرار الطبيعة ، وما استحدثوه من مكتشفات علمية غيرت مجرى التاريخ .

يقول الدكتور التفتازانى : إذا نظرنا إلى القرآن الكريم نظرة فاحصة وجدنا أنه ينبه العقول إلى استخدام أنواع النظر العقلى المختلفة ، فهو كما يدعو إلى استنباط نتيجة ثبت صحتها فى معرض الاستدلال على العقائد النظرية - الآيات من آخر سورة يس - نراه يدعونا إلى استخدام المشاهدة الحسية واستقراء الجزئيات من عالم الطبيعة؛ ليصل بنا ذلك إلى معرفة القوانين العامة التى تسير هذه الطبيعة بمقتضاها، ولقد أنشأت آية كريمة أعظم قاعدة فى العلم التجريبى ، الآية هى **﴿فاعتبروا ياأولى الأبصار﴾** . أنشأت هذه الآية قاعدة الاعتبار ، والاعتبار هو القياس بنوعيه العقلى والفقهى - كما يقولون .

قال الله تعالى : ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت﴾ .

انظركيف تعبر هذه الآيات عن روح المنهج العلمى الحديث ؛ ذلك أن العلم فى مفهوم علماء مناهج البحث المحدثين ، هو إجابة عن السؤال (كيف) ، وليس إجابة عن السؤال (لماذا) .

فالعلم يعنى ببيان كيف تتركب الظاهرة ، ولا يعنى بالبحث عن الغاية منها .

وقد نبه القرآن الكريم إلى أن النظام الكونى له قوانين لا تتبدل ، وهى ما تصل إليه من خلال الاستقراء العلمى القائم على المشاهدة الحسية ، وإلى ذلك الإشارة بمثل قوله تبارك وتعالى ﴿**لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون**﴾ .

وكذلك الاجتماع البشرى له قوانين لها نفس الاطراد والثبات ، ويمكن معرفة ذلك بالاستقراء التاريخى ، إشارة إلى قوله تبارك وتعالى :

١ - ﴿ **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾ .

٢ - ﴿ **سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً**﴾

٣ - ﴿**فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله**﴾ .

✡✡✡



(٢١)

خصائص النظام الإسلامى

ليس النظام الإسلامى نظاماً ثيوقراطيًّا ولا نظاماً كهنوتيًّا ولا نظاماً ليبراليًّا ، بل هو نظام ربانى جامع ، فيه خير ما فى الأنظمة العصرية ، حيث لا يعلى الفرد على الجماعة ، ولا الجماعة على الفرد .

١ - والإسلام لا يمنح السلطة أو السيادة إلى طبقة معينة أو حزب أو فئة من الناس، ولا يمنحها أيضاً للشعب ؛ لأن السيادة فى الإسلام ممثلة فى الله تبارك وتعالى .

٢ - أما مفهوم الإسلام للقومية فهو يختلف عن المفهوم الحديث لها ؛ حيث ينفى الإسلام التميز بين الشعوب على أساس العرق أو اللون أو اللغة أو الشكل ، ويجعل الوطنية والقومية حلقات فى عقدة الجامع .

٣ - ليس فى الإسلام سلطة دينية : هذه السلطة تمارسها مؤسسة دينية وليس فى الإسلام مؤسسة دينية ، ولا توجد فى الإسلام كنيسة ، قال الشيخ محمد عبده منذ مائة عام : إن أحد الأركان التى جاء بها الإسلام هو هدم فكرة السلطة الدينية .

٤ - اشتمال القرآن الكريم والسنة على نظام الحكم .

فالقرآن رسالة هداية ، وإن نظام الحكم جزء من هذه الرسالة ، ومن المؤكد أن النبى صلى الله عليه وسلم أقام دولة ، وكان هناك نظام حكم ، وهناك بيت مال وإدارة ومؤسسة عسكرية وفتوحات وحضارة .

٥ - والحكومة الإسلامية حكومة دستورية مقيدة بالقانون الأعلى ، وهو الشريعة الإسلامية ، وترتيباً على ذلك فإن أعضاء الحكومة ملزمون بعدم الخروج على ذلك .

٦ - مصادر الدخل فى السياسة الإسلامية تتمثل فى الزكاة بشروطها التى أقرتها الشريعة ، إضافة إلى الجزية والخراج وضريبة الركاز والاستثمار .

٧ - تتمحور المشاركة السياسية فى النظام الإسلامى حول مبدأ الشورى ، وهى عملية استطلاع رأى أفراد الأمة فى الدولة الإسلامية فى الأمور العامة .

٨ ـ رفض الإسلام مادية اليهود ورهبانية النصارى وأمر بالتوسط ﴿**قل أمر ربى بالقسط**﴾ .

﴿**يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين قل من حرم زينة الله**﴾ الآية . ومن ثم فقد قدم الإسلام أسلوب حياة يمتزج فيه الدينى بالدنيوى ، ويختلط المادى بالمعنوى اختلاط الروح بالجسد فينصهر الجانبان فى وحدة معنوية ، لا ينفصل فيها أحدهم عن الاخر ، والهدف هو خلق الشخصية الإنسانية المتوازنة التى لا إفراط فيها ولا تفريط والتى توازن بين حاجات الجسد وحاجيات الروح ﴿**وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا**﴾ .

٩ ـ ألغى الإسلام فكرة الإباحية التى كانت قائمة فى المجتمعات القديمة وما تزال قائمة فى المجتمعات المعاصرة والنابعة من فكرة فصل الدين عن الدنيا ، بحيث يكون هناك معياران للسلوك ، أحدهما خاص والآخر عام ، فأصبح الفرد بحكم مارسبه الدين فى نفسه عن طريق الشعائر والمعاملات صورة للمجتمع تحمل فى ضميره كل القيم الاجتماعية التى تخفى على التكامل والتعاون .

١٠ ـ أسقط الإسلام الحاجز بين الحياتين : حياة الدنيا وحياة الآخرة ، وأنهى هذا الصراع الدامى بينهما كأنهما عدوتان لدودتان .

وأسقط الإسلام الحاجز بين الدين والعلم منذ البداية ، والإسلام يعلن إحاطته بالعلم ورعايته للعلماء .

كذلك فقد أسقط الإسلام الحاجز بين الروح والجسد، فقد كانوا يقولون : إن هذا البدن هيكل الشيطان فجاء الإسلام فقال : (إن لبدنك عليك حقاً) .

١١ ـ إن الشريعة الإسلامية ليست قوانين أو حدوداً فقط ، ولكنها تكاليف تشمل كل عناصر المجتمع .

وليس هناك أى وجه للمقارنة بين (الشورى) فى الإسلام وبين (الديمقراطية) المستمدة من النظم الغربية .

فالشورى هى صلب نظام الحكم الإسلامى، والله تبارك وتعالى يقول لرسوله :

﴿**وشــاورهم في الأمر**﴾ ويقول : ﴿**وأمرهــم شــورى بينهم**﴾ هــذه الشــورى هى من صنع الإسلام ، وهى أعمق في العدالة من الديمقراطية الغربية التى انتحلها المسلمون فى هذا العصر تقليداً للغرب، وأخذوا منهجه؛ حتى نسوا الله فأنساهم أنفسهم .

إن الشـورى كنظام حكم إسـلامى جـاء كمبدأ فى القـرآن الكريم، طبقه الرسـول صلـى الله عليه وسلم، حتى أنه عندما شـاور صاحبيه أبا بكر وعمر فى أمر من الأمور قال لهما : لو اجتمعتما على رأى لم أخالفكما .

فأى وضوح لمعنى الشورى ومفهومها أكثر من هذا .

١٢ ـ ولـدت الشـريعة مكتملـة جامعـة لكـل ملكات الإنســان ومتطلباتـه النفسـية والجسـدية والاجتماعية، دون أن تقتل فـى الإنسـان طموحاتـه وتطلعاتـه المشـروعة ، ودون أن تصادم طبيعته البشرية التى فطر وجبل عليها .

أثبت العلـم تفوق الشـريعة الإسلامية علـى القانون الوضعى فى العلاقـات الإنسانية وفى مسـألة المرأة ، وقدم الإسـلام منهج الشــورى فى السياسـة ، وأعلن الإسـلام أن للضعفاء حقًا فى كسب الإنسان اليومى، ومن هنا كانت فريضة الزكاة .

❁❁❁

ويظل الإنسان هو القضية الكبرى؛ حيث يقرر الإسلام عدة أسس راسخة :

أولاً : خلق الإنسـان لحمل أمانـة الاسـتخلاف فى الأرض من منطلـق إقامة المجتمع الربانى على هذا الكوكـب .

ثانياً : أمده الله تبارك وتعـالى بمفاتيح العمران ووسائط السـعى من خلال مسئوليته الفردية والتزامه الأخلاقى والإيمان بالغيب والجزاء الأخروى .

ثالثـاً : من هنا، كان لابد له مـن الانطلاق إلى العمل من نقطة البدء الحقيقية، وهى الإيمان بالله تبارك وتعـالى خالقاً ورازقاً ﴿**إياك نعبد وإيـاك نستعين**﴾ تبدأ الأمور با لله تبارك وتعالى وإليه تنتهى .

رابعاً : قدم القرآن الكريم منهجاً كاملاً للميتافيزيقا (ماوراء المادة) يتقرر من خلال الإيمان بالله الواحد الأحد وبالرسالة الخاتمة وبالإيمان بالوحى والغيب .

❁❁❁

من خلال هذا المنهج يتحدد موقف المسلم من الفكر البشرى الذى يقوم على انشطارية النظرة، سواء فى جانب الروح أو جانب المادة، وانشطارية الحياة من حيث إنكار الغيب والبعث، وإحلال مصطلح (الطبيعة) بدلا من الألوهية، واعتبار المسئولية هى مسئولية المجتمع لا الفرد، وتقرير مذهب النسبية الأخلاقية المرتبطة بالعصور والبيئات، بينما يقرر الإسلام ثبات القيم الأخلاقية واستمرارها والخضوع لها .

❁❁❁

وبالرغم من وضوح هذه القيم كلها فقد حاول المستشرقون إثارة الشبهات فى ناحيتين : الأولى : مقولة: إن الشريعة الإسلامية لم تطبق إلا مدة محددة ، فضلاً عن أنها لم تنزل كاملة، وإن الإسلام ما هو إلا دين قائم على الصلاة والذكر والدعاء وما إليها، أما السياسية وما يتصل بها والاقتصاد والحكم فليست من الدين فى شيء .

وكل هذا دعاوى باطلة رد عليها العلماء ودحضوها ، ولكن أعداء الإسلام مازالوا يرددونها .

١ ـ لقد ظلت الشريعة الإسلامية هى النظام الحاكم حتى دخل الاستعمار فى القرن التاسع عشر ففرض قوانينه وحجب الشريعة الإسلامية . وهذا يعنى أن الشريعة هى الحاكمة فى المجتمع الإسلامى خلال ثلاثة عشر قرناً، ومنذ فرض الاستعمار القانون الوضعى والمسلمون معارضون لهذا الوجود الباطل، لم يتوقفوا عن الدعوة إلى العودة إلى المنابع، وقد قطعوا فى العقود الأخيرة خطوات واسعة فى سبيل تقنين الشريعة والاعتراف بها فى بعض دساتير البلاد العربية الإسلامية .

٢ ـ كذلك فقد رد علماء المسلمين على المستشرقين الذين حاولوا إبطال ما يعتقده المسلمون من نزول الشريعة كاملة ، لا عن طريق ما يزعمه بعض المستعمرين من رد كل شيء إسلامى إلى سابق أعراق الأمم وشرائعها أو آثار الديانات الكتابية القديمة .

وقد أثبت العلاّمة علال الفاسى فى بحث مستفيض أن الشريعة الإسلامية أنزلت كاملة، وهى بذلك صالحة لكل زمان ومكان، واستشهد في ذلك بكتابات «لوثروب ستوارد» مؤلف (عالم الإسلام الجديد) الذى قال: إن نشر الإسلام هو الحدث الأكثر عجباً فى التاريخ الإنسانى كله: وقد خرج من بلاد وشعب لم يكن يأبه بهما أحد، وإذا به ينتشر فى مدة قرن واحد فى نصف الكرة الأرضية، فاتحاً

إمبراطوريـات عظيمة، محطماً ديانات كبيرة تأسست منذ زمن طويل، صاهراً فى قائمته كثير من الأجناس، ومشيداً عالماً جديداً هو عالم الإسلام .

٣ ـ كذلك فقد رد العلماء على ادعـاء المستشـرقين بأن الشـريعة الإسـلامية ليست إلا نسخة مكررة من الفقه الرومانى، كما أن الحضـارة الإسلامية ليست إلا نسخة من حضارة اليونان .

وقد أشـار الباحثون إلى ما قـرره المؤتمر الدولى للقانون المقـارن الذى عقد فى مدينة لاهـاى عـام ١٩٣٧م؛ حيث قرر فى وضـوح أن الشـريعة الإسـلامية لم تتـأثر بالقانون الرومـانى، بل هى شـريعة مسـتقلة قائمـة بذاتها، وأن القـانون الإسـلامى مسـتقل عما يسميه المسيحيون بالقانون الرومانى، بل لاتشابه بينهما ألبتّة .

أولاً : لأن الشريعة الإسـلامية منزلة بوحى من الله، بينما القانون الكاثوليكى هو تطعيم بالأخلاق المسيحية لبعض القوانين الرومانية .

ثانيـاً : مـا تناولـه القانون الكـاثوليكى ضيق بالنسـبة لميدان الفقـه الإسـلامي الذى يشمل كل جوانب النشاط الإنسانى .

ثالثاً : إن القـانون الكاثوليكى يعتمد كثـيراً على ما يسـميه القانون الطبيعى، أى ما ابتكـره فلاسـفة اليونــان وحذا حذوهـم فيــه فقهـاء الرومـان، وهـو مصدر خـارجى لاستكمال العدالة التى تنقص القوانين .

أما الشـريعة الإسلامية فـإن لها من مصادرها الداخليـة ما لا يحوجها إلى البحث عن مصادر خارجية كالطبيعة .

٤ ـ كذلك فقد كـان من دعاوى الاستشراق إنكار ما قدمه الفقه الإسلامى للغرب من قوانين، بدعوى سبق القانون الغربى للإسلام وهو ادعاء باطل .

فـإن الغرب قد أفـاد من الشـريعة الإسـلامية فى عصر نـابليون وأنشـأ قانوناً جديداً أطلق عليه القانون الرومـانى أو القانون الفرنسى ، وأن هـذا القانون الفرنسى ومذهب الإمـام مالك متفقان فـى تسعين فى المائـة من الأحكـام، وقد أثبت الباحثون عن طريق المقابلة العقليـة بين الفقهين التوافـق الغالب فيهمـا ، بل استـمداد القانون الفرنسـى من المذهب المالكى فى تسعة أعشار منه؛ لأن مذهب مالك هو الذى كان معمولاً به وقت الفتح العربى فى أسبانيا وفرنسـا، ولأنه المذهب الذى كان مدوناً فى وقت لم يكن فى

فرنسا غير أعراف مختلفة لا تستمد من القانون الروماني إلا القليل في بعض أقاليمها .

ويؤكد أن مقاصد الشريعة في العدل ونشر الإحسان وعمارة الأرض وما تعتمده من السياسة الشرعية والمصالح المرسلة كل ذلك كاف لسد حاجة الشريعة عن طريق الاجتهاد، ولا تقبل الشريعة اعتماد الطبيعة من حيث هى كذلك فإن القانون المسيحى لايقتصر على مايستنبطه الفقهاء ويحكم به القضاة، ولكن يعتمد كثيراً فى القرارات والمراسم الدينية التى يصدرها البابا؛ لتصبح مادة من مواده، وهذا ما يرفضه الإسلام بتاتاً.

وهناك مقولات يرد عليها مثل قولهم : إن المجتمع قد تطور، وما يصلح للعصر الأول لا يصلح لعصرنا، والرد على ذلك أن الإسلام وتعاليم الإسلام صالحة لكل زمان ومكان، وأن من محاسنه أنه لم يتدخل فى تفاصيل الأحكام كلها، بل ترك ذلك لتطور الزمن .

قال عمر بن عبد العزيز : تحدث للناس أقضية بقدر ما يحدثون من الفجور، وقد ألف الإمام الشافعى مذهبين : قديم وجديد، وهناك المصالح المرسلة، فالإسلام وضع الأساليب فى السياسة والاقتصاد والاجتماع، وصنعاً محكماً لا حرج فيه على أحد **﴿وما جعل عليكم فى الدين من حرج﴾**.

٥ - أما أن الإسلام قد نظم كل حياة المسلم، فهذا واضح فى نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية .

١ - تحريم الربا : **﴿وأحل الله البيع وحرم الربا ﴾** .

٢ - الدَّيْنُ : **﴿ ياأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه﴾** .

٣ - الإفساح فى المجالس : **﴿ياأيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم ﴾** .

٤ - تنظيم الإسلام للجندية : **﴿ وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل﴾** .

٥ - دخول البيوت : **﴿يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ﴾** .

٦ - تنظيم الأكل والشرب : **﴿ وكلوا واشربوا ولاتسرفوا﴾** .

✿✿✿

(٢٢)
الوحدة الإسلامية

كان تدمير الوحدة الإسلامية هو أكبر أهداف النفوذ الأجنبى؛ وذلك لتمزيق عناصر الأمة الإسلامية التى حملها القرآن الكريم والسنة الشريفة تحت مفهوم الأخوة ﴿**إنما المؤمنون أخوة**﴾ هذا المفهوم الذى شكل ذلك التنادى بين أجزاء الوطن الإسلامى إبان المحن، والذى كانت تمثله الخلافة الإسلامية التى جمعت بين عنصرى العرب والترك، واستطاعت أن توسع دائرتها إلى مسلمى الهند وجنوب شرق آسيا، والتى كانت تعمل على كسر عوامل الخلاف بين السنة والشيعة على أيدى جمال الدين الأفغانى والسلطان عبد الحميد، وكان النفوذ الأجنبى قد أوقد نيران الخلاف بين فارس وتركيا سنوات طوال بهدف تمزيق جبهة المسلمين .

فلما استطاع النفوذ الأجنبى أن يسيطر على الدولة العثمانية ويحقق هزيمتها فى الحرب العالمية الأولى كان الهدف هو إسقاط نظام الخلافة وإدخال تركيا فى إطار العلمانية والتبعية للغرب .

وكان الصراع قد بدأ من خلال الدعوة إلى عودة الأتراك إلى تاريخهم قبل الإسلام عن طريق فريق من المستشرقين وأتباعهم من العلمانيين؛ حيث علت فكرة (الطورانية) والعودة إلى شريعة "الذئب الأغبر" .

ولما كان حكام تركيا (الاتحاديون) هم حملة لواء هذه الفكرة، فقد تقدموا خطوات فى سبيل تدمير الوحدة الإسلامية بالدعوة إلى تتريك العناصر العربية وفرض اللغة التركية على الأجزاء العربية من الدول العثمانية فى المدرسة والمحكمة والدوائر الحكومية؛ مما خلق تياراً قومياً عربياً مواجهاً؛ وبذلك بدأ تمزق الوحدة الإسلامية سياسياً.

وكان النفوذ الغربى الذى استشرى فى مصر وتونس والسودان قبل الحرب العالمية الاولى قد عمد إلى تغريب هذه الأقطار والسيطرة عليها سياسياً واقتصادياً؛ لتحقيق مخطط يرمى إلى تمزيق هذه الأمة إلى أقطار مغلقة على نفسها ، حيث يجرى تدريس تاريخها المنفصل عن الوطن وعن الجامعة الإسلامية والشريعة الإسلامية؛ وذلك لفرض وضع ممزق، يستطيع من خلاله الاستعمار النفاذ وتحقيق مطامعه .

وقد فرضت العلمانية لأول مرة على المسلمين من خلال تركيا ، كثمن للتسوية فى الحرب العالمية الأولى بعد انتصار الحلفاء وإنهاء الخلافة الإسلامية، والقصد فى الأساس هو فصل الدولة عن الإسلام، وإلغاء الخلافة كأداة جامعة للمسلمين عرباً وعجماً على السواء .

وكان الظن أن يترتب على إلغاء الخلافة تمزيق المسلمين إلى عرب وعجم ، وعزل العرب عن المسلمين، وإقامة الصراع بينهم، وتعميق الخلافات، وإحياء تاريخها القديم السابق للإسلام، والاهتمام بالعاميات، وإضعاف الفصحى لغة القرآن؛ لعزل المسلمين عن وحدة الفكر، وإقامة القوميات على غير مفهوم الإسلام .

ومن ناحية أخرى، عزل تركيا عن العالم الإسلامي والتراث الإسلامى بلغتها المكتوبة بالحروف اللاتينية، وبهذا يتم تكوين أجيالها بعيداً عن الإسلام والعربية جميعاً، وبذلك تصبح غربية، وكان قبول تركيا للعلمانية مقدمة لقبول المؤامرة كلها، ولكن العرب الذين عرفوا مدى الخطر الذى أحدق بتركيا جعلهم يتحامون هذا التحول، وإن كانوا مازالوا يحاولون خلق رابطة من التضامن الإسلامى كمقدمة لتحقيق الوحدة الجامعة ، وقد كان الغرب حريصاً على تمزيق هذه الوحدة من أجل تفتيت الثروات الإسلامية وعدم تمكين المسلمين من إقامة مشروعات بجمعة كبرى؛ حيث تملك الأمة الإسلامية مصادر هائلة من الطاقة تمثل نصف الإنتاج العالمى من النفط ونصف الإحتياطى العالمى من الموارد والثروات (الحديد والنحاس والأورانيوم والرصاص والفوسفات والكوبلت)، فضلاً عن الثروة المعدنية ومجالات الزراعة ومجالات التصنيع والخامات والثروات البحرية.

وتدور المؤامرات لتدمير كل محاولة للوحدة بين أجزاء العالم الإسلامى من منطلق الحقد ؛ حيث تكفى موارد العالم الإسلامى؛ ليقوم بتنمية كاملة مستقلة، ومن هنا وضع الغرب العراقيل فى صورة تحديات كبرى؛ لتقف أمامها الأمة الإسلامية عاجزة تستورد معظم حاجياتها ، هذا فضلاً عن السيطرة الاقتصادية الغربية القائمة على الربا، مع المبالغة فى تصوير مشكلات التضخم السكانى من أجل المحافظة على مستوى الرفاهية الغربية؛ وأصبح الآن يعانى نقصاً شديداً فى عدد المواليد .

وتأتى الصهيونية العالمية الآن بسيطرتها على فلسطين لتضرب فى كل مكان من

أرض الإسلام من أجل تقليص نفوذ أصحابه الحقيقيين ومعاونة الاستعمار والنفوذ الغربى على نهب ثروات المسلمين والعرب .

❁❁❁

إن دعم عناصر الوحدة الإسلامية بين أجزاء الوطن الإسلامى هو عامل فعال فى القدرة على امتلاك المسلمين لمقدراتهم، ولكن مفتاح العمل كله يتوقف على وحدة الفكر والثقافة .

وليس شيء يحقق هذه الوحدة إلا تطبيق الشريعة الإسلامية، فهى وحدها القادرة على إقامة هذا التماثل بين أجزاء الوطن الإسلامى الذى يملك القدرة على بناء مشروعه الحضارى .

فعلى المسلمين أن يرجعوا إلى شريعتهم؛ ليستنبطوا منها فقهاً لتسوية المشكلات والعمل على حسم هذه المشكلات بجهد إسلامى جماعى؛ وذلك بالرجوع إلى معايير تسوية الخلافات بين المسلمين من الشريعة نفسها .

وليس هناك وقت يحتاج المسلمون فيه إلى الوحدة من هذا الوقت الدقيق الذى تمر به العلاقات بين المسلمين، فهى المنطلق الحقيقى للمواجهة والمقاومة واستعادة الأرض والقدرة على الردع .

❁❁❁

ولقد حاول البعض ترويج مفاهيم ترمى إلى اتخاذ القومية منطلقاً للوحدة العربية، وامتدت فرصة هذه الدعوى سنوات طوال، غير أنها فى النهاية لم تحقق هدفها؛ لأنها استمدت مفاهيمها من الفكر الغربى ومن نظرية القومية الغربية، وتجاهلت الجذور الإسلامية للعلاقات الخاصة بالانتماء، وتجاهلت أن أية وحدة عربية لابد أن تقوم على أساس الفكرة الإسلامية القرآنية، وأن أية محاولة لاعتماد مصادر أخرى وافدة لا يمكن أن تحقق شيئاً، وقد عجزت التجارب القومية العلمانية عن تحقيق أى هدف صحيح .

❁❁❁

ومن الضرورى أن تؤمن كل الأقطار الإسلامية بأن لها تاريخاً واحداً يجمعها، وأن اعتماد كل منها تاريخاً منقطعاً من التاريخ الإسلامى وقائماً على أساس العرق أو العنصر أو الأرض لا يمكن أن يحقق شيئاً .

فهذه الأمة منذ تشكلت قبل أربعة عشر قرناً هى أمة واحدة، جمعها فكر عقدى توحيدى ربانى المصدر، يتمثل فى إيمانها بالله تبارك وتعالى، وقامت على أساس هذه العقيدة ثقافة مصدرها القرآن الكريم والسنة المطهرة ، فلابد من أن ترتبط كل وحدة بالوحدات العربية أولاً والإسلامية ثانياً، وأن تتلاقى على الأصول العامة التى تجمعها، وتبعد عن نقاط الخلاف، وكلها نقاط فرعية بجوار وجوه التلاقى والاتفاق .

❁❁❁

ولقد حاول دعاة القومية إيجاد صراع بين العروبة والإسلام قصد به أساساً الحيلولة دون قيام الوحدة الإسلامية الجامعة، ويرتكز مفهوم الإسلام فى أن كل عناصر الانتماء إنما تتحرك أساساً وأصالة داخل دائرة الإسلام نفسه، فهو السابق لها جميعاً، وهو الذى أقام مفهوم العروبة؛ حيث لم يكن العرب قبل الإسلام إلا قبائل متفرقة ومتصارعة؛ حتى أرسى الإسلام مفهوم العروبة بنزول القرآن الكريم بلغة العرب، وحيث انطلق العرب إلى أفاق الأرض لنشر الإسلام وإقام حضارته ومجتمعه .

فكان للعرب هذا الفضل الذى حباهم الإسلام به دون أن يجعل لهم تميزاً على العناصر الإسلامية الأخرى فى شكل استعلاء أو شوفونية ما ، ولذلك فقد استقبل المسلمون قيادات إسلامية فارسيه، وتركية ، وكردية ، وأعجمية دون أية حساسية مطلقاً، فظهر محمد الفاتح، وصلاح الدين، والظاهر بيبرس على قيادات الإسلام .

يقول الأستاذ حسن البنا : إن هذا الإسلام نشأ عربياً ووصل إلى الأمم عن طريق العرب، ورأى أن الكتاب الكريم جاء بلسان عربى مبين، وتوحدت الأمم باسمه على هذا اللسان يوم كان المسلمون مسلمين، ومن هنا كانت وحدة العرب أمراً لابد منه لإعادة مجد الإسلام وإقامة دولته وإعزاز سلطانه، ومن هنا وجب على كل مسلم أن يعمل على إحياء الوحدة العربية وتأييدها ومناصرتها .

ومن هنا، كان مطمح التغريبيين بفرض مفهوم للقومية تختفى منه مفاهيم الإسلام، سواء من خلال الترابط العقيدى، أو من حيث مضمون الإسلام للوحدة، أو من خلال إقامة التعاون بين العناصر المختلفة التى تنضوى تحت لوائه .

ولما جاءت نكبة فلسطين تنادى العرب إلى وحدة من أجل مقاومة النفوذ الصهيونى، ولكن مخططات المكر الغربى واليهودى كانت قد عملت على احتواء

هذه الخطـة؛ بغيـة الحيلولـة دون قيامها علـى النحو الذى يمكن العـرب والمسـلمين من محاصرة الصهيونية .

ومن هنا تغلب مفهـوم (تعريب قضيـة فلسـطين) أى جعلها قضيـة عربيـة، وليست إسـلامية، وظهر فى نفـس الوقت التصور القومى الغربى الـذى قامت عليـه الصراعات بـين القوميات فـى أوربا، وظهـرت دعوات ومنظمـات تحمل هذا الاتجـاه، وتدعو لـه، وتحاول فرضـه على العروبة، وكان المفهوم مفرغاً مـن الأصالة العربية الإسلامية؛ حيث ربط بالاشـتراكية وبمفاهيم الحريـة على النحـو الذى رسمتـه مخططـات الغرب ومفاهيم الماسونية .

وهكذا امتد مفهوم القوميـة كما رسمه (المـارون) فى لبنان قبل الحرب العالمية الأولى من أجل تدمـير الخلافة والوحدة الإسلامية الجامعـة تحت لواء الدولة العثمانية ، ثم جاء التصور الذى قدم بعد استيلاء اليهود على فلسطين ليعمق ذلك المفهوم المسموم المفرغ من الإسلام ومن مضامين الأصالة والإسلام وقواعد الانتماء الإسلامى .

وكان أن اسـتقلت القومية بمفهوم صورى للعروبـة مفرغ من معناها بعيد كل البعد عن المضامين الإسـلامية، سـواء فى مجـال السياسـة، أو مجـال الاجتمـاع، وبالرغم من التمكين الذى أتيح لحملة لواء هذا المشروع، فإنهم قد عجزوا عن تحقيق أى شيء .

وكانت نكسـة ١٩٦٧ هى التى حطمـت مقومات فلسـطين نهائياً، ومكنت العدو من احتلال بيت المقدس علامة على هزيمة هذا التصور .

وفى السـنوات الأخيرة تكشـفت مفـاهيم التصور القومى عـن آثـار أخرى؛ ممـا يستدعى إعادة النظر فى مفهوم الوحدة الإسلامية، وإقامة تصور إسلامى جامع، تختفى منه كـل عوامل الخلاف والصراع بين الفـرق والطوائف والمذاهب التى تشـهد أساسـاً بكلمـة التوحيد، وتلتقى على نبوة محمد صلـى الله عليه وسـلم، وعلى الإيمـان بالقرآن الكريم والسنة المطهرة مصدراً للشريعة الإسلامية .

٭٭٭



(٢٣)

الوسطية الإسلامية

جاءت الوسطية الإسلامية علامة على تميز الإسلام عن باقى المناهج والأيدلوجيات التى تحاول أن تقدم للبشرية أيدلوجية أو تصوراً جامعاً لإقامة المجتمع الإنسانى، فقد انقسمت البشرية منذ عصور بعيدة إلى شطرين :

شطر مادى، يؤمن بأن هذا الكون لم يخلقه خالق، وليس له نهاية، وأنه ليس هناك غيب ولا وحى ولا آخرة. وشطر روحى، يؤمن بأن الحياة المادية لا قيمة لها، وأن الزهد والانصراف عن الدنيا والرهبانية هى الحياة .

وما تزال البشرية إلى اليوم مشطورة بين هذين الشطرين، إلا من رحم الله؛ فالماركسية والشيوعية والاشتراكية تؤمن بإعلاء المجتمع وإنكار دور الفرد، والرأسمالية والليبرالية تؤمن بإعلاء الفرد وتجاهل المجتمع، وكلاهما يذهب إلى أبعد الحدود فى انشطاريته وتجاهل الجانب الأخر .

أما الإسلام فقد جاء بالمنهج الربانى الأصيل الذى ربط بين الفرد والجماعة من ناحية وبين المادة والروح من ناحية أخرى، وبين الدنيا والآخرة، وجعل الدنيا مزرعة للآخرة .

يقول الدكتور محمد عمارة : إن الوسطية فى التصور الإسلامى تختلف تماماً عن الوسطية الأرسطية التى قال بها أرسطو من أن الفضيلة وسط بين رذيلتين، وهى أشبه ما تكون فى توسطها بالنقطة الرياضية الثابتة المستقلة، والتى تفصلها عن النقطتين (أى الرذيلتين) مسألة متساوية تضمن لها التوسط : إنها نقطة رياضية وموقف ساكن .

إن الوسطية فى التصور الإسلامى : هى الوسطية الجامعة، كما حددها منهج الإسلام، وإنها موقف جديد يتمثل فى أنها تجمع وتؤلف ما يمكن جمعه وتأليفه فى تنسيق غير متنافر ولاملفق؛ وهى لذلك وسطية جامعة متميزة فى التصور الإسلامى والمنهج الإسلامى .

وقد جمعت الوسطية الإسلامية بين الروح والجسد، والدنيا والآخرة، والدين والدولة، والذات والموضوع ، والفرد والأمة ، والفكر والواقع ، والمادية والمثالية ،

والواقع والمثال ، والثابت والمتغير ، والقديم والجديد ، والأصول والفروع ، والعقل والنقل ، والخصوصية والعالمية ، والحق والقوة ، والاجتهاد والتقليد ، والدين والعلم ، والعامة والخاصة .

وفى ضوء الوسطية الإسلامية الجامعة نبصر امتياز المنهج الإسلامى فى إبداع حضارة وسطية ، كانت وسطيتها هى طوق نجاتها من تمزق وثنائية وانشطارية التعاملات المتناقضة على النحو الذى حدث فى حضارات أخرى ؛ إن الوسطية هى العدل بين ظلمين؛ ولذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم : الوسط العدل، وما خُيِّر رسول الله بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً .

❁❁❁

وتتميز وسطية الإسلام بأنها :

١ - وسطية زمنية بين عصور الجهالة المظلمة وعصور التقدم واليقين .

٢ - وسطية مكانية : أى نزول القرآن من الجزيرة العربية بمكة حيث موقعها وسط العالم .

٣ - وسطية فى العبادات: فالإسلام دنيا ودين، وأولى وآخرة، ووعد ووعيد .

ويجمع الإسلام بين البصر والبصيرة، وبين الفكر والنظر، وهى وسطية تعاملت وتفاعلت مع كل شيء بميزان، فهى لا تقبل كل شيء، ولا ترفض كل شيء ، استفادت من التراث الماضى ومن الواقع المعاصر، وأخذت من القديم والحديث، فالوسطية فى الإسلام منهج كامل بالنسبة للمسلمين فى حياتهم وفى فكرهم وفى سلوكهم ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطًا**﴾ لا تقتر ولا تبسط : ﴿**ولا تبسطها كل البسط**﴾ .

ليس فى الإسلام تلك الرهبانية أو الانقطاع عن الحياة الدنيا إلى حياة شبيهة بالعبادة.

وليس فى الإسلام الانقطاع عن حياة المجتمع . فالوسطية الإسلامية تصل الإنسان بالعمل، فى نفس الوقت الذى يأخذون أنفسهم بالعبادة .

ولقد عرض لمصطلح الوسطية الإسلامية كثير من الباحثين فأردنا أن نلم بخلاصة

ذلك كله فى أمانة ووضوح؛ ليتمثل مفهوم الوسطية فى نظرة المسلم إلى علاقة الإنسان بالكون والحياة ، وقد تميز المنهج الإسلامى عن غيره من المناهج التى سادت وتسود الحضارة الإنسانية، ففى التراث الهندى القديم نجد (تهميشاً) للإنسان، على أساس أنه الحقير الفانى الذى لا خلاص له إلا احتقار المادة وتعذيب الجسد وإدارة ظهره للدنيا .

(وهى مفاهيم تسللت إلى حضارتنا الإسلامية تحت عباءة بعض مذاهب التصوف الفلسفى) .

ونقيض ذلك فى تراث الحضارة الغربية فى نهضتها الحديثة؛ حيث ترى أن الإنسان هو سيد الكون، لدرجة أنها قد ألّهته منذ جاهلية اليونان؛ حيث جعلت الإبطال آلهة .

وفى منهج العلمانية الحديثة تم إطلاق العنان لحرية الإنسان؛ حيث يحل الحرام، ويحرم الحلال، ويقهر الطبيعة .

أما نظرة الإسلام الوسطية فالإنسان ليس الحقير الفانى، كما أنه ليس سيد الكون، وإنما هو المستخلف عن سيد الكون الذى هو مصدر السلطة والسلطان فى المجتمع، ولكن فى إطار سيادة الشريعة .

وكذلك نجد الوسطية واضحة فى منهج الاقتصاد الإسلامى ففى المنهجين: الرأسمالى والماركسى يطلق أحدهما العنان لحرية التملك والإنفاق، ويلغى أحدهما هذه الحرية، بينما يقدم منهج الإسلام الوسطى على أن المالك الحقيقى للثروة والمال هو الله تبارك وتعالى، وللإنسان فى هذا المال (ملكية مجازية) هى الوظيفة الاجتماعية التى وضعها المالك الحقيقى؛ حيث تكون حيازة الإنسان للمال مقيدة بضوابط الشريعة .

❁❁❁

أما فى مجال العقيدة فتتمثل فى وضوحها وبقائها بعيداً عن جدل المتكلمين ومعتقدات الفلاسفة . و«فهم العبادة فى صفاتها بعيداً عن شكلية الطقوس والابتداع». و«فهم الأخلاق فى تكاملها بعيداً عن شوائب التصوف الأعجمى والزهد الهندى والترهيب النصرانى» . و«فهم الشريعة ، فى مرونتها وسعة آفاقها بعيداً عن الجمود» . و«فهم الإنسان باعتباره خليفة الله تبارك وتعالى فى الأرض المكرم بالعقل والمخاطب بالتكليف وصانع الحضارة والمسئول عن عمارة الأرض مسئوليته عن عبادة الخالق » .

❁❁❁

وتتمثل الخصائص البارزة لتيار الوسطية الإسلامية فى :

١ ـ الجمع بين السلفية والتجديد .

السلفية بمعنى الجذور والمنابع، والتجديد بمعنى المعايشة للعصر والمواكبة للتطور والتحرر من أسر الجمود والتقليد .

(والرجوع إلى ما كان عليه السلف الأول فى فهم الدين عقيدةً وشريعةً وسلوكًا، وليس معنى العوده إلى ما كان عليه السلف أن يكون نسخاً كربونية لهم بل تمثل منهجهم وروحهم مع تعاملهم مع الدين والحياة) .

❁❁❁

أما السلفية فإن روحها هو التجديد على النحو الذى قامت به مدرسة الإمام ابن تيمية وتلاميذه والذى امتد فى : ابن الوزير (اليمنى) ـ الأمير الصنعانى ـ الشوكانى أحمد عبد الرحيم (شاه ولى الله)، ثم فى محمد عبده، ورشيد رضا، وحسن البنا .

٢ ـ الموازنة بين الثوابت والمتغيرات .

٣ ـ التحذير من التجميد والتمييع والتجزئة للإسلام .

٤ ـ فهم الإسلام بمفهومه الجامع .

❁❁❁

تقوم القاعدة الأساسية للوسطية الإسلامية على فهم مصطلحات : التجديد ـ التراث ـ الميراث .

١ ـ الميراث : هو إعطاء الله تبارك وتعالى الثابت القائم إلى يوم القيامة ممثلاً فى القرآن والسنة .

٢ ـ التراث : هو عمل الفقهاء والعلماء (فقه أبى حنيفة وأصول الشافعى وكلام الأشعرى وأدب الجاحظ وآراء ابن حزم وتصوف الغزالى واجتهادات ابن تيمية)، وهو تراث بشرى نأخذ منه وندع وفق القواعد والمعايير العلمية التى وضعها الإسلام بين أيدينا .

أما كتاب الله وسنة رسوله فهى مصدر الإلهام ومصب الإلزام .

٣ ـ التجديد ـ وقد علمنا نبى الإسلام أن الدين يتجدد، وأن الله تبارك وتعالى يهيىء له مجددين بين حين وحين (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة مَنْ يجدد لها أمر دينها) رواه ابو داود فى سننه والحاكم فى مستدركه .

ومن الخطأ اعتبار الرسول صلى الله عليه وسلم المؤيد بالوحى من السلف، أو اعتبار القرآن من جملة التراث، أو اعتبار الإسلام كلمة من جملة الماضى، فالإسلام هو الماضى والحاضر والمستقبل . والقرآن كلمات الله تبارك وتعالى الباقية على طول الزمان وامتداد المكان .

وتجديد الإسلام هو تجديد الفقه له، والإيمان به، والعمل بمقتضاه، والدعوة إليه ، وأن هناك تلازماً (وليس تعارضاً) بين السلفية الحقيقة والتجديد .

وقد وجد بالاستقراء أن الصحابة هم أفقه الناس لروح الإسلام، وأكثرهم تيسيراً على الأمة، وأقدرهم على ربط الدين بالحياة، وأشجعهم على مراعاة مقتضيات الزمان والمكان والحال، والتجديد لا ينافى السلفية، فالتجديد الحقيقى يعنى العودة إلى ما كان عليه الأمر يوم ظهوره أول مرة .

وتجديد الدين يعنى أن نحافظ على جوهره ومعالمه وخصائصه، والتجديد الحقيقى يعنى العودة إلى الإسلام الأول قبل أن تشوبه بدع المبتدعين وتأويلات الجاهلين .

✿✿✿

(٢٤)

النظر إلى ما وراء النصوص والكلمات

استطاعت حركة اليقظة الإسلامية بعون من الله تبارك وتعالى أن تكشف حقائق كثيرة كانت وراء مفاهيم مغلوطة عمل التغريب والغزو الفكرى على إذاعتها وبثها وترديدها فى محاولة لجعلها حقائق مقررة .

المحاولة كلها ترمى إلى تثبيت دعائم مقررات غير أصيلة خلال وضع غير شرعى جرى تثبيته خلال أكثر من مائة عام بكل وسائل التضليل والإغراء وعن طريق المفاهيم الزائفة التى جرى بثها وتحويلها إلى مسلمات .

غير أن هذه المفاهيم لما كانت تختلف مع الفطرة والعلم ومفاهيم الإسلام والدين الحق فقد كان لابد أن تتهاوى ثم تسقط ، ولما بدت أضواء الفجر وتكشفت الزيوف أسرع النفوذ الأجنبى إلى دعم مواقعه وتثبيت قوائم بنائه المشروخ والمتهدم، غير أن ضوء النهار مازال يزداد قوة وما زال يكشف فساد المحاولات المتجددة التى تجرى بقوة؛ لأن الحقائق تكشفت، والمؤامرة قد وضحت .

إنهم يريدون تثبيت دعائم هذا البناء المتردى الذى شكله التغريب والاستشراق والغزو الثقافى فى محاولة لإبقاء النفوذ الأجنبى مسيطراً من خلال مجموعات موالية لهذا النفوذ .

ومن هنا فهم فى الحقيقة يدافعون عن وجودهم ويستميتوا فى حفظ كيان باطل متهدم لم يكن وجوده صحيحًا ولا مقبولاً من أول الأمر، ولكنه قام على زيف وتدافع القوى الباطلة التى انتهزت وجود فجوة فى بناء الأمة الإسلامية فدخلت منها لتدمير هذا الوجود الأصيل، ولكن مؤامراتهم لم تحقق إلا قدراً من التأزم لتوقظ القلوب الغافية التى تحس بأنها نامت وقصرت وتجاوزت دواعى الحرص والمرابطة، ومن غفل عن وجوده وأدوات قوته أصابته سنة الله التى لا تتخلف .

﴿ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة﴾ ومن هنا فقد أحس المسلمون بالقصور، وأخذوا يستيقظون؛ ليحملوا

أمانتهم من جديد .

وفى عشرات من المواقف صحح المسلمون موقفهم وحرروا مفاهيمهم .

١ ـ القول بأن البشرية بدأت وثنية ثم عرفت التوحيد .

هـذا مفهوم مضلـل لا أســاس لـه، فقـد عرفت البشــرية التوحيـد مع اليوم الأول لوجودها على الأرض، وجاءتها الرسل تترى، ولكنها كانت سرعان ما تغفل عن الحق وتسيطر عليهـا الـوثنية، فيرسـل الله تبارك وتعـالى الرسل مبشـرين ومنذرين، ومن هنا يظهر فساد مقولة: (ثم جاءت الأديان) .

٢ ـ الدين ظاهرة من الظواهر الاجتماعية لم ينزل من السماء وإنما خرج من الأرض كما خرجت الجماعة نفسها .

وهذه مقولة مضللة، كذبتها رسالات السماء التى حملها الأنبياء والرسل .

٣ ـ الدين علاقة بين الله والإنسان .

وهذه مقولة لا يقرها الإسلام الذى جـاء جامعاً بين علاقتى الإنسان بربه من ناحية وبمجتمعـه مـن ناحيـة أخرى، وهـى المنظومـة القائمـة علـى (العبـادات والمعـاملات والأخلاق) .

٤ ـ خدعة القول بـأن العرب كانوا مستعدين للنهضة قبل بعثة محمد صلى ا لله عليه وسلم .

والواقع أن النبى أقام ثلاثـة عشـر عاماً فـى مكة يدعو النـاس إلى عبادة ا لله ويلاقى المقاومـة الشـديدة والإصـرار على الشـرك حتى أذن الله تبـارك وتعـالى لـه بالهجرة إلى يثرب .

٥ ـ نظرية العنصرية والدم .

دعوى أن جنسـاً من الأجنـاس يتفوق على البشـر جميعاً، وقد دحض الإسـلام هذه الدعوى المدعـاة، وأعلن أن الناس كلهم لآدم وآدم من تراب، وأنه لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى .

٦ ـ فساد نظرية سقوط التكليف وإنكار الغيب والجزاء .

والمسـئولية الفردية، وإعلاء شـأن الحلول والاتحاد ووحدة الوجود، وهذه كلها مقولات نقلت إلى العرب والمسلمين بترجمة الفلسفة اليونانية، واعتنقها بعض المشّائين المسلمين، وكذبتها المسئولية الفردية للإنسان التى هى عماد عمله فى الحياة، وأن كل مسلم مكلف لا يسقط تكليفه ما دام حياً، وأن الإسلام يقرر أن الإنسان ليس قابلاً لأن يحل أو يتحد مع الذات الإلهية .

٧ ـ فساد نظرية ارتباط الأخلاق بتغير المجتمعات والعصور، فالأخلاق الإسلامية ثابتة ثبات العقيدة والقيم الأساسية، ولا تخضع للتغيير أو التطور .

٨ ـ فساد نظرية وحدة الثقافة العالمية أو وحدة الحضارة العالمية، فإن لكل أمة ثقافتها الخاصة بها، والمستمدة من عقيدتها وفكرها وقيمها ، صحيح أن هناك قدراً مشتركاً من بين العلاقات والمشاعر، ولكن الشخصية الخاصة تكونها العقيدة والأخلاق.

ولذلك فالمسلمون لا يقبلون أن يندمجوا فى أتون الثقافة العالمية، أو ينصهروا فى الحضارة المعاصرة؛ لأن لهم تصوراً ربانياً للمجتمع والحضارة قائماً على عقيدتهم ومستمداً من قرآنهم وسنتهم .

٩ ـ سقوط دعوى القول بأن نبوغ بعض الأسماء الإسلامية يرجع إلى العنصر والجنس والعرق، والواقع أن الإسلام هو الذى صهر عقليات هذه الأسماء وأعطاها ذلك التميز والتنوع، فالذى صنع البخارى والغزالى وصلاح الدين وسيبويه والفيروزآبادى هو القرآن والإسلام واللغة العربية .

١٠ ـ رفض الإسلام كل مفاهيم الفلسفة اليونانية، بخاصة ما يتعلق بالعقول العشرة والفيض، كما رفض مفهوم أرسطو وأفلاطون عن عبودية الإنسان والرق، ونظرية السادة الذين فى القمة والعبيد الذين فى السفح .

١١ ـ رفض الفكر الإسلامى قصة النار التى قيل: إن يرثموث سرقها من الآلهة، وقد ظهر بطلان المقولة، وما كان لها أن تستمر فى محيط إسلامى يؤمن بقوله تعالى :

﴿ أفرأيتم النار التى تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون﴾

١٢ ـ رفض الإسلام مفهوم العبثية، وأكد أن الحياة مسئولية، يحاسب الإنسان على كل ما يقترفه فيها؛ إيماناً بقول الله تبارك وتعالى **﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم**

إلينا لا ترجعون﴾ .

١٣ ـ رفض الإسلام حرية الجنس والتحلل والترف، فيقوم مفهومه على العفة وإعلاء الغرائز والأخلاق .

١٤ ـ رفض الإسلام إحلال فكرة المسئولية الجماعية (مسئولية المجتمع) على مسئولية الفرد؛ لأنه يقوم على أساس المسئولية الفردية ﴿ **وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً**﴾.

١٥ ـ يرفض الإسلام فكرة التطور المطلق، وخضوع الأخلاق للبيئة المتغيرة، ويقوم على ثوابت ومتغيرات .

١٦ ـ يرفض الإسلام فكرة الانشطارية وقيام الفلسفة المادية أساساً ويقوم على الجمع بين المادة والروح .

١٧ ـ يقرر الإسلام أن العقيدة وليست اللغة هى علاقة بقاء الجماعة، فإذا زالت العقيدة زالت الجماعة وانحلت وانقرض وجودها .

١٨ ـ يرفض الإسلام المصطلحات الفلسفية المرتبطة بالتصوف الفلسفى، ويؤكد على المفاهيم التى أوردها القرآن والسنة وأقرها السلف الصالح .

ومن المصطلحات التى يرفضها الإسلام مصطلح العشق فى مجال التوحيد والعبادة ، وهو لفظ لم يعرف فى عصر النبوة أو الصحابة أو التابعين؛ ذلك أن عبودية القلب يجب أن تكون لله تبارك وتعالى وحده، وتعلق قلب العاشق بمعشوقته يجعله خالياً من ذكر الله ﴿**وأما مَنْ خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى**﴾ .

١٩ ـ كسرت اليقظة الإسلامية ما تحاول ترويجه من مفاهيم الانبهار بالحضارة الغربية ، وقد هاجم الاستاذ حسن البنا الحضارة الغربية هجوماً صريحاً فى عصر كان علماء الإسلام ينظرون إليها فى إعجاب، ومثله فى ذلك مثل الإمام الغزالى بالنسبة للفلسفة اليونانية .

٢٠ ـ أقر الإسلام البعد الرابع لنظرية المعرفة الغربية التى تقوم على (الحس ـ العقل ـ الإلهام) وهى الوحى الإلهى .

٢١ ـ قرر الإسلام أنه لا علاقة بين النجوم ومواقعها وبين حظ الإنسان ومزاجه وسلوكه، ولا بين تأثر الأرض، وتأكدت التفرقة بما لا يدع مجالاً للشك بين هذا

التنجيم وبين علـم الفلك الذى يدرس الأجرام السـماوية التى سـخرها الله . ﴿**وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه**﴾.

✿✿✿



(٢٥)

القرآن واللغة العربية

إن علاقة اللغة العربيـة بالقرآن الكريم هى علاقـة الحياة والتنامى على نحو لم يحدث لأيـة لغـة أخـرى، فقد خضعت اللغـات فى الشـرق والغـرب لقانون التطـور، فانتقلت مرحلة بعـد مرحلة إلى استخدام عاميتها والخروج من ثوبها القديم، حتى بلغت اللغات الأوربيـة قدراً لا ترتبط فيـه بالماضى إلا فـى حدود ثلاثـة قرون؛ أمـا اللغة العربيـة فقد حماهـا القرآن الكريم من هـذا التحول، حتى أنـه لو أن امرئ القيس بعـث ليتكلم معنا لفهمنا لغته، وبيننا وبينه أربعة عشر قرناً .

وقد أعطى نزول القرآن باللغـة العربيـة لها قداسـة وكرامة وافـرة، فأصبحت معادلة للعقيدة ومرتبطة بها .

وكان الإمام الشافعى فى مقدمة الأئمة الذيـن أحسوا بارتباط اللغة العربية بالإسلام من جهة إعجاز القرآن الذى هو منـاط العقيدة والبرهان على صدق مبلغها، ومن جهة الاسـتنباط لأحكام الشـريعة على أسـاس فقـه اللغـة التى نزل بهـا القرآن، ومـن جهة تصحيح العقيدة فى المسـائل المشـتبهة؛ حين تهجم الشـبهة علـى عقول الجـاهلين بلغة القرآن فيحسبون المجاز حقيقة والحقيقة مجازاً، أو المحكم متشابهاً والمتشابه محكماً .

❁❁❁

وقد ارتبط القرآن بتراث اللغـة العربيـة قبل الإسلام ارتباطـاً وثيقاً، وخاصـة بالشعر الذى كان بالنسبة للعرب ديوان علمهم ومنتهى حكمتهم، به يأخذون وإليه يصدون .

بل أن ابن سلام وابن قتيبـة يذهب إلى أن الله تبارك وتعالى أقامـه لأمة العرب مقام الكتاب لغيرهـا، وجعله لعلومها مسـتودعاً ولآدابها حافظـاً ولأنسابها مقيداً ولأخبارها ديوانـاً، لا يرثُ على الدهـر ولا يبيد علـى مر الزمـان (طبقـات الشـعراء لابن سـلام الجمحى) - (تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة) .

والقرآن الكريـم يسـجل هذه الظـاهرة على أسـاس أنها كـانت نوعـاً من السـلاح المسـلول فى وجـه الإسـلام، والرسـول الكريم، وفـى تسـجيله هذا أوضـح مدى تأثر العربى بالشعر ومدى استجابته له، حتى أصبح هذا الجنس الأول حالة نفسية وجودية

لا تفارق العرب ولا يفارقها العرب، وقد عزى إلى رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم قوله : (لا يدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين) .

يقول عمر بن الخطاب : عليكم بديوان أشعاركم، ففيه فقه قرآنكم .

وقد عرف الصحابة قيمة الشعر فى تفسير القرآن .

قال عمر : عليكم بديوانكم لا تضلوا، قالوا: وما ديواننا، قال: شعر الجاهلية، فإن فيه تفسير كتابكم ومعانى كلامكم. قال ابن عباس : إذا تعاجم شيء من القرآن فانظروا فى الشعر، فإن الشعر عربى (تفسير الطبرى).

وقال : إذا سألتمونى عن غريب القرآن فالتمسوه فى الشعر، فإنه ديوان العرب .

وقال : الشعر ديوان العرب، فإذا خفى عليهم الحرف من القرآن الذى أنزله ا لله تبارك وتعالى بلغة العرب رجعوا إلى ديوانها، فالتمسوا معرفة ذلك منه؛ ولذلك عرف ابن عباس بكثرة استشهاده بالشعر فى تفسير القرآن، وكان الطبرى من المفسرين البارزين الذى عنوا بلغة العرب وشعرهم فى تفسير القرآن .

❁❁❁

كذلك فإن القرآن أعطى قضية اللهجات فى العربية وضعاً أكثر يسرًا، فلم تكن اللهجات فى العربية مشكلة كما فى اللغات الأخرى بمعنى التأزم والإشكال بقدر ما هى ظاهرة بسيطة وعادية، ويرجع هذا إلى أنه ليس هناك لغات عربية، بل مجرد لهجات محلية ولغة عربية واحدة موحدة .

وبالمقارنة مع اللاتينية نجد أن هناك لغة فرنسية، ولغة أسبانية، ولغة إيطالية تنتمى جميعها إلى إطار لغوى موحد هو اللغة اللاتينية، ونجد أن كل واحدة من هذه اللغات تنتصب كلغة قائمة بذاتها مستقلة عن أخواتها اللاتينيات، وحتى عن اللاتينية الأم نفسها بحيث إن متكلم الفرنسية لا يستطيع فهم الأسبانية أو الإيطالية، وكذلك متعلم الأسبانية، ومعنى هذا كله استحالة اعتبار هذه وتلك لهجات لاتينية ضمن اللغة الاتينية الأم، بل هى لغات بكل معنى الكلمة، بينما فى المقابل ليس هناك لغة لبنانية، ولغة مصرية، ولغة سورية، بل لهجة لبنانية، ولهجة مصرية تنتظم جميعها فى منبع واحد ومجرى واحد ومصب لغوى واحد هو اللغة العربية .

وإن وحدة اللهجات العربية هذه تحت جناح اللغة العربية الجامعة ليست مسألة طارئة أو مستجدة، بل هى تاريخية متجذرة فى الواقع اللغوى والهجائى العربى المتواصل، فحتى فى زمن الجاهلية أى قبل الإسلام كانت جميع لهجات القبائل مفهومة تماماً لدى جميع القبائل .

وكان زهير بن أبى سلمى من قبيلة قيس ، وامرؤ القيس كان من قبيلة كندة ، وطرفة بن العبد كان من قبيلة ربيعة، ومع ذلك فقد كان شعر كل واحد من هؤلاء مفهوماً لدى جميع العرب وليس وقفاً على قبيلة فقط .

وذلك فى حين أن فرنسى القرن العشرين لا يستطيع أن يفهم فرنسية القرن الثامن أو السابع عشر دون الاستعانة بالقواميس والمعاجم اللغوية الخاصة . وكذلك الأسبانى والانجليزى والألمانى وغيره، على حين نجد أن عربى القرن العشرين قادر -وبطبيعة لامثيل لغوياً لها- على فهم لغة عرب العصر العباسى مثلاً والإسلامى، وحتى الجاهلى السحيق نفسه بدون أية صعوبات حقيقية .

ومما لا شك فيه أنه كان للإسلام والقرآن الكريم بالتحديد الفضل الأساسى والتاريخى فى تكريس اللغة كبوتقة واحدة موحدة صهرت وجمعت تحت جناحها جميع ما كان وما بقى سائداً من لهجات عربية محلية ﴿ **إنا أنزلناه قرآناً عربياً** ﴾ .

ولكن مع أن القرآن الكريم نزل بلهجة معينة من قبائل العرب هى قريش فقد كان مفهوماً فى جميع القبائل، و لم يكن هناك أية فروق لديها سوى فى التلاوات والقراءات الصوتية فقط .

قال عبد الله الخزعلى : إن الدور التاريخى الذى قام به القرآن الكريم لم يقتصر على تكريس فصحى مرجعية موحدة للعرب فحسب، بل أسهم فى تدريب وإزالة بعض ما كان من اللهجات العربية من اختلافات فى التركيبة الصوتية واللفظية .

إن دور القبائل العربية فى التأثير الهجائى على بنية الفصحى العربية قد توقف وزال مع ظهور الإسلام ورسوخ لغة القرآن أو بعد فترة وجيزة لم تتجاوز العصر الأموى الأول .

ولقد فرض القرآن اللغة العربية على جميع الأجزاء العربية التى أسلمت، وأنهى

اللغات السريانية والقبطية وغيرها، بل فى فترة وجيزة تحولت فيها الكنائس ودور العبادة النصرانية وغيرها إلى اللغة العربية .

وقد حمل القرآن الكريم جملة من الحقائق العلمية التى لم يكتشفها العلم الحديث إلا بعد مرور أربعة عشر قرناً على نزول القرآن .

وحصر الدكتور بوكاى أكثر من مائتى آية قرآنية تتحدث عن حقائق علمية توافق نظريات العلم العصرى، كما اعترف عدد من المجامع العلمية بحقائق القرآن فى خلق الأرض والكون والإنسان، كما أعلن المؤتمر الطبى العالمى الذى عقد بمدينة بنما فى فلوريدا بالولايات المتحدة صدق التأييد النفسى الذى جاء به القرآن فى قوله تعالى: **﴿فيه شفاء لما فى الصدور﴾** ، **﴿ إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم﴾** .

وجاء فى البيان العلمى للمؤتمر : أن الأثر العلاجى للقرآن يكمن فى القرآن ذاته ، لقد بدأنا الأبحاث فى عيادة (أكبر) لتحديد ما إذا كان العلاج القرآنى يستند إلى قواعد فسيولوجية فى الجسم البشرى، وقد أثبتت الأبحاث التى أجريناها انخفاض مدى الضغط النفسى بالقرآن إلى مدى بعيد، وقد دونت المعلومات وقيست بالكمبيوتر الالكترونى، وقد تحقق هذا الأثر العلاجى من خلال (معنى) و (جرس) الكلمات القرآنية، ويمكن أن يؤثر على المسلمين وغير المسلمين والناطقين بغير العربية أيضاً، وقد لاحظنا أن الآيات التى تتردد فيها الكلمات أكبر تأثيراً على المريض، وهناك أثر واضح على مناعة الإنسان .

وتجرى الأبحاث الآن لقياسها وتأكيدها على الحاضر، وقد أسلم طبيب وعالم إنجليزى من كبار علماء الكهرباء بعد المؤتمر .

۞۞۞

وقد كشف القرآن الكريم مجموعة من الحقائق :

أولاً: إن هناك تحولاً حدث عن ملة إبراهيم إلى مفاهيم أخرى، وأن الإسلام الذى أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم هو بمثابة العودة إلى الطريق الأصيل .

ثانياً : أن الذين أحدثوا هذا التحول حرفوا الكتب السماوية المنزلة عليهم، وقد أورد القرآن الكريم هذه الحقيقة فى أكثر من موضع من سور: البقرة، وآل عمران،

والنساء، وغيرها .

ثالثاً : أن الله تبارك وتعالى أخذ العهد على الأمم السابقة أن تؤمن بالنبى الخاتم إذا ظهر .

رابعاً : أن رجالاً من أهل الكتاب فى عصر النبوة شهدوا بالنص الصحيح الذى ورد فى كتبهم عن بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، وأن هذا النبى مكتوب عندهم فى التوراة والإنجيل ﴿**الذين يتبعون النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل**﴾ .

✿✿✿



(٢٦)

تحرير المناهج التعليمية من الفلسفات المادية

أخطر صورة يتمثل فيها الازدواج الثقافى هى مفاهيم العلم والفلسفة الغربية القائمة على الفلسفة المادية التى تنكر البعث والخلق الإلهى، وإدارة الله تبارك وتعالى للكون، هذه التى يتعلمها شبابنا على أنها علوم مع اختلافها الواسع والعميق مع مفهوم الإسلام فى مجال خلق الإنسان وخلق الكون، فينشأ من ذلك مفهوم مضلل، قوامه الشك والارتياب فى مقررات الأديان التى جاءت بها الرسل من عند الله تبارك وتعالى، لقد نشأت ظاهرة الازدواج الثقافى نتيجة فرض التغريب لأفكاره ولغته (واللغة هى الوجه الآخر للفكر) فقد أخذنا الفكر الغربى دون أن نمحصه ونكشف عن تجاوزاته ومخالفاته للفكر الإسلامى النابع من مفهوم الإسلام القائم على التوحيد الخالص والمسئولية الفردية والالتزام الأخلاقى، ويعد الازدواج الثقافى قضية من أخطر قضايا الفكر الإسلامى، وبخاصة الازدواج اللغوى .

ذلك أن كل لغة لها مقومات فكرها، فإذا درس المسلم أو العربى اللغات الأجنبية فعليه أن يعرف أنها يجب أن تكون فى خدمة لغته الأساسية (الفصحى لغة القرآن) .

ولا يتحقق القضاء على هذا الازدواج إلا بأن تكون الثقافة الإسلامية هى الأصل، وأن تكون اللغة العربية وآدابها وفكرها الإسلامى هى الأساس وأن تكون مختلف الثقافات واللغات خادمة لمنهج الإسلام نفسه .

فلا يقال أبداً -وهو ليس مقبولاً أساساً- : إن المسلم ابن ثقافتين، أو يعرف لغتين، وإنما هو عمل إسلامى أساسى تقوم على خدمته كل الثقافات واللغات التى يعرفها المسلم .

❁❁❁

أما القضية الأخرى التى هى أخطر محاذير مناهج التعليم الوافدة فهى دراسة العلوم على أن الطبيعة هى التى خلقت وصنعت وعملت، مع أن الطبيعة هى من خلق الله تبارك وتعالى، ولكن الغرب الذى تنكر للأديان والألوهية فى خصومته مع الكنيسة

أغفل تماماً اسم الخالق العظيم، ونسب خلقه كله وتصريفه أمور الكون لما أسماه (الطبيعة).

ومن هنا نجد أن مدخل دراسة العلوم فاسد ومضطرب وفى حاجة إلى إعادة نظر، فكيف يمكن للمسلم فى أول مطالع حياته الفكرية والتعليمية أن يتجاهل القوة العليا والقدرة الكبرى ويقول كما يقولون ظلماً وعدواناً : (إن الطبيعة زودت الإنسان بوسائل يتقلب بها الجنين، فلا تضطرب له أجهزة ولا تشوه له ملامح) وبذلك يسدل البحث حجباً كثيفة على عمل القدرة العليا .

ومقولة خطيرة أخرى هى القول فى تفسير بدء الخلق، أنه منذ خمسين مليون سنة وقع انفجار عظيم فى الكون، انطلقت منه سحب هائلة من الغازات والذرات، وأخذت تدور هنا وهناك، ثم تجمعت على مر السنين، فإذا هى تلك النجوم والشموس والعوالم العليا والدنيا التى تشرق وتغرب فى أرجاء السماوات .

وقد ترددت مقولة الانفجار الكونى، وهى مقولة باطلة، ولا أساس لها من علم، وإنما هى (فرضية) قائمة على الفلسفة المادية التى تنكر وجود الخالق تبارك وتعالى، وإن كان العلماء المسلمون قد اعترفوا بها أخيراً .

❁❁❁

ولقد خاض علماء الغرب هذه الأمور وحاولوا سد الثغرة التى أعلن حقيقتها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً .

وجاءت نظرية أينشتين فى خلق الكون ونظرية دارون فى الحلقة المفقودة من باب الفروض، وكلها لا تثبت أمام الحقائق العلمية .

وكذلك ما قيل عن نظرية خلق الإنسان وما يتعلق بالقانون الذى ينظم العلاقات بين البشر .

وأخطر هذه المقولات مقولة أن الكون أزلى أبدى ، لا بداية له ولا نهاية .

❁❁❁

أما الكون عند المسلمين فهو حادث مخلوق من العدم بعد أن لم يكن، خلقه الله تبارك وتعالى فى فترة قصيرة محددة .

كذلك فإن النظرية القائلة بالكون الثابت أو المستقر هى نظرية هزيلة غير معقولة دينيًّا، فالعالم خلق بعد أن لم يكن ، وهذا أمر أساسى فى الكتب السماوية فليس أزليًّا ولا أبديًّا بأى شكل من الأشكال، فقد ابتدأ من العدم، وسوف ينتهى بقيام الساعة؛ حيث ﴿**تتبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار**﴾ .

فمن عجب أن يوصف خلق هذا الكون العظيم بأنه صدفة وهو الذى خلقه الله تبارك وتعالى فأسفر عن تلك الأفلاك التى تدور فى دقة متناهية لا يتخلف معها شروق أو غروب.

❁❁❁

نصل من هذا كله إلى فساد مناهج التعليم الغربية الوافدة التى تدرس فى مدراسنا، فقد احتوت على مخالفات شرعية كثيرة، ومنها الصريح كالإلحاد، ومنها المبطن بالعلمانية مثل فصل الدين عن الدولة وتدريس نظريات دارون والنشوء والارتقاء ونظريات فرويد ودروكايم وهيجل وماركس .

ولعل أبلغ أخطار المناهج التعليمية الوافدة :

«إشاعة روح الانحلال والتفسخ بتعليم الرقص والموسيقى والغناء، ومحاربة اللغة العربية بتشجيع اللهجات العامية والإشادة باللغات الأجنبية، مع تدريس كتب أجنبية للغات وسواها تحتوى علىغرس العادات الأوربية والمبادئ غير الإسلامية والأشعار الفاسدة والفلسفات المنحلة، مثل فلسفة الوجودية المشجعة على الإباحية وحرية الفساد، كما هى عند سارتر وسيمون دى بوفوار، وقد جرى هذا الاتجاه الخطير منذ وقعت بلاد العرب والمسلمين تحت سيطرة النفوذ الأجنبى، وكانت مقولة كرومر هى قاعدة العمل للاستشراق والتبشير والغزو الثقافى؛ حيث يقول :

« إن مهمة الرجل الأبيض هى تثبيت دعائم الحضارة المسيحية إلى أقصى حد ممكن، بحيث تصبح هى أساس العلاقات بين الناس » .

وعلى هدى هذا التوجيه سار كرومر ودنلوب وزومير وعدد من أتباعهم العرب والمسلمين فى مختلف البلاد العربية .

والمعروف أن علوم الطب والهندسة والكيمياء والفيزياء تدرس فى هذه الجامعات على أنها نتاج غربى، وأن علوم النفس والاجتماع وغيرها تدرس على أنها حقائق

علمية لا نظريات .

وقد جرى فى السنوات الأخيرة احتواء الجامعات الإسلامية : الأزهر والزيتونة والقرويين .

أما البعثات إلى الجامعات الغربية فهى تعمل على ترويج دراسات المستشرقين فى القرآن والوحى والرسول واللغة العربية والعقيدة والشريعة، وهذا هو سر إصرار بعض المستشرقين على عدم ترجمة دراسات العلوم إلى اللغة العربية لاستبقاء هذه التبعية .

❁❁❁

يقول الدكتور عبد الحليم محمود : إن الأمر قد وصل بالاستعمار أن صاغ خريجى كليات الحقوق بحيث لا يفهمون بعد الليسانس كتابًا عربيًّا فى المواد التشريعية، وليس بالأمر الغريب أن جدول التدريس فى كليات الحقوق يخصص عشرين محاضرة فى الأسبوع للقوانين الأوربية ومحاضرتين فقط للشريعة الإسلامية .

ومع الأسف فإن الجامعات الوطنية فى البلاد العربية صيغت أساساً على غرار جامعات الإرساليات التبشيرية الغربية، ولها نفس موقفها من الإسلام والعرب والشرق واللغة العربية .

❁❁❁

(٢٧)

معجزات النبى الخاتم

ترددت فى السنوات الأخيرة دعوى ظالمة تقول بأن الرسول صلى ا لله عليه وسلم ليس له معجزة إلا القرآن الكريم؛ حيث تنكر هذه المقولة معجزات النبى الأخرى، مما دعا بعض الباحثين إلى إثبات المعجزات الحسية للنبى صلى الله عليه وسلم كانشقاق القمر ونبع الماء من بين أصابعه وحنين الجذع وتسبيح الحصى وتكثير الطعام القليل، وغير ذلك مما أيده به الله تبارك وتعالى .

وتضم الدراسة التى أعدها الدكتور محمد نبيل غنايم نحو ثمانين معجزة من معجزات الرسول هى الأكثر شهرة واستفاضة وثبوتاً، وقد قسمت إلى معجزات سماوية مثل انشقاق القمر، ومعجزات أرضية خاصة بالإنسان كشفاء المصابين فى المعارك، ومعجزات أرضية خاصة بالحيوان كفرس أبى طلحة وحمل جعفر وشاة أم معبد، وأخرى خاصة بالنبات كتسليم الشجر وانقياده ، وأخرى خاصة بالجماد مثل تسبيح الحصى وحنين الجذع ونبع الماء، بالإضافة إلى المعجزات الخاصة بإجابة دعاء الرسول فى مناسبات شتى، وإخباره عليه الصلاة والسلام بالمغيبات كقتل عثمان وعمار وفتح الفتوحات وعصمة النبى وحمايته من الأعداء، وقد أجمع العلماء على أربع معجزات كبرى :

١ ـ انشقاق القمر
٢ ـ نبع الماء
٣ ـ تكثير الطعام
٤ ـ حنين الجذع

***

وقد كانت الكتابة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الثلاثينات من القرن الميلادى قد أصابها اضطراب شديد نتيجة غلبة مفهوم الفلسفة المادية، وكان هذا الاتجاه قد بدا فى تفسير الشيخ محمد عبده، ثم اتسع نطاقه، حتى جاء الدكتور محمد حسين هيكل

فى كتابه «حياة محمد» لينكر كل معجزات الرسول ما عدا القرآن، ويرى أن الإسراء كان مناماً، ثم جاء المدافعون عن الأصالة وفى مقدمتهم الشيخ مصطفى صبرى شيخ الإسلام في الدولة العثمانية الذى هاجر إلى مصر وألف كتابه الشهير (موقف العلم والعالم من الله رب العالمين) حيث هاجم هذا الاتجاه مهاجمة علمية، ثم كتب الشيخ محمد سعيد البوطى بحثه عن «فقه السيرة»، وتلاه كثير ممن عادوا إلى الأصالة .

وكذلك الأمر بالنسبة للرسول الكريم فى كتابات الغربيين التى كانت تمثل اتجاهاً حاقداً متعصباً لقرون طويلة، حتى جاء بعض الباحثين فى العصر الحديث يتحدثون بإنصاف وفى مقدمتهم كارليل فى كتابه «الأبطال وعبادة الأبطال» ومن بعده كثيرون.

تقول المستشرقة الفرنسية (آن ديكمير) فى كتاباتها المنصفة عن السيرة النبوية : إن هناك حقيقة لا يعيها الكثيرون فى العالم الإسلامى، وهى أن الإسلام أكثر تقدماً من واقع المسلمين اليوم «إننى لست مسلمة، ولكن بهرنى الإعجاز اللغوى للقرآن، فالقرآن بالنسبة للغة هو المثل الأعلى ، وفى دراستى للقرآن وسيرة الرسول أعجبنى شخصه الكريم، فبجانب أنه رسول الله فهو قائد عظيم استطاع أن يُوحِّد أمة ذات حضارة متميزة كان لها أثر كبير فى رقى البشرية وتقدمها» .

«إننى أعتبر الفرنسيين والغرب بشكل عام لا يعرفون إلا القليل عن سيرة المصطفى، كما أن معظمهم لا يعرفون شيئاً عن شخص الرسول وحياته فى مكة والمدينة ، والقليل الذى يعرفه المواطن العادى فى الغرب عن الإسلام مشوه تشويهًا تامًّا ، أما الكتابات المنصفة فمكتوبة بلغة صعبة لا يفهمها إلا المتخصصون؛ لذلك أصدرت كتابى (محمد رسول الله) أو (محمد كلمة الله) باللغة الفرنسية، وهو موجه أساسًا للغرب وقد كتبته بلغة سهلة حتى يستطيع القارئ العادى أن يستوعبه، وقد أردت أن يخاطب الغرب بلسانه؛ لأننى أفهم العقلية الغربية» ويكون بذلك كتابها بعيداً عن شبهة التحيز أو التعصب .

وتقول :لقد بهرتنى شخصية الرسول، فبجانب أنه نبى فهو أيضاً رجل عظيم، استطاع أن ينقل المجتمع القبلى إلى مرحلة متقدمة ، ومن مفهوم القبيلة الضيق إلى مفهوم الأمة، وكان ذلك منذ أربعة عشر قرنًا .



ولقد كانت كتابة كارليل عن (البطل فى صورة نبى) غاية فى الإنصاف؛ ولذلك فقد هزت الفكر الغربى وكشفت له عن تعصبه وعناده .

يقول : يزعم المتعصبون من النصارى والملحدين أن محمداً لم يكن يريد بقيامه إلا الشهرة الشخصية ومظاهر الجاه والسلطان، كلا وايم الله ، لقد كان فى فؤاد ذلك الرجل الكبير، ابن الفقر والفلوات، المتوقد المقلتين ، العظيم النفس ، المملوء رحمة وخيراً ، أفكار غير الطمع الدنيوى، ونيات غير طلب السلطة والجاه ، وكيف وتلك نفس صامتة كبيرة ، ورجل من الذين لا يمكنهم إلاَّ أن يكونوا مخلصين وجادين، فبينما ترى آخرين يرضون بالاصلاحات الكاذبة، ويسيرون طبق الاعتبارات الباطلة ، ترى محمداً) لم يرض أن يلتفع بمألوف الأكاذيب ويتوشح بمنبع الأباطيل ، لقد كان منفرداً بنفسه العظيمة وبحقائق الأمور والكائنات ، لقد كان سر الوجود يسطع لعينيه -كما قلت- بأهوائه ومخاوفه ، وروائعه ومباهره لم يكن هناك من الأباطيل ما يحجب ذلك عنه، فكأنه لسان حال ذلك السر الهائل يناجيه (هأنذا) فمثل هذا الإخلاص لا يخلو من معنى إلهى مقدس ، وما كلمة مثل هذا الرجل إلا صوت خارج من صميم قلب الطبيعة، فإذا تكلم فكل الآذان صاغية وكل القلوب واعية ، وكل كلام ماعدا ذلك هباء، وكل قول جفاء، ومازال منذ الأعوام الطوال - منذ أيام رحيله وأسفاره - تجول بخاطره آلاف من الأفكار ، ماذا أنا؟ وما ذلك الشيء العديم النهاية الذى أعيش فيه الذى يسميه الناس كونًا؟ وما هى الحياة؟ وما هو الموت؟ وماذا اعتقد؟ وماذا أفعل؟ ، فهل أجابته عن ذلك صخور جبل (حراء) أو شماريخ طور (الطور)، أو تلك القفار والفلوات ، ولا قبة الفلك الدوار، واختلاف الليل والنهار، ولا النجوم الباهرة والأنواء الماطرة لم يجبه هذا ولاذاك . وما الجواب عن ذلك إلا روح الرجل، وإلا ما أودع الله فيه من سره (ترجمة محمد السباعى)

❁❁❁

لقد كانت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ختام الرسالات، وكان هو خاتم المرسلين إلى هذا الكون ، ورسالته باقية وخالدة إلى يوم القيامة، وقد أثبت القرآن الكريم (ختم النبوة) .

﴿ وما محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل

شئ عليمًا ﴾ .

واليوم مضى أربعة عشر قرناً على اختتام النبوة واكتمال الدين، ولكن ماتزال القوى المعادية تثير الشبهات والأكاذيب والأباطيل بادعاء النبوة بين آن وآخر .

ولكن عقيدة ختم النبوة هى من الثوابت التى أثرت فى ثقافة وذهن سلمان الفارسى وبلال الحبشى وصهيب الرومى وجميع أخلافهم من ورثة العقيدة الخاتمة إلى الأبد .

❁❁❁

ومن العجب أنه خلال ملتقى عقد بمدينة ستونفارد الألمانية لدراسة العالم الإسلامى بين التقليد والنهضة وقف القس السويسرى البروفسير هانس كونج فاعترف بأن محمداً صلى الله عليه وسلم نبى ورسول، وأن على النصارى مراجعة أنفسهم والبحث فى رسالة الإسلام، مذكراً بأن الكنيسة حين اعترفت فى وقت متأخر بأن الإسلام يشكل سبيلاً موثقاً للسلام لا يمكنها أن تنكر فى الوقت نفسه أن محمداً صلى ا لله عليه وسلم مرشد السائرين وقائدهم، وأنه نبى مرسل، ويحمل الهدى للبشرية أجمع، وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين .

وأكد البروفسير (كونج) وهو عالم متخصص فى علم مقارنة الأديان أن ما ادعته الكنيسة سابقاً بأنه لا يوجد أى نبى خارج الكنيسة قد أصبح يشكل منطقاً باطلاً لا أساس له من الصدق؛ لأن الشواهد والحقائق تقف ضده .

واعترف كونج بأن معظم المستشرقين لم يتمكنوا من فهم الإسلام بعمق، فقد كانوا فى غالب الأحوال يخدمون المصالح الاستعمارية بحكمهم على الإسلام من خلال المركزية الأوربية ونظامها القيمى .

❁❁❁

قال أبو الريحان البيرونى فى كتابه (الآثار الباقية) :

كان الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سموا كل سنة فيما بين الهجرة والوفاة باسم مخصوص مشتق مما اتفق عليه السلام .

فالأولى سنة الإذن، والثانية سنة الأمر بالقتال، والثالثة سنة التمحيص، والرابعة سنة

التدفئة، والخامسة سنة الزلزال، والسادسة سنة الاستئناس، والسابعة سنة الاستغلاب، والثامنة سنة الاستواء، والتاسعة سنة البراءة، والعاشرة سنة الوداع . فكانوا يستغنون بذكرها عن عددها من لدن الهجرة .

☼☼☼

(٢٨)

أربعة عشر قرناً من المواجهة

لم تتوقف المواجهة بين الإسلام وخصومه (ممثلة فى الغرب بشقيه الليبرالى والماركسى) بالإضافة إلى خصومة اليهودية الصهيونية المتمثلة فى الماسونية مع قوى أخرى كلها تحاول أن تنال من الإسلام وأن تؤخر مسيرته إن لم تستطع أن توقفه .

والمسلمون فى مختلف أنحاء العالم يعانون مشقة بالغة وهم الذين يملكون من عطاء الله الخير الكثير، ولكنهم محاصرون بالقوى الأجنبية المسيطرة على مواردهم والتى غمستهم غمساً فى نظام اقتصادى ربوى لا يمكنهم من حرية إدارة مواردهم أو تنمية فوائضهم أو استرداد معطياتهم التى ينتفع بها غيرهم .

وفى كثير من المناطق الإسلامية تعمل هذه القوى على تحويل هويتهم وإزالة تميزهم، ففى أفريقيا تجرى إحياء الزنجية وإبعاد الأفارقة عن كل ما هو عربى وإسلامى، وربط مصير شعوبها بدول أوربا، وفى المناطق الروسية جرى تغيير الوجود الإسلامى المكثف فى مناطق معينة بتهجير مجموعات من مكان إلى آخر بهدف الحيلولة دون قيام وجود أصيل بامتلاك إرادته . والكنيسة فى أفريقيا ترحل أكثر من مليون طفل أفريقى كل عام إلى أوربا لتوزيعهم على الأديرة .

وفى عديد من البلاد التى توجد أقليات إسلامية يجرى اضطهاد هذه الأقليات وعدم تمكينها من مواصلة العمل ، بل إن موارد الإغاثة التى ترسل إلى المناطق التى أضارها الجفاف والتصحر ، يركز توزيعها على غير المسلمين ، ولا تعطى للمسلمين إلا فى إطار عملية تبشير خطيرة تدعوه إلى ترك دينه فى سبيل الحصول على الثوب، وفى البلاد ذات الأغلبية المسلمة يجرى ضرب التاريخ والتراث وتزييف مناهج التعليم والتربية لتحويل شباب هذه البلاد إلى التغريب والتنكر لقوميته ودينه وقيمه وثقافته والإعجاب بفكر الغرب، مع مغريات كثيرة تدفعه إلى الصدارة فى الجانب الآخر .

❋❋❋

وواقع المسلمين ممزق فى كل هذه المناطق، ففى الاقتصاد نرى التخلف الإقتصادى

والتبعية للنظام المالى الغربى وفقدان التوازن بين توزيع الخدمات والثروات .

وفى مجال العقيدة نرى الاختلافات المذهبية وتسرب الأيدلوجيات المادية واللادينية إلى المفاهيم الإسلامية .

وفى المجال الاجتماعى تفتقد الروح الجماعية ونجد ضعف الوعى الأخلاقى وتسرب العلمانية والاستبداد السياسى .

وفى مجال العلوم نجد افتقاراً واضحاً لمعالم الغرب وتأخراً فى مجال العلوم الطبيعية والصناعية .

والسر فى هذا كله يرجع إلى أمر واحد هو تهاون المسلمين فى مجال التطبيق الإسلامى والتخفف من توجهات النظام الإسلامى والجرى وراء المطامع والأهواء؛ مما دفع القوى الأجنبية إلى السيطرة وامتلاك قيادة المجتمعات على هذا النحو الخطير .

❁❁❁

وعندما يتكلم بعض الغربيين الذين يوالون الإسلام وينظرون إلى واقع المسلمين تراهم يتحدثون عن معاصرة تتجاوز ثوابت الإسلام فى محاولة لفتح الباب لتقبل الإسلام بعض ما هو من حدوده وموانعه تحت دعوى (روح العصر) والتجاوب مع التقدم والحضارة

ولاريب أن هذه الدعوة مرفوضة أساساً، فإن الإسلام قد أقام نظام الثوابت والمتغيرات على نحو حاسم ودائم بحيث لا يمكن التجاوز عنه .

أما الاجتهاد وأما الاستجابة لروح العصر فلا يكون إلا فى الجوانب التى تدخل فى دائرة المتغيرات .

وتتردد هذه الدعوات كثيراً فى هذه الأيام، وقد وقع فيها مع الأسف بعض من أسلموا أمثال جارودى، وحاول جاك بيرك فى تفسيره القرآنى الذى صدر أخيراً أن يدعو إلى مثل ذلك، وتحدث كثيرون عن التخلف الذى يعيشه المسلمون الآن، وأن علاجه هو قبول مفهوم التقدم والعصرية الغربى .

ولكن الإسلام لم يكن فى يوم من الأيام خادماً للحضارات أو تابعاً لها أو متجاوزاً عن ثوابته الأصيلة وحدوده القائمة إلى يوم القيامة فى سبيل الحصول على بعض

المعطيات المادية .

والواقع أن المسلمين كـانوا فى كل عصورهم وفى أشد فترات ضعفهم مستمسكين بـالقيم الثوابت، وما خضعـوا له من النظم الغربيـة إنما فـرض عليهم فرضاً، و لم يأخذوه برغبتهم أو إرادتهم .

وإن وقفـوا مثـل هذا الموقـف من قبـل بالنســبة للحضـارات الرومانيــة واليونانيــة والفارسية والفرعونية .

ذلك أن لنا كمسلمين مفهومـاً مختلفاً بالنسبة للثروات البشرية؛ حيث إننا لا ندفعها فى مجال الترف والاستهلاك، بل نحافظ عليهـا، ولا نجعلها خاصة بأمة أو جماعة ولكننا نؤمـن بأنها للانســانية كلهـا، وإذا كان الغـرب قد أخذ الثقافـة الإســلامية ونقلها إلى بوتقته وصهرها فى دائرة فكره ، فنحن نفعل كذلك .

فنحن المسلمون نعمـل فى إطار ربانى أساسـاً ، الأمور كلهـا من ا لله تبارك وتعالى وإليـه ترد، والمنهج مسـتمد من القـرآن الكريم، والأسـوة هو الرسـول صلـى ا لله عليه وسلم.

وبنـاء المجتمع الإســلامى يكون فى إطـار الحلال بعيـداً عن الربـا وبعيداً عن التحلل الخلقى، فالأخلاق الإسلامية أساس ثابت لا يتغير مع العصور والبيئات .

ونحن نؤمن بـالوحدة الإسلامية أساساً جامعـاً للمسلمين من خلال النظام الإسلامى فى الاقتصاد والسياسـة والاجتمـاع . وبناء الفـرد المسلم مقدمـة لبنـاء الأسـرة المسلمة فالجماعة المسلمة، ومنهج التكامل والترابط بين المسلمين أساسه الزكاة .

وإقامـة فريضة الجهـاد أسـاس ثـابت للقدرة على الردع وحماية الثغور، ونحن نؤمن بتكامل الوحى والعقل ، والعلم والدين ، والروح والمادة ، والدنيا والآخرة .

ونحن نؤمن بـأن الإسـلام يملك حلولاً واقعيـة لمشـكلات العصر دون منازع بعد أن فشـلت المبادئ والمذاهب الوضعيـة فى تحقيق الخير للإنسـان أو نشر الطمأنينـة والسلام النفسـى لـه . ونحن نؤمن بـأن سـعادة الإنســان هدف لا يتحقق إلا بمعرفـة ا لله تبارك وتعالى والعودة إليه، فالأمة الإسلامية تحتاج إلى الله تبارك وتعالى قبل التنمية وبعدها .

ونحن نؤمـن بالأمـة الإسـلامية، والعروبـة جزء منهـا، ونحن نؤمن بالإسـلام، والعلم

جزء منه، وقضية الانتماء الإسلامية أساساً والعروبة والزنجية والتركية والفارسية وغيرها من العناصر أجزاء أساسية فيها ونؤمن بالركائز الأربعة :

(١) ركيزة امتداد العقيدة .

(٢) ركيزة امتداد الأرض .

(٣) ركيزة العمق التاريخى المشترك .

(٤) وركيزة اللغة مرتبطة بالقرآن الكريم .

❁❁❁

والمسلم لا يقع فى دائرة الجمود إلا إذا ترك منطلقه القرآنى ، ولا يقع المسلم فى دائرة الاحتواء إلا إذا تجاوز الأساس الإسلامى؛ حيث لا فصل بين القيم العقلية والروحية : هذا الفصل هو مصدر الخطر الذى واجهه الفكر الغربى ، والإسلام يدعو إلى تكامل العقل والوجدان، فقد قرر الإسلام أن القلب موضع العقل .

﴿أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ﴾

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

(ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب) .

وقد ذكر القلب فى القرآن مائة واثنين وثلاثين مرة لإثبات أن القلب هو مواطن التعقل .

❁❁❁

إن المسلمين اليوم على طريق استعادة الهوية الإسلامية ، كمنطلق لهم إلى النهضة ولكن الغرب ما يزال يعمل على تدمير هذه القواعد التى تبنتها الصحوة للحيلولة دون عودة المحن إلى ذاتهم الحضارية، ولكن المسلمين مطالبون بالثبات .

﴿إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكرو الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾

❁❁❁

إن علينا بناء قاعدة الأساس قبل الانفتاح على الفكر البشرى، فما هى هذه

القاعدة؟:

١ ـ تصحح مفاهيم الوطنية والقومية والإقليمية .

٢ ـ تصحيح مفاهيم التاريخ والتراث .

٣ ـ تصحيح مفاهيم القانون الوضعى والأنظمة السياسية الغربية .

٤ ـ تصحيح نظم التعليم والتربية والثقافة .

٥ ـ تصحيح مفاهيم الترويح والإعلام وتحررها من الإباحية والفساد .

٦ ـ التقاء الثقافات العربية والفارسية والتركية فى إطار التوحيد .

٧ ـتحرير الإسلام ووسائل التثقيف والتسلية .

✿✿✿

نحن فى حاجة إلى الدخول فى مرحلة التأصيل الإسلامى، وتقديم المفهوم الأصيل (للاقتصاد ـ المرأة ـ الترجمة ـ التراث ـ السياسة) .

هذه الأسلمة هى أفق العقود الآتية من القرن الخامس عشر فى سبيل حماية الأجيال وبنائها .

✿✿✿

إننا فى مجال الإسلام بمفهومه الجامع بين الروح والمادة والعقل والقلب لا نجد مشكلة فى تقرير القيم المتكاملة التى تبدو فى ضوء الفكر المادى وكأنها متناقضة فلا تناقض فى الإسلام بين العصرية وبين التراث، ولا بين العلم والدين ولا بين الثوابت والمتغيرات .

وفى نفس الوقت لسنا فى حاجة إلى أطروحات مضللة مثل العلمانية أو الرأسمالية أو الاشتراكية؛ لأن الإسلام يجمع بين (الفرد والجماعة)، الفرد الذى تعاقده الرأسمالية، والجماعة التى تعاقدها الاشتراكية، وليس فى حاجة إلى العلمانية؛ لأنه أقام التكامل بين الروح والمادة .

وقد أسقط الإسلام نظريات العنصرية والدم ، وأسقط نظرية فصل القيم، ودعا إلى تكاملها ، وربط بين العروبة والإسلام على نحو مختلف عن القوميات الغربية

والمسيحية.

وجمع بين اللغة العربية واللغات القديمة (الفرعونية والفينيقية) وغيرها، وأعلن أن الفينقيين عرب والفراعنة عرب .

وكشف عن اختلاف الأخلاق فى الإسلام عن الفكر الغربى، كما كشف عن اختلاف الوسطية الإسلامية عن الوسطية الإغريقية .

كما أعلن فساد النظرية التولستوية والغاندية، وهما اللتان روج لهما البعض لسلب الإسلام مفهومه الجامع بين الجهاد والسلام كما كشف (الإسلام) عن فساد نظرية أن المجرم مريض وليس مذنباً وهى تضاد مفهوم الدين القادر على تغيير الفرد .

كما كشف الإسلام عن حقيقة الانقطاع الحضارى وبمجيئه انتهت كل الدعوات السابقة له .

كذلك فرق الإسلام بين النبوة والعبقرية .

۞۞۞

وأعتقد أننا اليوم فى مقدمة الطريقة فى حاجة إلى إعادة النظر فى مفهوم الوحدة الجامعة وعلى الفكر الإسلامى أن يتوحد متناسياً محاوره الإقليمية والطائفية بل صاهراً لها فى وحدة متكاملة ولابد من الربط بين المؤسسات الإسلامية التى يجب أن تلتقى على العصور الأساسية التى تجمعها وتصرف النظر عن الفروع التى تختلف .

۞۞۞

(٢٩)

خطران كبيران ، علم الكلام والحملة على السنة

أدخل التغريب والغزو الثقافى سموماً كثيرة إلى الفكر الإسلامى فى محاولة لاحتوائه أو تزييفه أو القضاء على ذاتيته الخاصة ، فى مقدمة ذلك مفهوم القومية - والإقليمية فى وجه الوحدة الإسلامية الجامعة، وكان هذا أخطر الموجات التى عملت على التفرقة بين العناصر الإسلامية التى جمعتها كلمة (لا إله إلا الله) .

ولقد بلغ الخطر مبلغه أن فرضت القومية على أقاليم مسلمة تامة الإسلام، أمثال المغرب وباكستان؛ حيث لا توجد فيها أقليات دينية، ولقد صحح علماء الإسلام الموقف بأن جعلوا الإسلام هو الحلقة الأساسية الكبرى، وأن القومية والوطنية حلقات داخلية لا تحول دون الوحدة بل تدعو إليها .

وتكشَّف فساد مفهوم القومية الغربى المفرغ من العقيدة والأخوة عن عجزه عن العطاء، ولكن بعد أن استعلى مدة بالباطل طويلاً .

كذلك فقد استعلت موجات الفرعونية فى مصر، والفينيقية فى لبنان، والأشورية فى العراق ثم بيَّن الغرب أنها كلها موجات عربية خرجت من قلب الجزيرة العربية، واندمجت فى مناطق العراق والشام ومصر وأفريقيا .

وتكشف فساد العلمانية؛ لأنها لم تنشأ فى محيط الإسلام أصلاً، وقد تشكل الإسلام أساساً فى إطار التكامل بين القيم وخاصة أن الإسلام دين ودولة ، وعقل وقلب ، وروح ومادة، ودنيا وآخرة، فلا سبيل إلى ظهور نزعة العلمانية التى نشأت نتيجة عجز المسيحية الغربية عن استيعاب العلوم الحديثة ومغالاة الكنيسة فى العلاقات الاجتماعية والدولة .

❁❁❁

وجرت المحاولات فى العصر الحديث لإحياء ما يسمى بالعقلانية، بينما يجمع الإسلام بين العقلانية والوجدانية، ولايفرد العقلانية بتميز مستقل .

وحاول البعض إحياء الاعتزال والدعوة إلى قيام المعتزلة الجدد فى وجه بعض مظاهر الجبرية الصوفية .

وكان أخطر الدعوات اتخاذ طريقة علم الكلام، وهى مستمدة من الاعتزال ومن الفلسفة اليونانية لإحياء الإسلام وتجديده، وقد وقف العلماء الأبرار فى مواجهة هذا الخطر .

وكان علم الكلام قد أوصل إلى مفاهيم تجرح بالإسلام تماماً، من بساطته ويسره؛ حتى كشف الإمام حسن البنا عن أن السبيل الصحيح للتعرف على ذات الله (تبارك وتعالى) وأسمائه وصفاته وأفعاله ليس أصول الكلام فى نزوعه إلى الفلسفة والاصطلاحات العلمية المعقدة التى تشتت الذهن وتفرق القلب ، ولا ذوق أصحاب الوجد فى انقطاعه عن منهج العلم .

وإنما سبيلنا هو العلم الصحيح الثابت فى الكتاب والسنة الموصل إلى العمل الذى تتحرك به الجوارح منفعلة بوجدان قلب عَلِمَ عن ذات الله وصفاته ما يحرك الخشية والرهبة والحب وكمال الخضوع والذل .

وقد أشار الإمام الغزالى فى كتابه (الجام العوام من علم الكلام) إلى أن أدلة القرآن مثل الغذاء ينتفع به كل إنسان، وأدلة المتكلمين مثل الدواء ينتفع به آحاد الناس ويستضر به الكثيرون، بل إن أدلة القرآن كالماء الذى ينتفع به الصبى الرضيع والرجل القوى، وسائر الأدلة كالأطعمة التى ينتفع بها الأقوياء مرة، ويمرضون بها أخرى، ولاينتفع به الصبيان أصلاً .

ومعنى هذا أن علم الكلام علاج مؤقت ومختص بمن نشأت عنده شكوك وشبهات، ولا حاجة للطباع السليمة والعقول المستقيمة إليه، أما القرآن فهو الغذاء الصالح والماء السابغ .

❁❁❁

وقول دكتور محمد كمال جعفر : لقد أحالت الفرق الكلامية الدين إلى مجرد مجال نظرى للعقيدة بإعادتها الفكرية دون أن تقدر التجربة الدينية وجوانبها التطبيقية حق قدرها، فكانت النتيجة فتح باب الجدل وإغلاق باب العمل .

ولقد اغتال الإغراق فى الجدل والحجج المخالفة صفاء الإيمان وسلامة القصد والنزاهة الفكرية ليحل محلها العناد والتعصب والتجاوز عن العدوان .

ولقد خضع علم الكلام إلى الأغراض السياسية المرحلية، ونسى فى غمرة الأحداث رسالته الأصيلة، وانقلب سلاحاً فتاكاً يغتال وحدة الأمة ويزكى نار العداوة بين طوائفها وطبقاتها وقد دخلت عناصر غير إسلامية، فشجعت هذا التفرق، وزادت حدة الصراع، وأعطت فرقاً معينة بزمرة المسلمين مع اصطدام الأساس الذى يقوم عليه مبادئ الإسلام الأولى، وقد بذل الاستشراق جهوده لتلمس أصول ونصوص تشير إلى تفرق المسلمين إلى فرق متعددة، وهكذا انحرف علم الكلام ليخدم أغراضاً ذات صبغة سياسة وأيدلوجية لهذا الفريق آنذاك ، وبذلك حبس نفسه فى تفرقته الطائفية والطبقية، فسلب نفسه النظرة الإسلامية الواسعة، والأفق الإسلامى الرحيب .

❁❁❁

ولقد كانت السنّة النبوية مستهدفة من الشرق والغرب، بل إن الغزو الصهيونى استهدف السنّة بكل مؤسساتها، وقد بدأت الحملة أولاً على القرآن الكريم، فلما وجدوا أن جداره حصين تحولوا إلى السنة، والحملة على السنة أكبر خطراً، فهى تهدف إلى أن يبقى الإسلام دين عبادة، وتذهب مسألة الأحكام حيث ترمى إلى :

ـ نسف الشريعة الإسلامية واعتماد القوانين الوضعية .

ـ التخلص من حدة القيود التى جاء بها الإسلام عن طريق السنة .

ـ تحكيم الفلسفات والاتجاهات الهدامة .

وقد قاد الحملة على السنة مجموعة من المستشرقين العتاة، فى مقدمتهم جولدزيهر، وشاخت، وكتاباتهم المسمومة ذائعة ومترجمة إلى العربية ومقررة فى الجامعات العصرية.

وممن تأثر بالاستشراق جماعتان :

الأولى: بأقصى المشرق فى بلاد الهند وهى القاديانية .

والثانية : فى فارس وهى البهائية .

❁❁❁

ومن أخطر أعمال الاستشراق فى التشكيك فى السنة العمل الذى قام به المستشرق فنسنك تحت اسم (مفاتيح كنوز السنة) فقد حقق به الاستشراق هدف كسب الثقة

وأن تكون كتاباتهم فى مجال الصدارة والمجال الأول على ما فيها من خطر وتحريف فيعتمد المسلمون عليها وينسوا مع الزمن مراجعهم الأصلية، وإذا جرى الاعتماد على مراجعهم كان هذا شديد الخطر على الإسلام والأجيال القادمة .

فقد أدخل فنسنك بكتاب (مفتاح كنوز السنة) و(المعجم المفهرس لألفاظ الحديث) أخباراً وتقارير واهية مردودة نثرها فى الكتابين، ودسها فى سياق الصحيح؛ لتسوغ معه وتشبّه به ، ولتستقر لدى العامة على أنها من الثابت الوارد عن رسول ا لله صلى الله عليه وسلم، مثل حكايات الواقدى وروايات ابن اسحق، وكثير من أخبار ابن سعد؛ مما لا أصل له، ومما يصل إلى درجة الشناعة، وتبرأ منه السنة (وقد جرحهم رجال الحديث) .

- راجع تهذيب التهذيب لابن حجر فى شأن الواقدى وابن سحق .
- وراجع مقدمة جمع الجوامع للسيوطى فى شأن ابن سعد .

❁❁❁

ذلك أن العلماء المسلمين قسموا الحديث، والتزم كل منهم بعمل ، فمنهم من جمع الصحيح وحده فى جمع كتب الزوائد، والتزمت فرقة ببيان درجة الأحاديث، فجاءت كتب الاستشراق فخلطت الصحيح بالواهى والضعيف دون تمييز أو تنبيه إلى درجة الحديث على ما يقتضيه الواجب فى هذا العمل وما يقتضيه المنهج العلمى الأمين، فكان إفساداً لمنهج رواية الحديث، وتضييعاً للمعالم، وتلبيساً على المسلمين، ولابد أن لهم مقصداً من نسبة الأخبار المحرفة إلى رسول الله نسبة باطنة وسياقها مساق الصحيح الثابت .

وقد أورد (فنسنك) فى مادة (سُنَّة) فى دائرة المعارف مطاعن لا حدّ لها مما يدعونا إلى أخذ الحذر والاحتياط، بل وحجب الثقة الكاملة عما كتبه غير المسلمين فيما يتصل بالسنة وكل ماله صلة بالإسلام .

والواجب يقتضى حجب الثقة عن هذين الكتابين فهما فى منهج الفهرسة قد ضلا بحيث لا يصلح الاعتماد عليهما، وقال الشيخ محمد حسام الدين الذي نقلت عنه هذا: إن للمستشرقين أهدافاً سياسية ودينية تتعدى مجرد البحث العلمى ، إنهم يقدمون الشبهات فى أساليب يعجز عنها الشيطان .

ويردنا هذا إلى الخطر المتمثل فى العمل الموسوعى الضخم الذى قام به المستشرقون؛ حيث جمعوا سمومهم كلها ونثروها فيما أطلق عليه (دائرة المعارف الإسلامية) التى صدر الجزء الأول منها ١٩١٣ وتوالى العمل، واستطاع النفوذ الأجنبى أن يفرضها على الجامعات والمعاهد لتكون المرجع الأول للفقه الإسلامى .

❁❁❁

ولقد اتسعت دائرة احتواء الإسلام واستقطاب الفكر الإسلامى من أجل صرف المسلمين عن عقيدتهم الصحيحة فى مجال التربية وفى مجال القرآن والسنة من أجل صرف المسلمين عن ثلاث قيم أساسية :

١ - الوحدة ٣ - الجهاد ٤ - منهج الحياة

وإبعاد المسلمين عن العقيدة التى سادوا بها العالم فيه مواجهة الصحوة واحتوائها .

❁❁❁



آفاق البحث

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة



رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق
٩٨/٤٧٥
I.S.B.N.
977-5502-43-8